


وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشّهيد حمّه لخضر– الوادي

كليّة العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة

قسم العلوم الإنسانيّة

شعبة التّاريخ

عنوان الأطروحة

العنف في المغرب الإسلامي خلال العهد الفــــاطمي

(296-362هـ /909-973م)

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه الطّور الثّالث (ل م د) في التّاريخ

تخصّص: تاريخ المغرب الوسيط والحديث

إعداد الطالبة: ميلوده كينه

إشراف الدكتور: البشير غانية

اللجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرّتبة العلمية	مؤسسة الانتماء	الصّفة
علال بن عمر	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الوادي	رئيسا
البشير غانية	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الوادي	مشرفا ومقرّرا
أحمد بن خيرة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الوادي	ممتحنا
عمار غرايسة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الوادي	ممتحنا
عبد الغني حروز	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	ممتحنا
ميلود بالحاج	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الجلفة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1441-1442هـ/2020-2021م.

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

شكر وعرفـــان

أشكر الله تعالى على توفيقي لإتمام هذا العمل، ثم من تمام الشكر لله أن أتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل وفي تذليل ما واجهته من صعوبات، أخص بالذكر:

أستاذي الدكتور البشير غانية، أقدم له كل آيات الشكر والعرفان على إشرافه على هذا العمل، ولم يبخل عليّ بنصائحه وإرشاداته القيمّة.

كما أتقدم بالشكر –أيضا– إلى الدكتور أحمد خضرة الذي أشرف على المراقبة اللغوية للمذكرة.

كما أتقدم بالشكر إلى كل أساتذة قسم التاريخ بجامعة حمه لخضر بالوادي وكذلك لزملائي طلبة الدكتوراه كل باسمه فقد كانوا أصدقاء وسنداً لي طيلة المرحلة الدراسية.

كذلك الشكر الكبير والعظيم لعائلتي والدي محمد وولدتي بشيرة وإخواني محمد الصالح، جمال، العايش، البشير وأخواتي فاطمة، يمينة، أسماء، فلولاهم بعد فضل الله سبحانه وتعالى، لما وصلت إلى هذه المرحلة، فلهم مني كل الامتنان.

والشكر موصول إلى كل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو من بعيد .

قائمة المختصرات

ت: توفي

تح: تحقيق

تر: ترجمة

ط: طبعة

م: ميلادي

ع: العدد

مج: مجلد

ه: هجري

م: ميلادي

ج: جزء

(د، ط) : بدون طبعة

(د، د، ن) : دون دار نشر

(د، ب، ن) : دون بلد نشر

مقدمــــة

مقدمة

ارتبط تطور المناهج التاريخية بتعدد الرؤى وتجدّدها باستمرار و مع القرن 20م ظهرت هناك أصوات ألحت على تخصيب المقاربة التاريخية بالاحتكاك بالعلوم الاجتماعية المجاورة؛ ومن هذا المبدأ انطلقت الدعوة لتجديد بنية تاريخ المغرب الإسلامي على خطى تجديد التاريخ الأوربي والعالمي، وتجديده وفق رؤية رصينة ومعايير موضوعية تسعى إلى إعادة صياغته وترويضه في تيار المنظومة العلمية الشمولية وتطهيره من مثالب الكتابات التقليدية المترهلة وتخريجات الكتابات الغربية الملغومة، في هذا الدراسة حاولت أن أدرس أحد الظواهر السياسية الاجتماعية المذهبية التي ميزت تاريخ المغرب الإسلامي وحسب الشواهد التاريخية التي بين أيدينا ولذلك كان موضوع بحثنا:

العنف في المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي (296-362هـ /909-973م)

ومنه تأتي الإشكالية العامة للموضوع:

ما طبيعة العنف في المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي

(296-362هـ /909-973م)؟ وما تسرب عليه من نتائج؟

أما عن الإشكاليات الفرعية:

- ماذا نقصد بالعنف؟
- كيف كانت سياسة الدولة الفاطمية في المغرب الإسلامي ؟
- ما هي مظاهر العنف في المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي؟
- إلى أي مدى ساهمت السلطات الفاطمية في تغذية الصراع القبلي في المنطقة؟
- كيف كان العنف الاجتماعي في المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي؟

- ما هي أشكال العنف في المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي؟
- هل كان للعنف في المغرب الإسلامي دور في تعجيل خروج الفاطميين من المغرب الإسلامي؟

دواعي اختيار الموضوع:

هناك دواعٍ موضوعية ودواعٍ ذاتية في اختيار الموضوع:

الدواعي الموضوعية:

- تسليط الضوء على طبيعة الدولة في المغرب الإسلامي، وعلاقتها برعاياها خلال العصر الوسيط.
- إبراز العنف السياسي والاجتماعي الذي ميز هذه الفترة
- تجديد الكتابة التاريخية المغربية، عن طريق الاهتمام بالظواهر الاجتماعية التي مازالت تحتاج إلى جهود كبيرة، من قبل المؤرخين المختصين في المجال.

الدواعي الذاتية:

- في البداية الموضوع كان عبارة عن اقتراح من طرف الأستاذ المشرف الدكتور البشير غانية؛ وبعد الاطلاع على الموضوع وحيثياته استهواني كثيرا خاصة أن طبيعته عبارة عن مقاربة تاريخية بالاحتكاك بالعلوم الاجتماعية.

هدف الدراسة:

الهدف من دراستنا هو إثراء المدرسة التاريخية الجزائرية بدراسات في العصر الوسيط خاصة أن الموضوع يمس جانباً من جوانب تاريخ المغرب الإسلامي، وانتمائي للمنطقة واهتمامي بتاريخها أحد الأهداف الرئيسية المحركة للعمل عليه.

تقسيمات الدراسة:

لمعالجة الإشكالية الرئيسية والتساؤلات الفرعية قسمنا الدراسة إلى: مقدمة، وفصل تمهيدي وثلاثة فصول رئيسية، وخاتمة.

المقدمة: احتوت على تمهيد للموضوع وطرح الإشكالية العامة والإشكاليات الفرعية التي سنحاول الإجابة عنها أثناء الدراسة، وأسباب ودواعي اختيار الموضوع، الموضوعية منها والذاتية، والخطوط العريضة للدراسة دون أن ننسى المنهج المتبع، مع نقد لأهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث، والإشارة لأهم الصعوبات والعراقيل التي واجهتنا أثناء إنجاز هذه الدراسة.

الفصل التمهيدي: عنوانه ماهية العنف تناولنا فيه تعريف العنف لغة واصطلاحا وتقسيماته.

الفصل الأول: وجاء بعنوان (الدولة والرعية في المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي)، تناولنا فيه السلطة بين الاستبداد والشورى، من خلال دراسة السلطة بين النص والممارسة السياسية، وكذلك السلطة والسياسة العسكرية وتصورات الحياة الدينية، والسياسة المالية للدولة الفاطمية بين الإجحاف والتخفيف.

الفصل الثاني: وكان تحت عنوان (مظاهر العنف في المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي) من مظاهر عنف السلطة والمؤسسات التشريعية والتنفيذية، وكذلك مظاهر العنف الاجتماعي من تقسيمات السلطة للمجتمع والصراع القبلي خلال المرحلة.

أما الفصل الثالث: بعنوان (أشكال ونتائج العنف في المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي) وذلك من خلال دراسة الجسد والعنف و السجن والسجناء و الإجراءات الاحترازية، ونتائج العنف من الهجرة والتهجير القسري، إلى الانتفاضات والثورات، إلى خراب العمران. أخيراً تحويل عاصمة الدولة.

وفي الأخير الخاتمة لخصنا فيها أهم ما وصلنا إليه من نتائج في هذه الدراسة.

المنهج المتبع:

في إطار معالجة الإشكالية الرئيسية وما تندرج تحتها من إشكاليات فرعية وللوصول إلى النتائج المرجوة من هذا العمل؛ كان علي توظيف المنهج التاريخي ومجموعة من آلياته التي تفرضها طبيعة الموضوع مثل آلية التحليل الحاضرة بقوة، فقد قمت من خلالها بتحليل سياسة الدولة الفاطمية الإدارية والعسكرية والمذهبية والمالية، وكذلك آلية الوصف، ومن خلالها وصفت مظاهر العنف من اغتيالات وصراعات فكرية وقبلية التي ميزت تلك الفترة؛ وكذلك وصف أشكال العنف المختلفة من الجسد وواقع المرأة والطفل والعنف إلى التهجير القسري إلى واقع السجون...الخ، واستعملنا آلية النقد التي رافقتنا طيلة الدراسة في إطار مناقشة مختلف الآراء المتعلقة بالموضوع.

نقد المصادر والمراجع:

وقد اعتمدنا في دراستنا على مجموعة من المصادر والمراجع لدراسة ومعالجة هذا الموضوع.

المصادر:

قسمنا المصادر التي أرخت للمغرب الإسلامي، خلال العهد الفاطمي، إلى قسمين رئيسين:

أ- مصادر السلطة:

- **افتتاح الدعوة لأبي حنيفة محمد القاضي النعمان (363هـ/973-974م):** يعد المصدر الأصلي الوحيد حول بداية الدعوة الإسماعيلية وقيام الدولة الفاطمية في المغرب، وقد انتهى صاحبه من تأليفه عام (346هـ/950م)، في عهد المعز لدين الله الفاطمي رابع الأئمة الفاطميين بالمغرب الإسلامي.

- **المجالس والمسايرات للقاضي النعمان:** هذا المصدر مخصص لتاريخ عهد المعز لدين الله الفاطمي من خلال مختلف المجالس؛ يتناول بعض المسائل المذهبية والوقائع المتعلقة بتطور الحركة الإسماعيلية بوجه عام، كذلك يسلط الضوء على سياسة الدولة الفاطمية .
- **كتاب عيون الأخبار للداعي إدريس عماد الدين القرشي (ت827هـ/1423-1424م):** وقد اعتمدنا على الجزء الخاص بالمغرب تحت عنوان: **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب** الذي نشره وحققه محمد اليعلاوي، ويعتبر من المصادر الشيعيّة المهمة التي أرخت للدولة الفاطمية في المغرب.
- **سيرة الأستاذ جوذر: لأبي علي منصور العزيزي الجوذري (توفي أواخر القرن 4هـ/ 10م):** ويعتبر من المصادر الشيعية المهمة التي أرخت لنا الفترة من داخل القصور الفاطمية، فهو يعتبر من كُتاب البلاط.

ب- مصادر المعارضة:

هي الأُخرى تنقسم إلى قسمين رئيسين:

المصادر السنية:

- **كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لأبي عبد الله محمد بن عذاري المراكشي:** تعتبر من المصادر الجديرة بالثقة بالنسبة إلى التاريخ السياسي، وإنما يمكن الشكّ في موضوعيتها بخصوص الحياة الدينية في إفريقية في عهد الفاطميين، نظراً إلى ما اكتسبته طريقتها في تقديم الوقائع المتعلقة بالنزاع بين الشيعة والسنة من صبغة مغرضة.
- **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت808هـ/ 1405-1406م):** أفادنا كثيرا خاصة في التعريف بالقبائل

المغربية وعلاقتهم وصراعهم في هذه الفترة، ونفس الشيء فهو من المصادر الجديرة بالثقة بالنسبة للتاريخ السياسي.

- **كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم لأبي بكر بن عبد الله المالكي (ت444هـ/ 1052-1053م)**: وهو من المصادر المهمة التي اعتمدنا عليها في كثير من المواضع، خاصة وضعية العلماء المالكية في ظل الدولة الفاطمية.

المصادر الإباضية الوهبية:

- **كتاب سير الأئمة وأخبارهم لأبي زكريا يحي بن أبي بكر (ت471هـ/1078-1079م)** : تكمن أهمية هذا المصدر في أنه انفرد بكثير من الأحداث التي لم تنقلها المصادر الشيعية و السنية كحرق مكتبة المعصومة.

- **كتاب طبقات المشايخ بالمغرب لأبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني (ت670هـ/1271م)**: هذا المصدر هو عبارة عن تلخيص كتاب سير الأئمة لأبي زكريا مع بعض الإضافات الطفيفة.

إلى جانب هذه المصادر اعتمدنا على مجموعة من المراجع والأطروحات الجامعية المهمة التي ساعدتنا على تحليل واستنباط ما جاء في المصادر أهمّها: القضاء الفاطمي بإفريقية ومصر للدكتور الصبحي منصور، النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي، 296-362هـ/909-973م (الجزائر- ليبيا- تونس- المغرب) للدكتورة بوبة مجاني، العقيدة والدولة في المغرب الوسيط فلسفة السلطة وحركة التاريخ، للدكتور زاير أبو الدهاج.

وقد واجهتنا بعض العراقيل والصعوبات أثناء إنجاز هذه الدراسة مع اختلافها، لكن أهمها تزامن التربص القصير المدى لي في تونس مع انتشار جائحة كوفيد-19 Covid. وبالتالي وقفت عائقاً أمامي للتوجه الى الأرشيف والمكتبة الوطنية

لتحصل على بعض المخطوطات والدراسات الحديثة التي كانت ستثري الموضوع أكثر. كذلك من الصعوبات طبيعة الموضوع الحساس خاصة في التحدث عن العنف في التاريخ الإسلامي وارتباطه العميق بالدين واستعمال المصطلحات الدينية مما أدى إلى صعوبة إبداء رأيي بهدف التعامل مع حيثيات الموضوع بموضوعية فأدى هذا –بدون قصد– إلى غياب شخصيتي في العمل في بعض النقاط.

وفي الأخير، نشكر كل من ساعدني في إنجاز هذه الدراسة، وعلى رأسهم الأستاذ المشرف الدكتور البشير غانية الذي لم يدخر مجهودا في توجيهي وإفادتي بآرائه النيّرة؛ فله مني جزيل الشكر والعرفان. والى اللجنة المناقشة لتجشم عناء قراءة البحث ومناقشته وتصويبه.

والله الموفق.

الفصل التمهيدي: ماهية العنف

1- تعريف العنف

2- تقسيمات العنف

الفصل التمهيدي: ماهية العنف

العنف ظاهرة تسود كل مجال يعمره الناس، مما يعني أنه بالرغم مما بذله البشر طيلة تاريخهم لأجل القضاء عليه، فإن مجهوداتهم لم تكلل بالنجاح، مما جعلهم أبعد ما يكون عن تحقيق مجتمع عادل يتجه أفراده نحو تحقيق غاياتهم[1].

لا يمكن لأي شخص أعمل فكره في شؤون التاريخ والسياسة يبقى غافلا عن الدور الذي لعبه العنف دائما في شؤون البشر، ومن هنا سيبدو لنا للوهلة الأولى مفاجئا ما نلاحظه من أن العنف نادرا ما كان موضع تحليل أو دراسة خاصة؛ فالمرء –عادة– لا يطرح أسئلة حول أمور تبدو بديهية للجميع؛ ولا ينصرف إلى تحليل مثل هذه الأمور وأولئك الذين لا يرون أي شيء آخر غير العنف في شؤون البشر يبدون على قناعة من أن هذه الشؤون كانت على الدوام عبثية غير جادة وغير دقيقة، وهناك من مال أن العنف مجرد ظاهرة هامشية، فسواء أتعلّق الأمر (ببكلاوزيفيتش) Baklaosevic الذي يعتبر الحرب "استمراراً للسياسة بوسائل أخرى" أو بأنغلز Engels الذي يعرّف العنف بكونه مسرّعا في عملية التنمية الاقتصادية[2].

1- تعريف العنف:

أ- **لغة:** جاء في لسان العرب أن العنف من عنف: العُنْف: الخرق بالأمر وقلّة الرّفق به، وهو ضد الرفق. عنُف به وعليه يعنُف عُنْفاً وعنافة وأعنفه وعنفه تعنيفاً، وهو عنيف إذا لم يكن رفيقاً في أمره، واعتنق الأمر: أخذه بعُنف، وفي الحديث: إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف؛ هو بالضم، وهو من الشدة والمشقة، وكلُّ ما في الرفق من الخير ففي العنف من الشرّ مثله، والتعنيف: التعبير واللّوم وفي

[1]– محمد بهاوي، **العنف والعدالة نصوص فلسفية مختارة**، ج 13، إفريقيا الشرق، (د، ط)، الدار البيضاء، 2013، ص5.

[22]– حنّة أندرت، **في العنف**، تر: إبراهيم العريس، دار الساقي، ط1، لبنان، 1992، ص10.

الحديث: إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها ولا يُعنفها؛ التعنيف: التوبيخ والتقريع واللّوم؛ يقال: أعنفه وعنفته، معناه أي لا يجمع عليها بين الحدّ والتوبيخ[1].

أما في المعجم الوسيط فنقول: (عنف) به، وعليه–عُنفاً، وعنافةً: أخذه بشدة وقسوة، ولامه وعيره. فهو عنيف. (ج) عُنف. (أعنفه) عنف به، وعليه. (عنّفه) : أعنفهُ. (اعتنق) الأمر: أخذه بعنف و– أتاه ولم يكن له علمُ به، و– انشئ: كرهة. يقال: اعتنق الطعام. و–فلان المجلس: تحول عنه[2].

ويذهب الرازي إلى أن اللجوء إلى العنف يكون عادلا بصفة عامة حين يكون المرء أو الجماعة مهددة بخطر، ويرى ابن سينا بدوره أن للعنف معنى إيجابيا حين يستعمله الحاكم للحد من انتشار الفساد في الرعية[3].

أما في اللغة الإنجليزية والفرنسية فهي مشتقة من اللفظة اللاتينية Violence هو Violentai التي تدل على الاستخدام غير الشرعي للقوة. فالعنف استخدام للقوة دون سند شرعي ورفض للقانون والعدالة والخضوع لأي سلطة، فهو خاصية الشخص الذي لا يقهر، أو لا يمكن ترويضه[4]، ويتضمن كذلك معاني العقاب والاغتصاب والتدخل في حريات الآخرين.

إن كلمة العنف سواء في اللغة العربية أو اللغة اللاتينية تشير إلى كل سلوك يتضمن معاني الشدة والقسوة والتوبيخ واللوم، ويعني أن هناك عنفاً لفظيّا وعنفاً جسدّياً[5].

---

[1]– أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور(ت711هـ/1312م)، **لسان العرب**، مج9، دار صادر، (د، ط)، بيروت، (د، ت)، ص ص257–258.

[2] – معجم اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 1425هـ/2004م، ص631.

[3] [3]– عبد الله حموده، **العنف إضاءة انثربولوجية**، مجلة فكر ونقد، القسم الأول، العدد 55، يناير 2004، ص ص 32–34. محمد بهاوي، المرجع السابق، ص16.

[4] – أحمد أوزي، **سيكولوجية العنف عنف المؤسسة و مأسسة العنف**، منشورات مجلة دار علوم التربية، ط1، المملكة المغربية، 2014، ص ص 10–11.

[5] – وناسي سهام، **العنف الأشكال والعوامل والنظريات المفسرة له**، مجلة أفاق العلوم، العدد9– سبتمبر1017، جامعة الجلفة، ص249.

ب- **اصطلاحا:**

العنف ممارسة قديمة قدم العالم، كما يظهر من خلال الأساطير والملاحم، لكن الحديث عنه يوشك أن يكون معاصرا. فأول من حاول التفكير في العنف والتنظير له هو (جورج سوريل) George Sorrell في كتابه" تأملات حول العنف" في القرن التاسع عشر، أما قبل ذلك فإن الفلاسفة القدامى لم يكونوا ينظرون إلى العنف في ذاته ولذاته؛ بل كنتيجة لإفراط أو لخرق متصلين بالآلهة، لعل هذا الأمر يفسر جانبا من المفارقة التي تظهرها اللغة اللاتينية والتي لا تميز بين القوة والعنف[1].

حسب (أندرية لالاند) Andrea Laland فإن Violenc؛ العنف (أذى) سمة ظاهرة أو عمل عنيف؛ أي ألحق الأذى بنفسه؛ ألحق الأذى بطبيعته وهو الاستعمال غير المشروع أو غير القانوني للقوّة[2].

إن تعريف (أندرية لالاند) Andrea Laland يتضمن القبول بمسلمات الفيلسوف الفرنسي (جون جاك روسو) Jean Jacques Rousseau الذي يذهب إلى القول بأن العنف الشرعي هو عنف الدولة التي تكتسب شرعيتها من العقد الاجتماعي الذي يقيمه المواطنون فيما بينهم، والذين يتنازلون بموجبه عن حق استخدام العنف ضد بعضهم البعض، بهذا المعنى يصبح العنف ظاهرة تنتمي إلى الطبيعة لا إلى الحضارة؛ و إذا كان البعض يرى أن العنف غير شرعي فإن (سوريل) Syrie يعتبره مشروعا وهو تبعا لذلك يميز بينه وبين القوة. ذلك أن القوة البرجوازية تستند إلى مبدأ السلطة والحقوق المكتسبة وواجب الطاعة المفروضة على الجماهير، لهذا فإن البرجوازية تراه ليس عنفا، لأنه يقنع بالقوة القائمة علما أن الشعب هو ضحية هذه القوة نفسها، فهو بذلك ضعيف ويحلم شأنه شأن الضعفاء بتحطيم

---

[1] - محمد بهاوي، المرجع السابق، ص ص19-20.

[2] - أندرية لا لاند، موسوعة لا لا ند الفلسفية، مجA-G، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط2، لبنان، فرنسا، 2001، ص ص 1554-1555.

هذه القوة، الأمر الذي يقضي به العنف الخالص، أي العنف الصريح الذي يحطم ويظهر الحق[1].

ويمكن القول إن العنف علاقة أولية وممارسة القوة، فإن أي إفراط في استخدام القوة بغاية السيطرة والهيمنة (أو حتى الدفاع عن النفس) يتحول إلى عنف. وهذا المثال يتضح بما يسمى العنف الفيزيائي[2]؛ وهذا يعني بأن العنف هو تحول القوة من حالة الوجود بالقوة إلى حالة الوجود بالفعل بغاية السيطرة والهمينة على الآخر، وهنا نلاحظ أن العنف مشروط بالغاية التي توظف فيها القوة (الهيمنة أو الدفاع عن النفس)، وبالطبع فإن ممارسة العنف تكون بين طرفين وهذا الأمر مشروع فيما يتعلق بالعنف الذاتي أو العنف المرتد إلى الذات[3].

يقدم روبيرت (ماكافي بروان) Robert McafeeBroun تعريفا مطوّلا للعنف بوصفه انتهاكا للشخصية، بمعنى أنه تعِدّ على الآخر أو إنكاره أو تجاهله ماديا أو غير ذلك، وإن مخاطبة الشخصية تعني إعطاء وصف شامل للعنف بأنه أكثر من مجّرد الجسد والروح، إنه يقر بأن الأعمال التي تسلب الشخصية هي أعمال عنف، فأي سلوك شخصي ومؤسساتي يتسم بطابع تدميري مادي واضح ضد آخر يعد عملا عنيفا، هناك العنف الشخصي الخفي الذي يؤذي الآخر نفسيا، وهناك العنف المؤسساتي الخفي حيث تنتهك البنى الاجتماعية هوية مجموعات الأشخاص. وكما يحصل على سبيل المثال في مستويات الحياة المتَدينة في

---

[1]- محمد بهاوي، المرجع السابق، ص ص19-20.

[2] - **العنف الفيزيائي:** هو استخدام القوة الجسدية في السيطرة على الأخر أو الدفاع عن النفس مثل الضرب والشد والركل والدفع. للمزيد ينظر: علي أسعد وطفة، **من الرمز والعنف إلى ممارسة العنف الرمزي قراءة في الوظيفة البيدغوجية للعنف الرمزي في التربية المدرسية**، ع 104، شتاء2009، السنة26، كلية التربية، جامعة الكويت، ص61.

[3]- نفسه. ص61.

الأحياء المغلقة، وهكذا تصبح المشكلة بالنسبة إلى (ماكافي بروان) McAfee Brown مشكلة بنيوية [1]

أما حنّة أرندت Hannah Arendt فترى أن العنف يتميز بطابعه الأدواتي؛ إنه من الناحية الظاهرية قريب من القدرة بالنظر إلى أن أدوات العنف، كما هو حال بقية الأدوات، إنما صممت واستخدمت بهدف مضاعفة طبيعة القدرة حتى تستطيع أن تحل محلها، في آخر مراحل تطورها .

هناك عدة تعريفات تختلف بحسب استخداماتها ومقاربتها المؤطرة، وهو ما يجعلنا نقول أن هناك تعريفات ومقاربات عدة للعنف؛ ولسنا أمام مقاربة واحدة ووحيدة وكل مقاربة تعكس إدراكا معينا أو أسلوبا في التشخيص والاقتراح، فهناك مقاربات تحدد العنف في استخدام وسائل الضغط التي تحدد أو تُعمم إمكانية الغير في الاختيار، بل وتعدم حتى إمكانيات الإنسان في الرد، ويقوم تعريف العنف في هذه الحالة على تحديد آليات إنتاج مختلف أشكال الضغوط والوسائل التي يصل الإنسان بها إلى القتل والتدمير، ويمكن أن نقارن على هذا المستوى حالة العنف بحالة اللاعنف، أي تلك الوضعية التي يكون فيها الإنسان متحررا من وسائل الضغط والإجبار، بحيث يكون هو مجال الإقناع والتفاوض أو أي شيء من هذا القبيل، وهكذا عوض أن يتحدث الناس عن العنف يتحدثون عن حالة سكينة أو سلام. وهناك مقاربات أخرى تركز على أبعاد أخرى وتسعى لأن تتعدى الإكراه ووسائل الإكراه، كالقوة المجسدة في الآلات الإدارية والحربية والقمعية والزجرية للقانون. ولا تلغي هذه الأخيرة التعريفات الأولى بالضرورة، كما لا ننكر وجود استعمالها من طرف مجموعات أو حكام أو احتكار من طرف الدولة، ولكنها تركز على عوامل أخرى تحد من الحرية، ومن حرية النظر في الواقع المعيشي[2].

---

[1] –[1] باربرا ويتمر، **الأنماط الثقافية للعنف**، تر: ممدوح يوسف عمران، عالم المعرفة، (د، ط)، الكويت، صفر 1428، مارس2007، ص ص 9–10.

[2] – محمد بهاوي، المرجع السابق، ص16–17.

بالرغم من اختلاف الآراء في تفسير العنف وأسبابه ودوافعه وأهدافه القريبة والبعيدة، فإن أغلب علماء الاجتماع والفلاسفة و الأنثروبولوجيين متفقون على أنه ظاهرة اجتماعية، وأنه آلية من آليات الدفاع عن الذات ضد المخاطر التي تواجه الإنسان، ومن أجل البقاء والاستمرار في الحياة، وأن هذه الآلية الدفاعية هي إحدى الطاقات الغريزية الكامنة في الكائن الحي التي تستيقظ وتنشط في حالات دفاعية أو هجومية، يستوي فيها الإنسان والحيوان على حدّ سواء[1].

ما يمكن قوله في الأخير أن هناك عدة تعريفات للعنف سواء اللغوية أو الاصطلاحية؛ تختلف حسب استخداماتها ومقاربتها.

2- تقسيمات العنف:

هناك عدة تقسيمات للعنف، وذلك راجع إلى المرجعية المعتمدة من قبل الدارس، ولكن على العموم هناك ثلاثة أشكال رئيسية هي:

أ- **العنف الموجه للذات:** ينقسم هذا النمط إلى:

- **سلوك انتحاري:** ويتضمن السلوك الانتحاري وذلك منذ مجرد التفكير بالانتحار مرورا بالتخطيط لارتكابه حتى تنفيذ الفعل، والذي يدعى في بعض الدول أيضا الانتحار التظاهري أو الإصابة الذاتية المدروسة والانتحار التام[2].
- **انتهاك الذات:** ويشمل أعمال كالتشويه الذاتي.[3]

ب- **العنف بين الأشخاص:** والذي يقسم إلى:

[1] - إبراهيم الحيدري، **سوسيولوجيا العنف والإرهاب**، دار الساقي، ط1، لبنان، 2015، ص 17.

[2] - أحمد معد، **العنف لدى بني الإنسان**، مجلة جامعة الناصر، ع 4، يوليو-ديسمبر 2014م، ص219.

[3]- وناسي سهام، **العنف الأشكال والعوامل والنظريات المفسرة له**، مجلة أفاق العلوم، ع9- سبتمبر 1017، ص250.

- **العنف العائلي وبين القرناء وثيقي الصلة:** ويقع هذا النوع من العنف عادة في المنزل ولكن ليس بشكل مطلق، مثل انتهاك الأطفال وعنف القرناء وثيقي الصلة وانتهاك المسنين.

- **العنف المجتمعي:** وهو العنف الذي يقع بين أفراد لا قرابة بينهم، وقد يعرفون بعضهم أو لا يعرفون، ويقع بشكل عام خارج المنزل، مثل عنف العصابات والأعمال العشوائية من العنف أو الاغتصاب بوساطة الغرباء والعنف في المؤسسات كالمدارس وأماكن العمل والسجون[1]، إذا كان العنف بين أفراد الأسرة الواحدة فإنه يدخل في إطار العنف الأسري أما إذا وقع بين أشخاص ليسوا من أفراد نفس الأسرة، ولا تجمعهم صلة قرابة ولا يعرفون بعضهم، فإن ذلك يدخل في إطار العنف المجتمعي[2].

ج- **العنف الجماعي:** يتمثل في سلوك جماعي يقوم به أشخاص باعتبارهم أعضاء ينتمون. ويتأسس هذا العنف على الصراع حيث العنف والعنف المضاد وذلك لتحقيق أغراض اجتماعية[3]، وفيه يفترض وجود دافع محتمل للعنف ترتكبه الزمر الأكبر من الأفراد ويقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

- **عنف اجتماعي:** ويراد من وراء العنف الجماعي التعجيل ببرنامج خاص مثل جرائم الكراهية المرتكبة من قبل المجموعات المنظمة وعنف العصابات الإجرامية.

- **عنف سياسي:** ويشمل المعارك الحربية والعنف المرتبط بها وعنف الدول والأعمال المشابهة التي تنفذ بوساطة مجموعات أكبر.

---

1 - وناسي سهام، المرجع السابق، ص250.

2 - أحمد معد، **العنف لدى بني الإنسان**، مجلة جامعة الناصر، العدد 4، يوليو-ديسمبر 2014م، ص219.

3 - نفسه، ص219.

- **عنف اقتصادي:** وتشمل هجمات المجموعات الأكبر مكاسب اقتصادية كالهجمات التي تنفذ بهدف تعطيل الفعاليات الاقتصادية وتعطيل تحقيق الخدمات الأساسية، أو إنشاء تقسيمات أو تجزئة اقتصادية[1].

وهناك من يقسم العنف من حيث أساس المشروعية وعدمها فيقسم العنف إلى عنف مشروع وعنف غير مشروع ويقصد بالعنف المشروع ذلك العنف الذي يستخدم أداءً لواجب أو استعمالاً لحق[2]، أما العنف غير المشروع فهو الذي يخالف ما نص عليه القانون[3]، كما يمكن تقسيم العنف إلى عنف فطري وعنف مكتسب؛ عنف بدني وعنف نفسي، وهناك من يقسم العنف تقسيما ثلاثيا إلى عنف منظم وتلقائي ومرضي، ويقصد بالعنف المنظم ذلك العنف الذي يكون نتيجة تخطيط وتدبير، أما العنف التلقائي فهو ذلك العنف الذي يكون وليد اللحظة أو الموقف ويتم بشكل وليد اللحظة أو الموقف، ويتم بشكل عفوي كرد فعل لطبيعة الحدث دون تخطيط أو تدبير. وأخيرا العنف المرضي ويمارسه الأفراد الذين يعانون من أمراض عضوية أو نفسية أو عصبية تولد لديهم رغبة في ارتكاب العنف، كذلك هناك تقسيم ثلاثي آخر للعنف وهو العنف البدني والعنف الشفوي والعنف بالتسلط على الآخرين لأحداث نتائج اقتصادية ونفسية وعقلية واجتماعية، ويشترط لتوافر هذا النوع من العنف وجود النية لإحداث النتائج الضارة[4].

تختلف أشكال العنف وممارسته وتتغير من سلطة إلى أخرى تبعاً للظرفية التاريخية ولطبيعة السلطة في حد ذاتها والأسس الأيديولوجية التي تستند إليها، ومنها الأنظمة التي

---

[1] – وناسي سهام، المرجع السابق،ص250.

[2] – علي إسماعيل مجاهد، **تحليل ظاهرة العنف وأثره على المجتمع**، المركز الإعلامي الأمني، (د، ط)، (د، ت)، ص4.

[3] – سهير عادل العطار، **المدخل الاجتماعي لدراسة الأزمات بين التصورات النظرية والتطبيقات العملية**، مطبعة عين شمس، (د، ط)، القاهرة، 2005، ص 194.

[4] – علي إسماعيل مجاهد، المرجع السابق، ص ص 4-5.

قامت على خلفية أو أساس ديني أو على ضرعية دينية، فكما يمكن أن يستخدم الدين أداة سيطرة وإخضاع ومصالحة مع الواقع يمكن أيضاً أن يتحول إلى أداة تحريض وتمرد، وقد تكون ممارسة العنف في ظل الدولة التي تتدثر بالدين أكثر كثافة وأشد ضراوة من الدول الأخرى التي تستند إلى مرجعية دينية، إذ من السهل على الأولى أن تجد المبررات الدينية الكافية لممارسة فعلها ذاك من خلال استخدام النصوص الدينية وتوظيفها لممارسة عنفها وإحكام سيطرتها[1]، وهذا عنصر مشترك بين الدول التي استندت على خلفية دينية نصرانية أو إسلامية في كامل الحقب التاريخية كالدولة البيزنطية والدولة الأموية والدولة الفاطمية؛ هذه الأخيرة سنتطرق لها في دراستنا.

[1]- عبد اللطيف الحناشي، **السلطة والعنف في التاريخ الإسلامي الدولة الأموية أنموذجا**، مؤمنون بلا حدود، (د، ط)، المملكة المغربية، (د، ت)، ص3.

الفصل الأوّل: الدولة والرعية في المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي

- **أولا: الدولة الفاطمية بين الاستبداد والشورى**

1- السياسة الإدارية بين النص والممارسة

2- السلطة و السياسة العسكرية

- **ثانيا: الدولة الفاطمية بين السياسة المذهبية والمالية**

1- تصورات الحياة الدينية

2- السياسة المالية بين الإجحاف وتخفيف

الفصل الأوّل: الدولة والرعية في المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي

قامت الدولة الفاطمية في حدود عام (296هـ/909م) بالمغرب، وتوالى على حكمها في الفترة المغربية أربعة أئمة وأول من ولي منهم محمد بن عبيد الله المهدي (296-322هـ/909-933م)[1]، ثم ابنه القائم بأمر الله (322-334هـ/933-945م)[2]، فالمنصور بالله (334-343هـ/945-954 م)[3] ، فالمعز لدين الله (343-365هـ/954-976م)[1].

[1] - **عبيد الله المهدي:** يسمى عبيد الله أبا محمد سعيد بن الحسين بن عبد الله القداح، ويسميه بعضهم سعيد ين الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل، فيعتبره أصحاب التسمية الأولى من سلالة القداح؛ ويعتبره أصحاب التسمية الثانية من سلالة إسماعيل بن جعفر الصادق، كان وصوله إلى مصر في زيّ تاجر عام(289هـ/902م)، وظهر بسجلماسة في ذي الحجة عام (296هـ/909م) وسلم إليه بالإمامة وانفصل إلى رقاده، بنى المهدية واستقر بها عام (308هـ/920م) ملك عبيد الله المهدي إفريقية وجميع المغرب، وطرابلس، وبرقة، وجزيرة صقلية..... للمزيد ينظر: عبد الرحمن بن خلدون(732-808هـ/ 1332-1406م)، **تاريخ ابن خلدون المسمىّ: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج4، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د، ط)، لبنان،1421هـ/ 2000م، ص40. القاضي النعمان(ت636هـ/ 974م)، **افتتاح الدعوة**، تح: فرحات الدشراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الشركة التونسية للتوزيع، ط2، الجزائر، تونس، 1986م، ص157. عز الدّين أبو الحسن عليّ الشهير بابن الأثير(555-630هـ)، **الكامل في التّاريخ**، تح: أبو صيب الكرمي، بيت الأفكار الدّولية، (د، ط)، الأردن، (د، ت، ن)، ص1116. أبو عبد الله ابن عذاري المركشّي(ت712هـ/ 1312م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج1، تح: ج.س.كولان، إ. ليفي، بروفنسال، دار الثقافة، ط3،، لبنان، 1938م، ص206. حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف، **عبيد المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب**، مكتبة النهضة المصرية، (د، ط)، مصر، 1366هـ/1948م، ص77.

[2]- **القائـم بأمر الله:** بويع له يوم مات أبوه منتصف ربيع الأول من عام (322هـ/934م)، وتلقب بالقائم بأمر الله، وتوفى يوم الأحد الثالث عشر لشوال عام (334هـ/946م)، فكانت دولته اثني عشر سنة وسبعة أشهر، وعمره خمس وخمسون سنة، وافتتحت في أيامه مدائن كثيرة من مدائن الروم بصقلية، وثار عليه عدة ثوار كابن طالوت القرشي وزعم أنه ابن المهدي وكذلك مخلد بن كيداد....للمزيد أنظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص ص208- 216. عبد الرحمان، ابن خلدون، العبر، ج4، المصدر السابق، ص51. أبي علي منصور العزيزي الجوذرى (كان حيا في سنة 362هـ/973م)، **سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين**، تح: محمد كامل حسين، محمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، (د، ط)، مصر، (د، ت)، ص 46.

[33]- **المنصور بالله:** اسمه المنصور بالله لقبه أبو الطاهر، وكان يحب أن ينادى بإسماعيل تيمناً باسم جده الأكبر إسماعيل بن جعفر الصادق، ولد في القيروان عام (302هـ/914م) وليس المهدية كما ذكر تولّى الخلافة بعد وفاة والده القائم بأمر الله عام (334هـ/946م)، وكان في الثانية والثلاثين، قام بالقضاء على ثورة الخوارج، مات في المنصورية عام (341هـ/952م)، ومنه فقد عاش تسعة وثلاثين عاماً، أمضى منها سبعة أعوام في مقعد الخلافة للمزيد ينظر: عارف=

- **أولا: الدولة الفاطمية بين الاستبداد والشورى:**

تكمن أهداف السياسة الفاطمية في القضاء على الخلافة العباسية في المشرق، ولتحقيق ذلك لابد من دولة قوية ماليا وعسكريا في بلاد المغرب قادرة، وفي نفس الوقت وضع وتوطيد نظام محلي تحسبًا لكل طارئ يعيق تحقيق هذا المشروع، وهو ما طبع الإدارة الفاطمية خلال المرحلة المغربية بطابع الخصوصية في كونها نظاما عسكريا مركزيا جمع كل السلطات في يد الإمام؛ لكي يقف بقوة في وجه أي عائق يحول دون الوصول إلى الهدف المنشود لهذا تكونت إدارة خاصة تولت تسيير أمور الدولة في المجالين الدعوي والعسكري[2].

1 ـ السياسة الإدارية بين النص والممارسة:

إننا لندرك مدى صعوبة دراسة السياسة الإدارية للدولة الفاطمية في المغرب الإسلامي في إطار زمني ضيق إلى هاته المدة، حيث أن الفترة التي تهم موضوعنا لا تتجاوز نصف قرن، إذ استثنينا عهد المنصور لدين الله وقسماً من عهد القائم بأمر الله، وذلك أن التركيز على مؤسسات الدولة الفاطمية الذي كان من المفروض أن يرجع تاريخه إلى عهد مؤسس

=تامر، **المعز لدين الله الفاطمي واضع أسس الوحدة العربية الكبرى**، منشورات دار الأفاق الجديدة، ط1، بيروت، 1402هـ/ 1982م، ص ص51- 52.

[1] – **المعز لدين الله:** اسمه المعز لدين الله ولقبه معد وكنيته أبو تميم والده المنصور بالله وأمه أم ولد، ولد عام (319هـ/931)، في مدينه المهدية...تسلم الخلافة عام (342هـ/953م) عندما كان له من العمر 23 عاما، أدرك ثلاثة من الخلفاء الفاطميين هم: المهدي، والقائم والمنصور، تربى في قصور المهدية ونال الثقافة والعلم في جزيرة صقلية رحل من المغرب إلى مصر عام (361هـ/972م)، مات ودفن المعز في القاهرة عام (365هـ/976) فيكون عمره 46 عاماً قضى منها أربعة وعشرين عاماً في مقعد الخلافة للمزيد ينظر: عارف تامر، المعز لدين الله الفاطمي، المرجع السابق، ص 67.

[2] – بوبة مجاني، **النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي 296-362هـ/909-973م(الجزائر- ليبيا- تونس- المغرب)**، دار بهاء الدين، ط1، الجزائر،1430هـ-2009م، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن،1431هـ-2010م، ص63.

الدولة عبيد الله المهدي؛ لم يتم في الواقع بصورة منتظمة إلا بعد ذلك بنصف قرن، أي في عهد الإمام الرابع المعز لدين الله، إلا أن تنظيم الدولة لم يخط في إفريقية إلا خطواته الأولى، وسوف يتخذ بعد ذلك شكله الخصوصي والنهائي في مصر في فترة العزيز (365-386هـ/975-996م). وخلال عهد المستنصر المفرط الطول (427-487هـ/1036-1094م)، ولذلك فإن كثيرا من المؤرخين والكتاب ما يميلون إلى تجاوز الإطار الإفريقي الضيق أكثر من اللازم، للبحث أثناء الفترة المصرية عن صورة دولة منظمة تنظيما محكماً[1]. ولكن ما ميز هذه المرحلة هو توظيف الدولة الفاطمية النص الديني ومبادئ المذهب الإسماعيلي في الحكم، وهو ما سنحاول دراسته في الصفحات القادمة.

أ- رؤية الشيعة الإسماعيلية للإدارة:

عند استقراء مؤلفات علماء الدعوة الإسماعيلية المعروفة بكتب الحقيقة نجد أن العقائد الإسماعيلية تزخر بنظرات فلسفية إلى الكون والوجود وتنظيمات دعائية تستمد أصولها من حقيقة التوحيد الإسلامي ونظراته الشاملة"[2]، كما نلاحظ ونحن ندرس الناحية العقائدية والاجتماعية والسياسية للدعوة الإسماعيلية؛ أن التنظيم الإداري موازٍ لتصورهم للكون، فالعالم في نظرهم إنسان كبير مكلف بالعبادة[3]، ويسير وفق قوانين إلهية فهو بذلك إنسان كامل، والإنسان صورة مصغرة للعالم؛ لهذا يجب عليه أن يعمل للوصول إلى درجة الكمال التي عليها العالم، وبذلك فهو قادر على تسيير أموره، وقادرٌ على بلوغ التسيير الإلهي للعالم ليحقق الانسجام في عالم البشر كالانسجام

[1] - فرحات الدشراوي، **الخلافة الفاطمية بالمغرب(296-305هـ/909-975م) التاريخ السّياسي والمؤسسات**، تر: حمّادي السّاحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1994م، ص ص414-415.

[2] - أحمد حميد الدين الكرماني، (ت411هـ/1020م)، **راحة العقل**، تح: مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، لبنان، 1983م، ص33.

[3] - إخوان الصفا، **رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء**، مج2: الجسمانيات الطبيعيات، مكتب الإعلام الإسلامي، (د، ط)، إيران، 1405هـ/1985م، ص456.

الموجود بين الأجزاء الطبيعية[1]، وقد قُسم العالم عند الشيعة الإسماعيلية تقسيماً عرضياً إلى سبعة[2] أقسام، يقول نيسابوري: أن الإقليم الرابع الذي هو بإزاء السماء الرابعة، وبإزاء الشمس أعدل الأقاليم وأفضلها وأشرفها[3].

ويستشهد الشيعة الإسماعيلية عن الأضداد والغاصبين لموضع الإمامة بقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[4]. وقالوا إن الكواكب كثيرة التفاوت فيها وفي تفاصيلها وغاياتها، وذروتها في الشرف والفضل وهي الشمس وبها تستضيء الأبصار الجسدانية وبها ينمو ويتم كل حيوان ونبات ومواليد إذا لم يصل إليها تأثير الشمس لا تنمو، وكذلك الإمام فهو شمس الدين؛ منه تستضيء البصائر وتستضيء النفوس بنور الهداية والحكمة، وتضيء قلوب الأولياء، ومن هذه الجهة أشاروا إلى تعظيم الشمس ووقعوا في الشبهة لأنهم عرفوا المثل ولم يعرفوا الممثول، و حسب الرؤية الإسماعيلية أن النبي (ﷺ) حينما أشار إلى طلوع الشمس من المغرب كان القصد منه هو خروج الإمام من المغرب[5].

أما فيما يخص السياسة فنجد هناك عدة رؤى للشيعة الإسماعيلية نذكر منها:

---

[1] – بوبة مجاني، النظم الإدارية، المرجع السابق، ص59.

[2] – **سبعة:** يحتل رقم سبعة أهمية خاصة عند الشيعة الإسماعيلية، فسبعة يدل من عالم الإبداع على الحياة والعلم والقدرة والإرادة والبقاء، ومن عالم الملائكة على السبعة الذين هم دون الاثنين وهم الموكلون بالعالم، ومن عالم التركيب على الكواكب السبعة ومن أساليب العالم على الأيام السبعة ومن عالم الصغير على المنافذ السبعة في الوجه وهي الأذنان والعينان والمنفذان للنفس والفم وعلى الأعضاء السبعة في داخله القلب والكبدة والرئة والطحال والمعدة والكليتان والأمعاء، ومن عالم النفس على القوى السبعة العاذية والعاصمة والدافعة والماسكة والجاذبة والنامية والمصور، ومن عالم التأليف على الطواف السبع في الحج، ومن عالم التأويل على الأئمة السبعة في الدور الأصغر، وعلى أصحاب الأدوار السبعة في الدور الأكبر.... للمزيد ينظر: أحمد حميد الدين الكرماني(ت411ه/1020م)، **مجموع رسائل الكرماني**، تح: مصطفى غالب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، ط2، لبنان،1407ه/1987م، ص ص31-32.

[3] – أحمد بن إبراهيم النيسابوري(كان حي 411ه/1020م)، **إثبات الإمامة**، تح: مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ، 1416ه/ 1996م، ص36.

[4] – سورة التوبة، الأية 32.

[5] – النيسابوري، إثبات الإمامة، المصدر السابق، ص ص 35-36.

الأولى: عند النيسابوري منطلقا من قول الفلاسفة، فقد جعلوا السياسة ثلاث أقسام: السياسة الخاصة والسياسة الحامة والسياسة العامة، فقالوا إن سياسة الخاصة هي سياسة الرجل لنفسه، وسياسة الحامة هي سياسة الرجل لأهل بيته وعياله، وسياسة العامة هي سياسة المدن والأكوار [1].

ثانيا: أما علم السياسة عند إخوان الصفا هي خمسة أنواع: أولها السيّاسة النبوية؛ والثانية السياسة الملوكية والثالثة السياسة العامية والرابعة السياسة الخاصيّة والخامسة السياسة الذاتية[2].

[1] – **السياسة الخاصة:** قالوا إن سياسة الرجل لنفسه ينبغي أن تكون مترفعة ويمنعها عن جميع الرذائل والموبقات ويجنبها الأخلاق والعادات السيئة، أما عن **سياسة الحامة:** هي أن يسوس الرجل أهل بيته وعياله في حفظ صلاحهم وحملهم على التخلق بالفضائل والأخلاق الرضية، ويعاقب من يسيء منهم بالذم وغيره، ويثبت من أحسن منهم بالمدح وغيره، **وسياسة العامة:** هي سياسة المدن، ويسوس الرجل المدن في حفظ صلاح معاش أهلها، ويمنعهم من التخلق بالأخلاق الذميمة، والقيام بالأفعال الرديئة، ويحفظ لكل واحد منهم منزلته، فيعاقب المسيئ منهم بالذم، ويثبت المحسن منهم، وهذا الذي وضعوا عليه اسم السياسة، ولا يوجد في العالم ولا بين المدعين الإمامة، ولا بين السلاطين والملوك ولا في علمائهم من تتوفر فيهم كل هذه الصفات لأنها تجتمع إلا في الأئمة من آل محمد، وليس في العالم من عمل لإيجادها في من هم دونهم؛ والفلاسفة مجمعون على أن من لا يقوم بسياسة نفسه، لا تكون له السياسة على حامته، ومن لا يحسن سياسته الحامة؛ لا يستطيع أن يوفق في السياسة العامة بوجه من الوجوه، للمزيد ينظر: النيسابوري، إثبات الإمامة، المصدر السابق، ص55.

[2] – **السياسة النبوية:** فهي معرفة كيفية وضع النواميس المرضية والسنن الزكية بالأقاويل الفصيحة، ومداواة النفوس المريضة من الديانات الفاسدة؛ والآراء السخيفة، وهذه السياسة تختص بالأنبياء والرسل صلوات الله عليهم، وأما السياسة **الملوكية:** فهي معرفة حفظ الشريعة على الأمة، وإحياء السنّة في الملة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ بإقامة الحدود وإنقاذ الأحكام التي رسمّها صاحب الشريعة وردّ المظالم وقمع الأعداء، وهذه السياسة يختص بها خلفاء الأنبياء–صلوات الله عليهم والأئمة المهديّون الذين قضوا بالحقّ، و به كانوا يعدلون، وأما **السياسة العامية:** التي هي الرياسة على الجماعات كرياسة الأمراء على البلدان والمدن؛ ورياسة الدهاقين على أهل القرى؛ ورياسة قادة الجيوش على العساكر وما شاكلها؛ فهي معرفة طبقات المرؤوسين وحالاتهم وأنسابهم و ضائعهم ومذاهبهم وأخلاقهم و تراتيب مراتبهم، ومراعاة أمورهم، وتفقد أسبابهم وتأليف شملهم، و التناص بينهم، وجمع شتاتهم و استخداماتهم في ما يصلحون له من الأمور، واستعمالهم في ما يشاكلهم من صنائعهم وأعمالهم اللائقة بكل واحد منهم، وأما **السياسة الخاصية:** فهي معرفة كل إنسان كيفية تدبير منزله وأمر

وقد أوقف الإسماعيلية القدرة على سياسة الناس على أئمتهم ودونهم لا يمكن أن يصلح أمر الدين والدنيا؛ فهم المختارون والمنصوص عليهم، فلا يكونون بذلك إلا فوق البشر في سلوكهم وعلمهم وفضلهم، لهذا وجبت طاعتهم كطاعة الله والرسول، وعندما يتحقق ذلك يكون الانسجام بين الناس كالانسجام الموجود بين عناصر الطبيعة[1].

ويرى الشيعة الإمامية والإسماعيلية أن الإمام مع أنه لا يوحى إليه كالنبي فإنّه يتلقى الأحكام من العلم اللدنّي والتسديد الإلهي، فالنبي مبلغ عن الله والإمام مبلغ عن النبي، وهذا التصور جعل التشيع منذ محمد الباقر ليس مجرد حركة سياسية تستهدف رفع الظلم وإقامة دولة بديلة؛ بل حركة (تصحيحية) للمفاهيم القائمة ترمي إلى تحقيق ماهية الدين ووظيفته الكلية حسب تصورها، وبالتالي تصبح الإمامة لا ترادف الخلافة بالمعنى السني، والإمام لا يرادف الخليفة الحاكم، فصفات الإمام بحكم وظيفته المتممة للنبوة، هي صفات الأنبياء الإلهية والعصمة من الإثم والخطأ[2].

وقد لخص ابن خلدون (ت808هـ/1406م) ذلك بقوله: "ومذهبهم جميعا متفقين عليه أن الإمامة ليست من مصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ويتعين القائم بها بتعيينهم، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام، لا يجوز للنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، ويكون معصوما من الكبائر والصغائر، وأن عليا (ﷺ) هو الذي عينه، صلوات الله وسلامه عليه، بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم[3].

معيشة ومراعاة أمر خدمته وغلمانه وأولاده، وأما **السياسة الذاتية:** فهي معرفة كل إنسان نفسه وأخلاقه وتفقد أفعاله= =وأقاويله في حال شهواته وغضبه ورضاه والنظر في جميع أموره. للمزيد ينظر: إخوان، الصفا، رسائل إخوان الصفا، مج1، المصدر السابق، ص ص 273-274.

[1] – بوبة مجاني، النظم الإدارية، المرجع السابق، ص61.

[2]– حسين بوبيدي، **جدلية السلطة والفلسفة في العصر الإسلامي الوسيط إخوان الصفا أنموذجا**، الدار المغربية لنشر والتوزيع، دار الكلمة لنشر والتوزيع، ط1، المغرب، مصر، 1438هـ/2018م، ص69.

[3] – عبد الرحمن بن خلدون(732-808هـ/1332-1406م)، **المقدمة**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د، ط)، 1421هـ/2000م، لبنان، ص194.

ومع أن التشيع لم يكن يملك سلطة سياسية بسبب فشل ثوراته العديدة، إلى غاية قيام الدولة الفاطمية عام (296هـ/909م)، ثم الإمارة البويهية عام (334هـ/945م)، فإن أئمة الشيعة كانوا يمارسون سلطة كاملة على أتباعها سواء باعتبارها أحق بالأمر من غيرهم، وباعتبارهم الطريقة الوحيدة لفهم أحكام القرآن ونصوص السنة، إن الإسماعيلية قد استمرت في طرح نفسها كبديل للعباسيين[1].

ب- **طبيعة السلطة الفاطمية في المغرب الإسلامي:**

أُعتبرت السلطة الفاطمية في المغرب الإسلامي (297-362هـ/**909-973م**) مرحلة انتقالية بين مرحلتين مرحلة الدعوة والثورة ومرحلة الدولة في مصر، بالرغم من أنها سادت في فترة منقطعة مختلف أنحاء بلاد المغرب وناوشت الأمويين في الأندلس وسيطرت على صقلية انطلاقا من إفريقية[2]، فقد تغلبت الطبيعة العسكرية على سياسة الدولة الفاطمية بالمغرب نظرا لما تتطلبه المرحلة من الحزم، وقد جمعت كل السلطات في يد الإمام الخليفة[3]؛ لكي يقف بقوة في وجه أي عائق يحول دون الوصول إلى الهدف المنشود، لهذا تكونت إدارة خاصة بهذه المرحلة تولت تسيير أمور الدولة في المجالين الدعوي والعسكري[4].

---

[1] - حسين بوبيدي، جدلية السلطة والفلسفة، المرجع السابق، ص7.

[2] - عبد الكريم غلاب، **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي مغرب الأرض والشعب**، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1426هـ/ 2005، ص256.

[3] - **الإمامة:** عند الإسماعيلية إمامتان إحداهما أفضل وأوسع سلطة من الأخرى وهما: إمامة الاستيداع، وإمامة الاستقرار، فالأولى تمنح الحق في توريثها للأبناء، أما الثانية فهي تفويض مرحلي ومؤقت بالسلطة إلى أن يحين موعد ظهور الإمام صاحب الحق الذي يمارس كل سلطاته كإمام، أما المستودع فهو منفذ لأوامر المستقر، فالخليفة عبيد الله المهدي المستودع عندما انتصب للإمامة في بلاد المغرب كان القائم بأمر الله الإمام المستقر. للمزيد ينظر: بوبة مجاني، النظم الإدارية، المرجع السابق، ص ص123-124. إسماعيل سامعي، القاضي النعمان وجهوده في إرساء دعائم الخلافة الفاطمية والتطور الحضاري ببلاد المغرب القرن 4هـ/10م، مركز الكتاب الأكاديمي، ط1، (د، ب، ن)، 1431هـ/2010م، ص228.

[4] - بوبة مجاني، النظم الإدارية، المرجع السابق، ص63.

بوصفه الخليفة والإمام في نفس الوقت فإن سلطته الدينية والدنيوية تتجاوز الإطار الضيق للدولة فإلى جانب الأقاليم الإدارية توجد الكور الدينية أو الجزر الدينية[1]، وهو من الناحية النظرية صاحب الخلافة الشرعية، لأن الخليفة العباسي في بغداد؛ والخليفة الأموي في قرطبة ما هما سوى شخصين مغتصبين للحكم، ومن أجل ذلك تمتد سلطته الكلية إلى جميع أصقاع الأرض التي سيورثها الله للأئمة الفاطميين كما وعدهم بذلك في كتابه المبين[2].

ولهذا فقد جاء في مواضع مختلفة من كتاب المجالس والمسايرات للقاضي النعمان منها:"...وكان بعض الدعاة بجزيرة نائية في صُقع بعيدة يدعون إلى أولياء الله بعد دعاة تقدّموا قبْله في المكان الذي هو فيه، واستجاب لهم قبله وإليه خلق عظيم من أهل تلك الناحية....فاتصل بأمير المؤمنين المعزّ لدين الله... أنّ هذا الداعي الآخر أحدث فيهم حدثاً: وذلك أنّه دعا عالما كثيرا من المجوس وهم على دينهم لم يُسلموا.... فعظم على أمير المؤمنين من ذلك ما تناهى إليه وأكبره، وتبرأ إلى الله منه ولعنه، وأهمل أمره، واشتغل صدره، وكان قد أنفذ إليه رسلا من قبله، و طوى عنه ما هو عليه، وسأل الإمام الرسل عن ذلك، فأعلموه به، وكان فيهم خير، فعرفهم عظيم ما ارتكبه من ذلك، فتبرأ منه، وتابوا إلى وليّ الله من أتباعه على أمره، ودعاهم وطهّرهم....ثمّ سألهم ومن بالحضرة من أهل النّاحية غيرهم من أفضل من فيهم، فسموّا له رجلا، فكتب إليه بالعمل على تلك الجزيرة ..."[3].

- وقد كانت المنافسة في السلطة مرفوضة نهائيا في المذهب الشيعي الإسماعيلي، فكل سلطة تكون للإمام فهو الذي يعين من يخلفه فيها، وفي نفس الوقت يورثه العلم والحكمة لتمكينه من تأويل النصوص، ولكي لا يخطئ في تسيير أمور دولته، وهي في الحقيقة مصادرة لكل معارضة، فالإمام الإسماعيلي لم يصل إلى السلطة إلا بعد

[1] – بوبة مجاني، **الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي**، رؤية لنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2014، ص193.

[2] – فرحات، الدشراوي، المرجع السابق، ص419.

[3] – القاضي النعمان بن محمد (ت363هـ/974م)، **المجالس والمسايرات**، تح: الحبيب الفقي، إبراهيم شبّوح، محمد اليعلاوي، دار المنتظر، ط1، لبنان، 1996م، ص ص477-478.

أن ألغى المذهب الإسماعيلي إلغاءً كليا، وكل احتمال للمعارضة بجعل الإمامة تعيينا واختيارا من الله، وتوريث للنبوة بقدسيتها وحكمتها وعلمها وفضلها، وبذلك تكون سلطة الإمام مطلقة لا يحدها شيء، لأنها في ذاتها مصدرٌ من مصادر التشريع السماوي بعد القرآن والسنة.

وهكذا جعل الشيعة الإسماعيلية كل شيء في مذهبهم خفيا لا يعلم مكنونه إلا الإمام حتى يظل هذا الأخير على قدسيته وهيبته وكذلك سلطته الدينية والدنيوية[1]، وهذا ما تحدث عنه القاضي النعمان في افتتاح الدعوة: "...وإنّ لهم بكل جزيرةٍ من جزائر الأرض داعياً إليهم وبكلّ ناحية من نواحيهَا دليلاً عليهم..."[2]، ويمكن ملاحظة استبداد الإمام الفاطمي بالسلطة من خلال النقاط التالية:

- بالرغم من أن ولي العهد الشخصية الثانية في الدولة بعد الإمام، ويرث عنه السلطة والحكمة والعلم، وتعيينه يكون من قبل الإمام[3]، لكن ولي العهد تحبس قدراته العلمية والسياسية إلى أن يظهرها بعد وفاة الإمام وتوليه الإمامة لأنّه لا يمكن تعاصر إمامين ممارسين للسلطة في وقت واحد، غير أن القائم بأمر الله ولي العهد عبيد الله المهدي وحسب بعض المصادر مارس بعض السلطات؛ ولكن ليس كولي للعهد بل كإمام، باعتبار القائم بأمر الله إمام مستقر وعبيد الله المهدي إمام استيداع[4]، فالكتب كانت تنفذ باسمه ليس باسم الخليفة المهدي وهذه الكتب تختم بخاتم كتب فيه "من ولي عهد المسلمين..."[5].

---

[1] – بوبة مجاني، النظم الإدارية، المرجع السابق، ص122.

[2] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص2.

[3] – الجوذري، المصدر السابق، ص39.

[4] – بوبة مجاني، النظم الإدارية، المرجع السابق، ص 124. إسماعيل سامعي، المرجع السابق، ص 246.

[5] – أبي عبد الله محمد بن علي محمد الصنهاجي بن حماد(ت628هـ/1231-1232م)، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تح: التهامي نقرة، عبد الله عويس، دار الصحوة لنشر والتوزيع، (د، ط)، مصر، (د، ت)، ص25. مجاني، بوبة، النظم الإدارية، ص136.

ولم يمارس كل من المنصور بالله والمعز لدين الله أي سلطات عندما كانا وليا للعهد؛ الأول كولي عهد للقائم بأمر الله، والثاني كولي عهد للمنصور. نقلت بعض المصادر الشيعية تبرم وامتعاض المنصور بالله من هذا الأمر وعدم ممارسة سلطاته كإمام للمستقبل[1]، وانعكس هذا الموقف على علاقة الأب القائم الإمام بالابن المنصور كولي العهد[2].

- يتمتع الخليفة الفاطمي كغيره من الخلفاء العباسيين والأمويين في عصره بجميع الصلاحيات المنصوص عليها في كتب القانون العام، فهو يتصرف تصرفا مطلقاً في الإدارة المدنية والعسكرية بحكم اختصاصه ويمارس بنفسه السلطة التي لا يفوضها إلا لموظفين مختارين من بين أشد الأعوان إخلاصاً لشخصه، ولا يضطلعون بالمهام الملقاة على عاتقهم إلا بصورة مؤقتة وهم خاضعون لمراقبة مشددة ومعرَّضون إذا اقتضى الأمر لأقسى العقوبات[3]، أما الإشراف العام لكل أمور الدولة لم يفوض له الخلفاء الفاطميون أي شخص وظل الخليفة هو الذي يتولى كل أمور دولته وخاصته تقوم بتنفيذ أوامره و نواهيه، وكان التفويض الكلي السبب في الخلاف بين الخليفة الأول عبيد الله المهدي وداعيته أبو عبد الله الشيعي، فبعد أن أصبحت السلطة في يد الإمام أشار عليه الداعي بأن يلزم قصره ويترك له مباشرة الناس لأنه خبير بمعاملة كتامة؛ العصبية التي أقامت على أكتافها الدولة وهي التي يتشكل منها الجيش والجهاز الإداري، وأن الداعي عندما رأى أن عبيد الله المهدي، لم ينصب شخصاً يقوم بهذا الدور تطلع إليه، نظرًا للدور الذي قام به أيام الدعوة، فأراد أن يكون وزير

---

[1]- الداعي ادريس عماد الدين(872هـ/1488م)، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار**، تح: محمد اليعلاوي، الغرب الإسلامي، (د، ط)، لبنان، 1985، ص ص255-256.

[2] - الجوذري، المصدر السابق، ص64.

[3] - فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص419.

تفويض، لأن ترك كل الأمور في يده لا يعني تفويض كل أمور الدولة له، وهذا ما رفضه عبيد الله المهدي[1].

- بالرغم من المكانة التي حظي بها الأستاذ جوذر عند الخلفاء الفاطميين، لكن لم تفوض له أمور الدولة إلا في فترة خاصة، وفي ظروف خلال خروج المنصور بالله عندما خرج لمحاربة أبو يزيد مخلد بن كيداد[2]، فأعطاه مفاتيح المال واستخلفه على دار ملكه وسائر البلدان التي يحكمها، وبعد عودته إلى دار ملكه منتصراً، توقف جوذر عن ممارسة مهمته التفويضية؛ وعاد إلى مهمته التنفيذية، وهكذا فإن تفويض جوذر لم يكن تفويض مشاركة في السلطة، بل كان نيابة عند غياب الإمام، ولما اعتزم المنصور بالله على الخروج في طلب مخلد بن كيداد استخلف الأستاذ جوذر على دار الملك وسائر البلاد وأعطاه مفاتيح خزائن بيت المال، وكانت مكاتبة المنصور بالله ترد إليه من مدينة القيروان، الكتب باسم القائم بأمر الله بجميع ما يجري من أموره ووقائعه في جميع تلك الحروب المهولة بعد وفاة أمير المؤمنين القائم بأمر الله [3].
- في عهد المنصور كلف جوهر الصقلي[4] بالمهام الصعبة كالتعامل مع المعارضة المالكية، والتي شغلت الخلافة الفاطمية طيلة مرحلتها المغربية وفتح مصر وثوراته

---

[1] - بوبة مجاني، النظم الإدارية، المرجع السابق، ص141.

[2] - **أبو يزيد مخلد بن كيداد:** هو مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مخلد بن تبقراسن بن سميدان بن يفرن بن جانا، وهو من بني واركو إخوة مرنجيصة، وهو من بني يفرن وهم من بطون زناتة، ويعد أبو يزيد أحد زعماء الخوارج الإباضية النكارية وأئمتهم، وهو صاحب اكبر ثورة ثارت ضد الدولة الفاطمية وكادت أن تقضي عليها. للمزيد ينظر: البشير غانية، **ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد ضد الفاطميين ونتائجها على المغرب(331-336هـ/942-947م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، 2007-2008، ص ص 21-22-23.

[3] - الجوذري، المصدر السابق، ص44، بوبة، مجاني، نظم الإدارية، 142.

[4] - **جوهر الصقلي:** جوهر عبد الله أصله رومي كنيته أبو الحسن، قائد باني القاهرة والجامع الأزهر، من موالي المعز العبيدي(صاحب إفريقيا) وسيره من القيروان إلى مصر دخلها عام (358هـ/968م)، توفى في القاهرة عام =

في المغرب الأقصى...الخ؛ يمكن القول أن جوهر الصقلي مارس وظائف عديدة وتدرج فيها إلى أن بلغ مرتبة المشاورة والمساعدة أو ما يعرف بالوزارة، وبذلك يكون هو الذي هيأ لظهور هذه الخطة في مرحلة الدولة المصرية [1].

وقد ظل جوهر يتدرج في سلك المناصب ببلاد المغرب حتى اتخذه المعز لدين الله في عام (341هـ/923م) كاتبا له؛ ولقب منذ ذلك الحين" بجوهر الكاتب"، ولا بد أن يكون المعز قد خبر جوهراً وعرف ما امتاز به من الصفات والمزايا قبل أن يلي الخلافة بزمن طويل، إذ يبعد كل البعد أن يظفر جوهر بهذه السرعة بهذا المنصب الخطير، وأن يتخذه المعز كاتبا له عام (341هـ/923م) وهي نفس السنة التي ولي فيها الخلافة، وتعتبر الكتابة من المناصب العالية في الدولة و لا تسند إلا للذين التُمس فيهم الكفاءة والقدرة[2].

ما يمكن قوله عن السلطة الفاطمية بين النص والممارسة، كان يغلب عليها الطابع العسكري والمركزية والسلطة في يد الإمام الخليفة. ولم تظهر الوزارة إلا في المرحلة المصرية.

2-السلطة والسياسة العسكرية:

تميزت السياسة العسكرية للدولة الفاطمية في بلاد المغرب بثلاث ميزات أساسية وهي: سياستها مع القبائل المغربية، و إعطاء بعد ديني لسياستها العسكرية التي تمثلت في إعلان الجهاد ضد أهل البغي (هم المغاربة المعارضون والمختلفون معها في المذهب)، والميزة الثالثة هي " دار الهجرة " لما لها من بعد مذهبّي عسكري كبير.

= (381هـ/ 991م). للمزيد ينظر: ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص221، علي إبراهيم حسن، **تاريخ جوهر الصقلي قائد المعزّ لدين الله الفاطمي**، مكتبة النهضة المصرية، ط2، مصر، 1963م، ص ص 14-15. أزهار إبراهيم شفيق، **الجيش في الدولة الفاطمية(296-567هـ/908-1171م)**، وزارة التربية/ مديرية التلفزيون التربوي، ع54، رمضان1437هـ- حزيران2016م، ص234.

[1] - بوبة مجاني، المرجع السابق، ص ص143-144.

[2] - علي إبراهيم حسن، **تاريخ جوهر الصقلي قائد المعزّ لدين الله الفاطمي**، مكتبة النهضة المصرية، ط2، مصر، 1963م، ص ص 14-15.

أ- السياسة العسكرية للدولة الفاطمية اتجاه القبائل المغربية:

لقد كان الأئمة الفاطميون على دراية بتاريخ المنطقة. ويتضح ذلك من خلال سياستهم اتجاه القبائل المغربية[1]، فقد اختاروا منها القبائل العريقة التي تملك موروثا حضارياً كبيراً[2]، ولم توظف من قبل بمعنى أنها حاولت استثمار الطاقات الكامنة لهذه القبائل، واستغلال إمكانياتها المادية وقدراتها البشرية و أنساقها الاجتماعية، لخلق عصبية منسجمة تتمتع بهيبة كبيرة تمكنها من بسط نفوذها على المنطقة[3]، هنا نتحدث عن قبيلة كتامة[4].

كتامة إحدى العناصر المهمة للجيش الفاطمي في بلاد المغرب، بعدما قدمت ولاءَها وطاعتها لداعي أبي عبد الله الشيعي، فقد اقتنع هذا الأخير بهذه القبيلة بعد دراسة وضعها. ويتضح لنا ذلك من خلال الحوار الذي دار بينه وبين وفد حجاجهم الذي نقله لنا القاضي النعمان في كتابه افتتاح الدعوة؛ كان مما سألهم عنه أن قال لهم: كيف هي طاعتكم للسلطان وحكمه عليكم، فقالوا: ماله علينا من طاعة ولا حكم أكثر من أن نقول: إنه

---

1 - **أنظر الملحق**:01، ص166.

2 - القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص ص36.

3 - رضا بن النية، **صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر(80هـ-699م/362هـ-973م) دراسة اجتماعية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 1426-1427هـ/2005-2006م، ص76.

4 - **كتامة:** تتكون من عدة قبائل مستقرة تنتمي إلى مجموعة البرانس، وقد اختلفت الآراء في سبب التسمية، فالبعض ينسبها إلى الجد الأعلى"كُتام" أو" كُتم" والبعض يرجع التسمية إلى كلمة "الكتمان" التي أشار إليها الداعي في أحد أقواله المنسوبة للمهدي حين بيّن لأفراد هذه القبيلة بأن اسمها مشتق من الكتمان، ترجع جميع بطون كتامة إلى فرعين أساسين هما: 1- غرسين بن كُتام. 2- يسودة بن كتام.للمزيد ينظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص127. ابن خلدون، العبر، ج6، المصدر السابق، ص301. محمد عبد الله سالم العمايرة، **الجيش الفاطمي(297-567هـ/909-1171م)**، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، ط1، المملكة الأردنية الهاشمية، 1431هـ-2010م، ص ص57-58. مليكة حميدي، **إسهام القبائل المغربية في الحركة العلمية الأندلسية مابين القرنيين 3هـ-6هـ/-م-12م"قبيلة كتامة نموذجا"**، ضمن أعمال الملتقى الدولي الرابع التواصل الثقافي والاجتماعي بين المغرب الأوسط والأندلس بين القرنيين 03 و06 الهجريين، كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة حمّه لخضر-الوادي-، 12/11فيفيري 2019، ص525.

السلطان....، أما فيما يخص المجتمع القبلي الكتامي فقد كان سؤاله:".... فأنتم قبيل واحد؟ قالوا: يجمعنا اسم كتامة ثمّ نفترق قبائل وأفخاذ وبيوتات"[1].

أما عن وضعهم الأمني فكان سؤاله:"....قال: إن داهمكم غيركم تجتمعون؟ قالوا: ما رام ذلك منّا أحد قطّ. قال ولم؟ قالوا: لكثرة عددنا وامتناع بلدنا. قال: وكم يكون عددكم؟ قالوا: ما أحصى ذلك منا أحد ولا من غيرنا فيما علمناه قال: فعندكم الخيل والسّلاح؟ قالوا: أكثر كسبنا وبه نفتخر"[2].

وهذا ما أرادته الدولة الفاطمية، قبيلة لا تنتمي لسلطة سياسية وكثيرة العدد مهمتها القتال والحروب، تستطيع الاعتماد عليها، وهذا ما حصل فقد كان لكتامة الفضل الكبير في إقامة الدولة الفاطمية، وسطرت انتصارات كبيرة بما تملكه من قوة بشرية وأسلحة وفنون حربية إذ أرهبت العدو، مما أدى بالدولة الفاطمية أن تقربها وتعتمد عليها وأعدتها أحد الأركان الأساسية في المؤسسة العسكرية والاعتماد عليها ضد خصوم الخلافة[3]، وقد قام المعز لدين الله بالثناء عليهم وأشاد بفضلهم، وكان ذلك عند اقتراب عيد الأضحى، عندما سأل عن مجيء كتامة من الأقاليم لشهود العيد، فقيل له: يا أمير المؤمنين يتساربون وقد غص القصر بهم. فقال المعز لدين الله: بارك الله فيهم وكثّر أعدادهم، فما أسرني بهم وباحتفالهم[4].

والأسلوب نفسه استخدمته الدولة الفاطمية لاستمالة قبيلة صنهاجة[5]، فقد اجتمعت في صنهاجة صفات على قدر كبير من الأهمية بالنسبة للفاطميين جعلتهم يولونها أهمية كبيرة،

---

[1] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص ص36- 37.

[2] – نفسه، ص 38.

[3] – حازم وطن هندي، **قطاعات الجيش ووسائله الحربية في عصر الدولة الفاطمية**، مجلة الأستاذ، ع218، 1437هـ- 2016م، ص ص 21-22-23.

[4] – القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص ص 246-247.

[5] – **قبيلة صنهاجة:** كان أهل هذه الطبقة بنو ملكان بن كرت، وكانت مواطنهم بالمسيلة إلى حمزة إلى الجزائر والمدية و مليانة من مواطن بني يزيد وحصين و العطاف من زغبة، مواطن الثعالبة وكانت لهم حروب طويلة مع زناتة، وهم خلفاء الفاطميين في بلاد المعرب بعد رحيلهم إلى مصر. للمزيد ابن خلدون، العبر، ج6، المصدر السابق، ص1630.

في مقدمتها عداوتها لقبيلة الزناتة[1] وولائها لآل علي بن أبي طالب، وقوتها العسكرية المتنامية في المغرب الأوسط، إضافة إلى موقعها الجغرافي الممتاز واستقرارها في المناطق الزراعية، كل ذلك أهّلها لأن تصبح في مقدمة اهتمامات الدولة الفاطمية، لتجعل منها الحليف الجديد والبديل المرتقب لقبيلة كتامة التي بدأت تظهر عليها مظاهر الضعف وعدم قدرتها على مجاراة الأحداث التي تشهدها المنطقة خاصة في حروب الدولة مع زناتة والأمويين في الأندلس[2].

توطدت العلاقات بين صنهاجة والدولة الفاطمية منذ عهد القائم، الذي ساند أميرهم زيري بن مناد[3] في بناء مدينة أشير[4] عام (324هـ/936م)، وكانت استعانة الدولة بقبيلة صنهاجة أول مرة عام (333هـ/944م)، حين حاصر صاحب الحمار العاصمة المهدية[5]، فقد وقف الإمام المنصور بالله ستة أيام بموضع يقال له حائط حمزة[6]، وهذا يعكس لنا مدى رضى الخلافة عن خدمات صنهاجة؛ والتي جعلت المنصور بالله يأبى إلا أن ينزل في أحد مراكزها

[1] – **قبيلة زناتة:** واحدة من قبائل البتر كما ذكر ابن حزم وابن خلدون والمقريزي، وإذا كان البربر أشبه العجم بالعرب، فإن زناتة أشبه البربر بالعرب فقد أخذت زناتة بكل شعائر العرب من سكنى الخيام، واتخاذ الإبل وركوب الخيل، وألفت الترحال والظعن، وتعد زناتة من أكبر قبائل البربر بطونا وعددا، فقد تعددت بطونها واتسعت مواطنها حتى شملت كل بلاد المغرب بأقسامه الثلاثة وكذلك الأندلس، كما شاركت زناتة في كل الأحداث التي وقعت بالمغرب الإسلامي مشاركة فعلية حتى أنه لا يمكن كتابة تاريخ المغرب في أية مرحلة من مراحله أو بقعة من بقاعة دون ذكر لبعض بطون زناتية. للمزيد ينظر: يوسف إبراهيم سنوسي، **قبائل المغرب– زناتة والخلافة الفاطمية**–، مكتبة سعيد رأفت، ط1، مصر، 1986، ص55–56

[2] – طارق بن زاوي، **خدمات زيري بن مناد الصنهاجي ودورها في الدفاع عن الدولة الفاطمية العبيدية في بلاد المغرب (360هـ/ 935م– 971م–324هـ)**، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد09، ع1، 2019، ص15.

[3] – **زيري بن مناد:** كان من أعظم ملوك البربر، وكانت بينه وبين مغراوة من زناتة المجاورين له من جهة المغرب الأوسط حروب وفتن طويلة، ولما قامت الدولة الفاطمية ببلاد المغرب تحيز لها لأسباب مختلفة وكان من أعظم أوليائهم. للمزيد ينظر: ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص1630.

[4] – **مدينة أشير:** اختطها زيري بن مناد لتحصن بها في سفح تيطرا لهذا العهد حيث مواطن حصين، وحصنّها بأمر المنصور وكانت من أعظم مدن المغرب، واتسعت بعد ذلك خطتها و توسع عمرانها، ورحل إليها العلماء والتجار، ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج4، ص1630.

[5] – القرشي، زَهرُ المعاني، المصدر السابق، ص220.

[6] – ابن حماد، المصدر السابق، ص ص 67–69.

المعروف بحائط حمزة ويكافئها عن مجهوداتها الجبارة في إخماد ثورة مخلد بن كيداد ويشجعها على مواصلة نشاطها بإخلاص وإتقان[1].

في ظل هذه الظروف حاول المعز لدين الله الفاطمي أن يستثمر القوة العسكرية الضخمة لصنهاجة في استعادة نفوذه على الجبهة الغربية من المغرب، في هذا يقول ابن الأثير: "... ثمّ إن بلكين جمع فأكثر وقصد زناتة وأكثر القتل فيهم، وسبى نسائهم وغنم أولادهم، وأمر أن تجعل القدور على رؤوسهم ويطبخ فيها، ولما سمع المعز بذلك سرّه أيضا، وزاد في إقطاع بلكين مسيلة وأعمالها وعظم شأنه..."[2].

ما سبق بالنسبة يؤكد لنا أن الفواطم كانوا على دراية تامة بأوضاع بلاد المغرب وتركيبتها القبلية، إذ ما كادت أقدامهم تطأ المنطقة حتى اعتمدوا سياسة" فرق تسد" والتي كانت تقليداً ينتهجه كل طارئ جديد عليها لتفكيك وحدة المغاربة وتماسكهم وتبديد شملهم، ومحاولة خلق توازن بين قبائلهم حتى يسهل إخضاعهم، ولدعم هذه السياسة تبنى الفاطميون أسلوب "الترغيب والترهيب" لتحقيق مآربهم السياسية والمذهبية، فقد حرصوا على استمالة القبائل المغربية المنضوية تحت لوائهم وبالغوا في إكرامها ومباركة أعمالها ووسعوا من امتيازاتها، إلا أنهم كانوا لا يتوانون عن البطش بزعمائها إذا ما أحسوا منهم تقصيرًا أو محاولة عصيان [3].

ب- جهاد أهل البغي :

إن الجهاد عند الشيعة الإسماعيلية أصل من أصول الدين ولا يقوم أمر الجهاد إلاّ بالإمام، وذلك لأن الإمام بحاجة إليه ليحافظ على المسلمين وأموالهم وأعراضهم وممتلكاتهم وثغورهم وأسلحتهم ويرعى شؤون جنودهم وينقذ الأسرى منهم من أيدي الكفار ويفاديهم، ثم لا يجوز أن تخرج إلاّ وعليها أمير من جهة

[1] – القرشي، تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص 405.
[2] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ج8، ص625.
[3] – رضا بن النية، المرجع السابق، ص57.

الإمام، أو من جهة من أقامه الإمام، وحسب الشيعة الإسماعيلية فإن الإمام أعرف بأوقات الصلح وعقد الهدنة وهو الذي يعقدها، ويفاوض ويناقش بخصوصها، وهو الذي ينظر في أمر الأسرى فيعرف من يجوز عليه الفداء أو القتل[1].

الشيعة الإسماعيلية كانت لهم فرص عديدة لقتال أهل البغي[2]، وذلك في المغرب والأندلس والشام، وجعلوا مجابهة علي بن أبي طالب للبغاة في البصرة وصفين والنهروان المصدر الأساسي لتفكيرهم الجهادي ضد أهل البغي[3]، ويستشهدون في ذلك بقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[4]، ففرض الله عز وجل قتال أهل البغي كما فرض قتال المشركين، واستشهدوا في ذلك فيما روي عن عليّ (ﷺ) في ذكر قتال من قاتله منهم؛ فقال: ما وجدت إلاّ قتالهم أو الكفر بما أنزل الله على محمد (صلى الله عليه وسلم) ، و كذلك فيما روي عن أبي جعفر بن عليّ (ﷺ) أنه ذكر الذين حاربوا عليّا (ﷺ)؛ فقال: أما إنهم أعظم جرماً ممّن

---

[1] – أحمد بن إبراهيم النيسابوري(كان حي 411هـ/1020م)، **إثبات الإمامة**، تح: مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر، (د، ط)، لبنان، 1416هـ/1996م، ص66.

[2] – **أهل البغي:** هي الفئة التي تخرج عن طاعة الإمام لا يجوز له محاربته ولا القتال معه، ولا يحق له عقد الصلح والهدنة بمشاورته، وقال الشافعي: لو لا علي بن أبي طالب لما عرفنا قتال أهل البغي ولا الباغي من المح.للمزيد ينظر: النيسابوري، المصدر السابق، ص66. الداعي إدريس عماد الدين القرشي، (ت872هـ)، **زَهرُ المعاني**، تح: مصطفى غالب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزريع، ط1، لبنان، 1411هـ/1991م، ص ص 324-325-326.

[3] – محمد الرحموني، **الجهاد من الهجرة إلى الدعوة إلى الدولة، -بحث في مواقف العلماء المسلمين في القرنيين الرابع والخامس للهجرة**، دار الطليعة للطباعة والنشر، (د، ط)، لبنان، (د، ت)، ص97.

[4] – سورة الحجرات، الأية 9.

حارب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قيل له: وكيف ذلك يا ابن رسول؟ قال: لأن أولئك كانوا جاهلية وهؤلاء قرئوا القرآن وعرفوا فضل أولي الفضل؛ فأتوا ما أتوا بعد البصيرة[1].

بموازاة مجهودات علماء السنة فإن علماء الشيعة كانوا يأملون في إنشاء دولتهم الخاصة –دولة أهل الخير– كما يقول إخوان الصّفا، فالدولة التي كان الشيعة يطمحون إلى تأسيسها هي التجسيد العملي والفعلي لمقولة الجهاد لديهم: فدولة أهل الخير لا تقوم إلا على أنقاض دولة أهل الشرّ، والوسيلة إلى ذلك هي الجهاد[2].

هذه الدولة الشيعية مرّت تاريخيا من مرحلة" الطائفة" بحيّزها الجغرافي واستقلالها النسبي وبدائلها التنظيمية والدينية والاجتماعية إلى مرحلة" الدولة الإيديولوجية المضادّة un contre–état idéologique بجامعتها المتماسكة وهيكليتها المتشابهة لهيكلة الدولة العدوّة"[3].

ومن هذا المنطلق فإن حروب عليّ بن طالب (رضي الله عنه) ضد البغاة اعتبرت جهادا، وبنفس الطريقة تحدث القاضي النعمان في كتابه "افتتاح الدعوة" عن ثورات الفاطميين في المغرب وإسقاط الدويلات المغاربية على أنها جهادٌ ضد البغاة؛ فكثيرا ما ذكر كلمة الجهاد في أكثر من موقع في كتابه: "...فجراهم عبد الله خيرا وأسمعهم جميلا وحثهم على الجهاد والصبر[4] وتلا عليهم قول الله تعالى: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[5]. وفي موضع آخر على لسان الداعي أبي عبد الله الشيعي:"... ما كنت ممّن يستأثر بنفسه دونكم، ولا ممّن يرغب في الجهاد معكم فأحسنوا بالله ظنكم ولا تهنوا فتفشلوا وتذهب ريحكم..."[6]، ويروي في موضع آخر أثر خطابات الداعي أبي عبد الله الشيعي،

[1]– القاضي النعمان بن محمد، **دعائم الإسلام**، ج1، تح: آصف بن علي أصغر فيضى، دار المعارف، (د، ط)، مصر، 2003، ص388.

[2] – محمد الرحموني، الجهاد، المرجع السابق، ص ص 164–166.

[3] – نفسه، ص ص 164–166.

[4] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص57.

[5] – سورة البقرة، الأية 249.

[6] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص ص96 –101.

التي تحرض على الجهاد ضد أهل البغي على أتباعه: "...وقام أبو عبد الله الأندلسي على قدميه ابتهاجا بما سمع من ذلك ورأى من المؤمنين فقال: والله لقد ثبت أمر الله فيكم كما ثبتت هذه في هذه، وأومأ إلى أذنيه ورأسه، والله لو قابلتم هذه الجبال- وأشار إليها-بهذه النّيات لأنزلتموها".

بدأ جهاد الداعي أبي عبد الله الشيعي من أجل اتساع الدعوة، وامتداد" دار الهجرة" إلى أرجاء إفريقية[1]، وحتى بعد قيام الدولة الفاطمية، بقيت الدعوة للجهاد ضد أهل البغي؛ وهذا ما يؤكده نص الرسالة التي كتبها الإمام الثاني القائم بأمر الله (322-332هـ/934-946م) إلى شيعة اليمن يدعوهم إلى الهجرة إلى المغرب والجهاد معه؛ فقد جاء في استفتاح الرسالة: "...بسم الله الرحمن الرحيم الله ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل، المنصور بالله تعالى...الحمد لله الذي جعل الجهاد سنام الدين..."[2].

وفي موضع آخر من نفس الرسالة ذكرهم بفريضة الجهاد: "افترض الله عليكم جهاد عدوكم ..."، ثم حثهم للهجرة له والجهاد معه:"...قد دعوتكم إليه باسم الفرائض وأشرفها فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتحل المكاسب وترد المظالم وتعم الأرض وينتصر من الأعداء ألا وإن الجهاد في سبيل الله سنام الدين وسبيل الأنبياء والصالحين وعمود تقوى رب العالمين..."[3].

وفي الأخير يمكن القول أن الدولة الفاطمية في بلاد المغرب اعتمدت على الجهاد ضد أهل البغي -على لسان القاضي النعمان- كوسيلة من وسائل سياستها العسكرية في المغرب لإعطاء الشرعية لدولتها.

---

[1] - علي حُسني الخربوطلي، **أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية**، المطبعة الفنية الحديثة،(د، ط)، 1972م، ص48.

[2] - أبو القاسم(الداعي إلى نفسه بالديار اليمنية) (ت334هـ/945م)،**الرسالة الإمامية إلى أهالي الممالك اليمانية(مخطوط)**، المكتبة الوطنية، الرقم604، الجزائر، ص1.

[3] - أبو القاسم، المصدر السابق، ص ص 4-5.

ج- دار الهجرة:

أطلقت "دار الهجرة" على القرى والمدن في بعض الأقاليم التي يتوقع أن تظهر فيها ومنها الدولة الشيعية الإسماعيلية، والتي اتخذت كمستقر للدعوة في الفترة السرية، ثم على عاصمة الدولة الفاطمية فيما بعد، وكان اتخاذها ضمن سياستهم العسكرية والمذهبية، مع الاختلاف الواضح بين دار الهجرة في مرحلة الدعوة (الثورة) ودار الهجرة مرحلة الدولة، وهذا ما سنحاول دراسته مع توضيح دار الهجرة وعلاقتها بالسياسة العسكرية للطائفة الشيعية الإسماعيلية[1].

1- دار الهجرة في مرحلة الدعوة (الثورة) :

اتخذ أبو عبد الله الشيعي تازورت[2] ثم ايكجان[3] ببلاد كتامة كدور هجرة لدعوته، وكانت عبارة عن قواعد عسكرية ومذهبية وإيديولوجية، لذلك اختارها بعيدة عن الطرق التجارية والمراكز الحضارية والمدن الكبرى، واختارهما لحصانتهما الطبيعية، والأصل في اتخاذها هي المرحلية؛ أي أنها غير دائمة كمستقر للسلطة سيتم التخلي عنها، و هذا ما حدث بالفعل لكل من دور الهجرة في بلاد كتامة تازورت وايكجان، الأولى هدمها وأحرقها الجيش الأغلبي

[1] - بوبة مجاني، الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي، رؤية لنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2014، ص ص190-198-199.

[2] - **تاصروت أو تازورت:** تقع في بكتامة جعلها أبو عبد الله الشيعي عاصمة لعملة الدعوي والثوري"دار هجرة"، ابتنى بها قصرا وأقلع أنصاره دوراً حول قصره، وقدم ألاف الشيعة يشيدون لهم بيوتا، حتى تكامل شكلها " للمزيد ينظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص117، الخربوطلي، أبو عبد الله الشيعي، المرجع السابق، ص43.

[3] - **ايكجان:** تقع إيكجان بمنطقة دارة بني عزيز(ولاية سطيف)، بعيدا عن العلمة بحوالي30كلم وعن سطيف بحوالي 61كلم، وتم تحديد إحداثياتها عند نقطتي 355 و356 شمالا/جنوب، و763و765 شرق/ غرب، بالنسبة لمدينة بني عزيز، حدّد موسى لقبال، موقعها بين قسنطينة جنوباً وميلة شمالاً وسطيف غرباً، وقرّبها كثيرا من الباحثين المعاصرين من مدينة سطيف. للمزيد ينظر: محمد الطيب عقاب، عز الدين بويحياوي، **موقع ايكجان بين المسح الأثري والنصوص التاريخية**، (د،ت)، ص11. النعمان، القاضي، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص47-48 . للمزيد ينظر: القرشي تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص89.

وتحالف القبائل الكتامية، والثانية تخلى عنها الإمام المهدي باتخاذ مدينة رقادة عاصمة لدولته قبل أن يتخذ المهدية دار الهجرة جديدة [1].

إن كون (تازورت وايكجان) دار هجرة في مرحلة الدعوة وثورة يهاجر إليها الأتباع استعدادا للجهاد، فإن العمران فيها غير مطلوب في مثل هذه الحالة، لأنها مؤقتة وعسكرية لا يبني فيها إلا ما تتطلبه هذه المرحلة[2]، وهذا ما كشفه المسح الأثري إذ لم يبق من هذا الموقع إلا بعض أجزاء من السور الدفاعي الذي كان يحيط بـ"المدينة" أو القلعة حسب الآثار المتوفرة داخل السور[3].

2- المهدية دار هجرة:

أمر عبيد الله المهدي بعمارة المهدية[4]، فلما أتمها وأكملها انتقل إليها وجعلها دار الهجرة[5]، وقد اختلفت دار الهجرة في مرحلة الدعوة (الثورة) عن دار الهجرة بمرحلة الدولة،

---

[1] – القرشي، تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص220.

[2] – بوبة مجاني، الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي، المرجع السابق، ص201

[3] – محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص11.

[4] – **المهدية:** تقع المهدية على بعد 205 كلم من تونس على الساحل الشرقي في البلاد التونسية، بنيت المهدية على يد الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي في عام (303هـ/915م) وفرغ من بنائها عام (308هـ/920م) وهي مدينة تطل على البحر. وكانت من أسباب بناءها أن المهدي أراد يتخّذها معصماً لأهل بيته لما كان يتوقعه على الدولة من الخوارج، ويحكى عنه أنه قال بنيتها لتعتصم بها الفواطم ساعة من نهار. للمزيد ينظر: أبي عُبيد البكري(ت487هـ/1094م)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب هو جزء من مسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، (د، ط)، مصر، (د، ت)، ص29، أبو إسحاق إبراهيم محمد الفارسي الإصطخري(ت346هـ/957م)، المسالك والممالك، مكان وجودها، ليدن، هولندا، رقم الحفظ، 3101. ابن خلدون، العبر، ج4، المصدر السابق، ص ص 43-50. تقي الدّين أحمد بن علي المقريزي (ت849 هـ/1445م)، اتعاظ الحُنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا،ج1، تح: جمال الدّين الشيّال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط2، مصر، 1416هـ/1996م، ص47.

[5] – القرشي، زهر المعاني، المصدر السابق، ص220.

لأن دار الهجرة في هذه المرحلة الأخيرة كانت عاصمة الدولة، فنوعية العمران وحجمه اختلف كليّا عما كان موجوداً في المرحلة الأولى[1].

وما يمكن قراءته من خلال المصادر الشيعية أن المهدية في نظر السلطة لم تكن هي المستقر النهائي لأتباع المذهب لأن حلم العودة إلى المشرق ظل قائما، لهذا كانت هذه المدينة مجرد "دار هجرة" مؤقتة، ولهذا ظل أئمة المرحلة المغربية يدعون الأتباع إلى الهجرة للمهدية والالتفاف حول الإمام والمجاهدة معه، والرسالة التي بعث بها القائم إلى طائفة الشيعة إسماعيلية باليمن يحثهم فيها على الهجرة إلى دار الهجرة والجهاد معه، ومما جاء فيها: "...وتطهير البلاد من أهل الجور والفساد، ألا وإن الذي قد دعوتكم إليه باسم الفرائض وأشرفها فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتحل المكاسب وترد المظالم وتعم الأرض وتنصف من الأعداء، ألآ وإن الجهاد في سبيل الله سنام الدين وسبيل الأنبياء والصالحين وعمود تقوى ربّ العالمين..."[2].

عندما أسس المهدي مدينة المهدية اهتم بالتحصينات العسكرية دون الاهتمام بالمنشآت الدعوية، أي أنّه لم يؤسس بها دار الدعوة لأن حاجة الدولة إلى البقاء في هذا الوسط العدائي يحتاج إلى القوة العسكرية قبل كل شيء، كما أن المشروع السياسي الفاطمي يهدف إلى العمل من أجل العودة إلى المشرق. وبالتالي فالقوة العسكرية مطلوبة في هذه المرحلة ويمكن أن نطلق على هذه المرحلة بالمرحلة الدفاعية[3]، ويتضح من خلال المعطيات التي تقدمها المصادر أن خطط المهدية لم تتعدد فيه المساجد وهذا يؤكد دائما أن المهدي اهتم بالمنشآت العسكرية على حساب المنشآت الدينية الدعوية[4]، فهناك إشارتان إلى وجود المساجد في المهدية؛ فالإشارة الأولى في سيرة الأستاذ جوذر عن مسجد دار بالمهدية بقوله:

---

[1] – بوبة مجاني، الإسماعيليون، المرجع السابق، ص199.

[2] – أبو القاسم، المخطوط السابق، ص5.

[3] – بوبة مجاني، الإسماعيليون، المرجع السابق، ص21.

[4] – ياسين الأكحل، المرجع السابق، ص118.

"....كان الأستاذ قد أطلع مولانا برقعة يذكر ما ورد به كتاب صافي متولي-خزائن البحر بالمهدية- من اعتزامه على خزن الأزواد النافذة إليه في مسجد عند دار الشامة، فلما وقف على ذلك صعب عليه أن يستعمل المسجد مخزونا فوقع إليه: "يا جوذر وهبك الله السلامة في دينك ودنياك، وقفنا على ما ذكرته عن صافي، فأكتب إليه بأن لا يقرب المساجد ولا يخزن فيها..."[1].

أما الإشارة التاريخية الثانية ما ذكره ابن الأثير حول التجاء الشيعة الموجودين بالمهدية عام (407هـ/1016م) إلى الجامع عند حوادث تقتيل الشيعة بإفريقية فقال في هذا: "...ولجأ من كان منهم بالمهدية إلى الجامع فقتلوا كلهم..."[2].

ما يمكن قوله أن المهدية شيدت لدوافع أمنية وسياسية بالدرجة الأولى. وقد تم مراعاة ذلك من خلال انتشار الأبراج، والحرص على متانة البنيان وصلابته وعلوه، ومراعاة المواد المستعملة والهندسة، ومراعاة العناصر الكفيلة لتوفير الأمن للمدينة[3].

ثانيا: الدولة الفاطمية بين السياسة المذهبية والمالية:

1- تصورات الحياة الدينية :

عرف المغرب التشيع العام على يد الداعيتين أبي سفيان والحلواني[4]، قيل أن أبا عبد الله جعفر بن محمد (ت 148هـ/ 765م)[1] بعثهما وأمرهما أن يبسطا ظاهر علم الأئمة،

[1] - الجوذري، المصدر السابق، ص102.

[2] - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص293.

[3] - رمزي الوغانمي، **الحياة اليوميّة بالقصور الأميرية خلال الفترة الأغلبية والفاطمية**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علوم التراث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، تونس، 2009-2010م، ص26.

[4] - **الداعيان أبو سفيان والحلواني:** قدما إلى المغرب في سنة خمسة وأربعين ومائة من المشرق قيل أن أبا عبد الله جعفر بن محمد بعثهما وأمرهما أن يبسطا ظاهر علم الأئمة، وينشرا فضلهم، وأمرهما أن يتجاوزا إفريقية إلى حدود البربر ثم يفترقان فينزل كل واحد منهما ناحية، فنزل أبي سفيان بموضع يقال له تالا، فيرجع له الفضل في تشيع أهل مرجانة، وكذلك الأربس، ويقال أنّه كان أيضاً سبب تشيع أهل نفطة، أما الثاني فيعرف بالحلواني أنه تقدم حتى وصل إلى سوجمار، فنزل منه بموضع يقال له الناظور وتشيع كثير منهم على يده من كتامة ونفزة وسماتة وكان يقول لهم: بعثت أنا وأبو=

وينشرا فضلهم[2]، ولقد نجحا في حرثهما، حيث صنعا في نفوس الكتاميين أرضية ملائمة تقوم على الكتمان والتقية، والانتظار الذي يُمارس كطقس يقع ضمن فلسفة المهدوية، لذلك فالمؤشرات كلّها مخفية ومُستترة، كما لا يُستبعد أن يكون لوجود الدولة الإدريسية منذ (172-313هـ/788-925م) أثر في انتشار المذهب الشيعي في بلاد المغرب[3].

و مع دخول أبو عبد الله الداعي الشيعي إليها عمل على نقل المغرب من التشيع العام إلى التشيع الخاص (المذهب الشيعي الإسماعيلي)؛ فقد كانت الدعوة الشيعية في اليمن أواخر القرن الثالث هجري/ التاسع ميلادي ظاهرة عندما أرسل أبو القاسم بن حوشب داعي اليمن أبا عبد الله الشيعي صاحب البذر في وفد كتامة من الحجيج الذين رحبوا به واهتموا لأمره، لأنه كان من بينهم من تلاميذ الحلواني ومن يقول بحق علي وبنيه بالإمامة[4]، كحريث الجميلي، وموسى بن مكارم[5]، وهذا ما لمسه الداعي بعد قدومه إلى المغرب والاستقرار في كتامة فقد نقل لنا القاضي النعمان: "... فلما كان آخر المجلس وأراد القيام نظر إليه أبو المفتش وقال: والله إنّي لأظنّك صاحب البذر الذي يذكره الحلواني ...فلّما خرج أبو المفتّش قال لأصحابه: لولا واحدة كان الحلواني يقولها ما يُخالجني الشّك في أن هذا الرّجل هو الذي

=سفيان فقيل لنا: اذهبا إلى المغرب فإنكما تأتيان أرضا بُوراً فاحرثاها وكربّاها وذللاها إلى أن يأتيها صاحب البذر، فيجدها مذللة فيبذر حبّه فيها. للمزيد ينظر: القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص ص 27-29.

[1] – زاير أبو الدهاج، **العقيدة والدولة في المغرب الوسيط فلسفة السلطة وحركة التاريخ**، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة وهران، 2012-2013م، ص81.

[2] – يقدم القاضي النعمان المعلومة المتعلقة بجعفر الصادق ودوره في وصول الداعيان الشيعيان لبلاد المغرب بصيغة غير جازمة؛ فهو لا يجزم ولا يؤكد أن الإرسال تم من طرف الإمام الشيعي السادس أبا عبد الله جعفر(ت148هـ/765م)، وتبدوا الإشارة إليه بهذه الصيغة محاولة من القاضي النعمان لمنح الشرعية للدعوة الإسماعيلية وللخلافة الفاطمية في مواجهة خصومها داخل التيار الشيعي، للمزيد ينظر: حسين بوبيدي، **أبو سفيان والحلواني ببلاد المغرب دراسة في النصوص ومقاربات حول مجالات النشاط والتأثير**، أعمالا الملتقى 19 للتاريخ الموسوم أعلام منطقة قالمة والشرق الجزائري المنعقد بقالمة يومي 5 و6 ماي 2015، مجلة المعالم،ع18، محرم 1437هـ/نوفمبر 2015م، ص36.

[3] – زاير أبو الدهاج، المرجع السابق، ص ص82-83.

[4] – نفسه، ص83.

[5] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص34.

كان الحلواني يبشر به. قالوا: وما هو يا أبا حيّون؟ قال: كان إذا وصفه قال في فيه أصبع. فبلغ أبا عبد الله، فتبسّم وقال: هذا لا يكون، فلّما أخذ العهد بعد ذلك على من سمع من أبي المفتّش واشترط الكتمان وضع أصبعه على فيه وقال: هذا لهو الأصبع الذي يقوله الحلواني، أمركم بالصّمْتِ والكتمان..."[1].

لهذا فبعد استقراره بكتامة أقبل الناس عليه وتسامعوا له، فكان يجلس لهم ويحدثهم بظاهر فضائل عليّ بن أبي طالب، فإذا رأى الواحد منهم بعد الواحد قد يقن عنه وأحسّ فيه ما يُريدُه ألقى إليه بشيء من علم الباطن، حتى يُجيبه فيأخذ عليه[2].

أ- المدرسة الفكرية الإسماعيلية في بلاد المغرب الإسلامي:

اختار التنظيم الدعوي كتامة لتكون قاعدته لنشر وتكوين المدرسة الفكرية الإسماعيلية في بلاد المغرب؛ وكذلك قاعدته العسكرية لإقامة الدولة، لأنها تتميز بطبيعة جبلية وعرة وببعدها عن مركز السلطة بمدينة القيروان، وهذه الطبيعة الجغرافية والبعد فرضا عليها عزلة فكرية وعلمية فيما كان يدور من صراع فكري ومذهبي ومناقشات كلامية في القيروان وبعض الأمصار المغربية مثل فاس وتيهرت وغيرهما، وما يجب التنبيه له هو أن التنظيم يريد منطقة صالحة للعمل العسكري بعد الحصول على النصرة السياسية أكثر مما يسعى للحصول على مرتكز فكري لتطوير المذهب، لأن الفكر قد تمت صياغته وحددت أبعاده وأهدافه ووضعت أسسه وبرامجه في المشرق أيام الأئمة الأوائل منذ نهاية القرن الأول الهجري/السابع الميلادي[3].

---

[1] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص ص41-42.

[2] – نفسه، ص49. القرشي، تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص ص 88-89.

[3] – مجاني بوبة، **دراسات إسماعيلية**، مطبوعات جامعة منتوري قسنطينة،(د، ط)، الجزائر، 2002-2003، ص ص 80-81.

أ- أعلام المدرسة الشيعية الإسماعيلية في المغرب:

عمد المهدي إلى نشر المذهب الإسماعيلي بين أتباعه في بلاد المغرب عن طريق نشر علم الآباء من خلال إنشاء مدارس للطالبين أين يتولى الدّعاة والمعلمين التعليم والتدريس فيها[1]، ومن بينهم "أفلح بن هارون الملوسي[2] فكان هذا الأخير قد جمع مع الدعوة علوم الفقه لأنه أدرك الحلواني وكان يحدث عنه، ونسخ كثيرا من كتب الفقه والآثار والفضائل وخُطب علي بن أبي طالب (ﷺ) وعلى الأئمة من ولده، وسمعت عنده الدعوة النساء أيضا، وخاطبهن بالدلائل التي تقبلها عقولهن ويحفظنها، وكان يقول: "فلله الحُجة البالغة، قال: هي الحجة التي يخاطب بها العالم من علمه ويخاطب به الجاهل من حيث يعقل"[3]، لقد كان يخاطب المرأة ويقيم لها الدليل من حليها وخاتمها وقرطها وتاجها وخناقها وخلخالها وسوارها وثوبها وعجارها، ثم من المغزل والمنسج واللباس والشعر وغيره مما هو من خلقة النساء، وكان يخاطب الصانع من صناعته ويخاطب الخياط من إبرته وخيطه وخلقته ومِقصه ويخاطب الراعي من عصاه وكسائه وقرنه وكرزيته، فيقول ابن الهيثم فيه: "... فما أعرف اليوم من يفي بهذا ولا من يقوم به قيامي ولا من يحفظه حفظي..."[1].

وعلى الرغم من المكانة التي بلغها الداعية الكتامي الملوسي؛ إلا أن المصادر الشيعية عندما تحدثت عن إنتاجه الفكري الذي أسهم به في بناء المدرسة الشيعية

[1] – زاير أبو الدهاج، المرجع السابق، ص85.

[2] – **أفلح بن هارون، الملوسي:** هو أحد دعاة عبيد الله المهدي وقد ذكره أبو عبد الله جعفر بن محمد بن أحمد بن الأسود بن الهيثم في بعض ما ألفه فقال:" ما نسيت فلا أنسى داعي ملوسة وشيخ الجماعة وفقيهها أفلح بن هارون الملوسي وقد كان جمع مع الدعوة علوم الفقه و انتسخ كثير من كتب الفقه والآثار والفضائل وخطب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ض) وعلى الأئمة من ولده، وسمعت عنده دعوة النساء وما يخاطبهنّ من الدلائل التي تقبلها عقولهن ويحفظنها. للمزيد ينظر: القرشي، تاريخ الخلفاء، ص ص211-212.

[3] – أبي عبد الله جعفر بن أحمد بن محمد بن الأسود بن الهيثم(ت430هـ/1039م)، **كتاب المناظرات**، ص ص 121-122-123. نشر ضمن:

Wilferd Madelung and Paul E. Walker, The Advent of the Fatimids Contemporary Shi'I Witness, London,New York, IB, Tauris,200.

الإسماعيلية في المغرب تذكر أنه كان له كتب في الآثار وفضائل آل البيت ولم تكن فقهية وبذلك يكون دون شك قد ساهم في عملية جمع التراث الإسماعيلي الذي استكمل جمعه القاضي النعمان فيما بعد[2].

ومن العلماء الأعلام في المدرسة الشيعية الإسماعيلية في بلاد المغرب الحسن بن أحمد (ت321هـ/933م)، المعروف بباب الأبواب[3]، له تأليفات عديدة في المذهب، منها الكتاب المعروف بـ "أمهات الإسلام"، ردّ فيه على الفلاسفة المعطّلين، واحتجّ فيه على إثبات التأويل، وأوضح في وجوبه الدليل، وكان له عند الأئمة المكانة الجليلة والمنزلة الرفيعة [4].

ومن الدعاة الذين كانت لهم مؤلفات وعاصرُوا الخليفة المهدي أحمد بن الأسود بن الهيثم صاحب "كتاب المناظرات"[5] الذي نقل عنه أخبار الدعوة والدولة إدريس القرشي (ت872هـ/1488م)[6].

يعد القاضي النعمان[1] من أكثر الشخصيات الإسماعيلية ديناميكية وإثراء لمنظومة "الدعوة الإسماعيلية" فهو وليد تلك البيئة التي مهدت الطريق وبسطته لجمهورها، سواء في الفترة

[1] – ابن الهيثم، المصدر السابق، ص ص 121-122-123.

[2]– بوبة مجاني، الإسماعيليون، المرجع السابق، ص36.

[3] – **الداعي الحسن بن أحمد:** أبو علي الحسن بن أحمد بن داود بن محمد ابن ميمون بن عمروا بن عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم المعروف ب" باب الأبواب" وكان الداعي الحسن بن أحمد من العلماء الأعلام أهل الفضل والسابقة مع الأئمة، وله تأليفات جمّة، منها الكتاب المعروف ب"أمهات الإسلام"، ردّ فيه على الفلاسفة المعطّلين، وعلى الأمم المخالفين للإسلام، واتجّ فيه على إثبات التأويل، وأوضح في وجوبه الدليل. وكان له عند الأئمة المكانة الجليلة والمنزلة الرفيعة، وكان أيّام سار المهديّ من المشرق، في مصر يدعو إلى الأئمة، ثم وفد على المهديّ بعد ظهوره، توفي يوم (الخميس 14ربيع الأول321هـ/18 مارس 933م) وصلى عليه القائم بأمر الله وتولّى دفنه.. للمزيد ينظر: القرشي، تاريخ الخلفاء، ص ص211-212.

[4] – نفسه، ص ص236-237.

[5] – ابن الهيثم، كتاب المناظرات، المصدر السابق، ص123.

[6] – القرشي، تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص 212. بوبة مجاني، دراسات إسماعيلية، المرجع السابق، ص 98.

الدعوية للانتشار الشيعي بإفريقية والمغرب الأوسط أو في فترة التأسيس وبناء الدولة العقائدية، كما كان من بُناة الجهاز التشريعي للخلافة الفاطميّة وجهازها الدعويّ، حتىّ أصبحت "الدعوة الإسماعيلية" تعتمد على أفكاره وآرائه بالقدر الّذي اعتمدت فيه على سلطة الأئمة الفاطميين، ولم تقتصر أنشطة القاضي النعمان الفكرية على الجانب الفقهي والتشريعي الضخم بل تعدّته إلى ما هو معرفيّ، أعني ما أضافته المكتبة العربية الإسلامية عموما وللمكتبة الفاطمية على وجه التخصيص، فكانت مؤلفاته غزيرة في علوم العقيدة والفقه والتّأريخ، وتميزت مؤلفاته بعدم الإسهاب في التأويل كعادة دُعاة الإسماعيلية وفلاسفتها الأوائل[2].

ولا تزال كتب القاضي النعمان –حتى يومنا– هذا أقوى الكتب لدى الإسماعيلية، كما أصبحت كتبه التي ألفها المادة المصدرية لكل باحث في المذهب الإسماعيلي والأصل والأساس الذي يستقي منه علماء المذهب، وقد أفاد الدعوة الإسماعيلية بكثرة مؤلفاته التي لم تقتصر على مجال واحد بل تعددت في مختلف فروع المذهب. فكتب في الفقه والمناظرة

---

[1] – **القاضي النعمان:** لم ينص المؤرخين على تاريخ ولادة القاضي النعمان لذلك عمد الباحثون إلى التخمين والتقريب، فقد قدره بعض الباحثين بأنه كان سنة 259هـ/ 873م، في حين يذهب آصفي فيضي أنه ولد سنة في العشر الأخير من القرن الثالث الهجري، بينما قدّر محققوا كتاب المجالس والمسايرات ولادته بين سنتي 283–290هـ/ 896–902م، كما لا يعرف مكان ولادته أيضا فاستثناء الزركلي الذي أكد أنه ولد بمدينة القيروان، وهو الأرجح/، تدرج القاضي النعمان في

العديد من المناصب في ظل الخلافة الفاطمية، توفي 663هـ/ 974م بمصر. للمزيد ينظر:

Habib Atallaah, **Introduccion al ismaelismo a traves de las obras de al-Qadi al-Nu màn**, OUSSOUR ALjadida-N21-22,1437-2016,p54.

خير الدين قجوج، **السلطة والمذهب في إسطوغرافيا المغرب الإسلامي الوسيط من خلال كتابات القاضي النعمان الإسماعيلي(ت663هـ/ 974م)**، مجلة القرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، ع5، جوان2017، ص ص136–137–150.

[2] – محمد الناصر صدّيقي، **القاضي النعمان: المؤرخ الداعي**، مجلة عصور ،ع1، مج12، الجزائر، ص133.

والتأويل والعقائد والسير والتاريخ والوعظ، وقد قيل عنها أنها الذخيرة الحية، والتراث المعبر عن حقيقة الدولة الفاطمية[1].

إن القاضي النعمان بثراء شخصيته، وتنوع معارفه، وتعدد مناصبه، ووظائفه، وتأرجح مواقفه، وعلاقاته قد برز كشخصية فذة أنجبها الجزء الغربي من العالم الإسلامي[2].

ب- **انقسام المذهب الشيعي الإسماعيلي وموقف المدرسة الفقهية المغربية:**

ساهم الإسماعيليون في التعبير عن الإمامة، فكتب دعاتهم وفلاسفتهم وعلماؤهم البحوث الطويلة واعتمدوا الأحاديث والنصوص الكثيرة التي تؤيد حق علي في الإمامة، غير أنهم سلكوا طريقا آخر فأدخلوا الفلسفة في الموضوع، لذلك جاءت نظرياتهم الفلسفية جديدة على المجتمع الإسلامي الفكري بالنسبة لمن سبقهم من علماء الشيعة[3].

تعتبر الإمامة هي القضية الأساسية التي استغرقت زمن التنظيم الدعوي الإسماعيلي، هذا الاستغراق لم تتسبب فيه المعارضة المذهبية فقط، بل كذلك الانشقاقات داخل سوق الإمامة، فكانت هي الموضوع الفكري المتداول بين أتباع المذهب، وعلى الرغم من المجهودات التي بذلها الإمام المعز لدين الله، من أجل لم شتات الفكر وتوحيده حول قضية الإمامة وصياغته صياغة رسمية، إلا أن موضوع الإمامة ظل يطرح بإلحاح مع دعاته في المشرق[4]، من ذلك ما ذكره الخليفة المعز في سجلّه إلى داعية بالسّند حليم بن شيبان: "... الإيمان والعبادة و التصديق بأمرنا، واعتقاد إمامتنا، وانتظار قائمنا، والصبر على ذلك حتّى يأتي أمر الله، وما ذكرته من تهويس القوم وتخاليطهم، ممّا ذكرته في مسائلك، من ذكر الخلفاء السبعة، وأنّ النهاية في السابع منهم، فهذا من التوقيت مثلما قدّمنا ذكره، وذلك أنّهم

[1] - خير الدين قجوج، المرجع السابق، ص 138.
[2] - إسماعيل سامعي، المرجع السابق، ص103.
[3] - النيسابوري، إثبات الإمامة، المصدر السابق، ص13.
[4] - بوبة مجاني ، دراسات إسماعيلية، المرجع السابق، ص83.

لمّا وقّتوا في محمد بن إسماعيل ما وقّتوه، ومات وقالوا عنه ما قالوا، زعموا أنّه استخلف خليفة من غير ولدِه، واستخلف الخليفة بعده إلى أن بلغوا سبعة، زعموا أنّ أوّلهم عبدُ الله بن ميمون القدّاح، وكل ذلك ليثبتوا قولهم الذي يقولون به: أنّ الإمام بعده وأنّ الذي استخلفه هو من عَرَض الناس، فقطعوا ما أمر الله به أن يوصلَ وخالفوا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1].

و جاء في موضع أخر: "...فإياك أن تقول أو تعتقد أنّ الله (عج) قد أهمل الخلق، ولا يهملهم طرفة عين من قيام إمام من أعقاب الرسل والأئمة، يقوم بأمر الأمّة، فإن قال قائل بخلاف ذلك فقد أشرك، وهو قول قد شاع في دعوتنا وذاع على ألسنة جماعة ممّن ينسب إلينا، فينبغي لمن انتهى إليه قولنا هذا أن يلطف في تقريره وبيانه عند من سبق ذلك الشكّ إليه، ويقرّره حتّى يزول الشكّ من صدورهم، ويثبت الحقّ من ذلك عند أهله ومن يرجى صلاحه وقيامه إلى ما هو أعود نفعاً عليه في دينه ودنياه، وآخرته وأولاه، بحول الله وقوّته"[2].

تمثل الانقسام والانشقاق من طرف دعاة المشرق بسبب الاختلاف حول بيت الإمامة بالحركة القرمطية التي رفضت إمامة عبيد الله المهدي والتي بسبب سيطرتها على بلاد الشام ترك المهدي "سلمية" إلى بلاد المغرب[3]، لم يكن الرفض لإمامة المهدي من دعاة المشرق فقط؛ بل حتى داعيته المقيم لسلطانه في المغرب أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس رفضا مهدويته، غير أن رفض المشرق صحبه إنتاج فكري متنوع وعميق نذكر كتاب "شجرة اليقين"[4] للداعي القرمطي "عبدان"[1]، بينما رفض المغرب لم يتعدَّ الحركة العسكرية التي أدت

[1]– سورة الزخرف، الآية 28.

[2] – القرشي، تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص 250.

[3] – بوبة مجاني، دراسات إسماعيلية، المرجع السابق، ص84.

[4] – **كتاب شجرة اليقين:** كتاب فلسفي على جانب كبير من الأهمية– فيه رموز واصطلاحات وأرقام مغلقة قد لا يفهمها ويدرك معانيها إلاّ من كان من ذوي الاختصاص، ولكن المؤلف استشهد واستند على جملة كتب لدعاة قرامطة آخرين ككتاب البيان والبرهان والميزان والحاصل والمحصول وجميع هذه الكتب مفقودة وغير واردة في عدد كتب الإسماعيلية=

في الأخير إلى قتل الشيعي وأخيه، لأن نشر المذهب في صيغته التأويلية والفلسفية في بيئة المغرب أمر مستحيل، لأن البيئة ليست هي بيئة المشرق التي كانت تغص بالأفكار الفلسفية[2].

إذن فالمدرسة الفكرية الشيعية الإسماعيلية في المرحلة المغربية هي عبارة عن نتاج الجهود التي بذلت من قبل الأئمة الفاطميين، من أجل توطيد أركان الدولة بالفكر الذي كان الأساس الذي قامت عليه وروجت به.

1- فرض المذهب وإقصاء الآخر:

إن المتأمّل في تاريخ البشرية منذ نشأته وحتّى يوم النّاس هذا يجده حافلا بانقسام النّاس على أنفسهم بين "الأنا" (الذات) و"الآخر"[3]؛ ويتجلّى ذلك فيما عرفته ولا تزال تعرفه

=المعروفة، للمزيد ينظر: الداعي عبدان القرمطي(عاش في القرن4هـ/10م)، **شجرة اليقين**، تح: عارف تامر، دار الآفاق الجديدة، ط1، 1402هـ/1982، (د، ب)، ص6.

[1] – **الداعي القرمطي عبدان:** كل ما نعرفه أن انتساب هذا الداعي للدعوة الإسماعيلية قد تمّ على يد حمدان بن الأشعث المعروف" بقرمط" وممّا نعرفه عنه أيضاً أنه تزوج ابنه حمدان، وأنه تثقف في مدرسة الدعوة بسلمية–سورية ومان من أبرز الدعاة وأغزرهم علمّا وفلسفة، من الجدير بالذكر أنه قتل أخيرا على يد "زكروية بن مهروبة" الذي قاد جيوش القرامطة في الدور الأول وأزاح من إمامه المعارضين عبدان. للمزيد ينظر: عبدان، المصدر السابق، ص6.

[2] – بوبة مجاني، دراسات إسماعيلية، المرجع السابق، ص84.

[3] – **الأنا والآخر:** شغلت مسألة" الأنا" و"الآخر" ولا تزال تشغل بال الباحثين والمفكّرين قُدامى ومحدثين شرقا وغربا، وتعدّدت وجهات النّظر حولها من ثقافة وحضارة إلى أخرى ومن عصر إلى آخر، ولسائل أن يسأل ما المقصود بالآخر؟ وما طبيعة العلاقة التي تربطه بالذّات أو الأنا؟ للإجابة يقال للسّائل إنّ المفهوم الدّلالي للآخر يرد في القواميس اللّغويّة ليفيد الغير مقابل مصطلح" الذّات" أو "الأنا" على غرار ما أورده الجرجاني في كتاب التّعريفات: ذات الشيئ دلالته على نفسه وعلى عينه، والذّاتيّ لكلّ شيئ ما يخصّه وما يميّزه عن جميع ما عداه". وعلى غرار ما أورده ابن منظور بخصوص مصطلح "الآخر" في "لسان العرب" ليفيد أحد الشّيئين، وليفيد معنى غير كقوله رجل آخر وثوب آخر". فمصطلح" الآخر" عند بعض الدّارسين المحدثين ليفيد أنّه " من ليس أنا، فهو الغير بالنسبة للأنا فالآخر هو كلّ من وما ليس فردا كان أو جماعة". ويرد مصطلح "الآخر" عند بعضهم كذلك ليفيد في دائرة الدّين" ذلك الإنسان الذّي ينتمي إلى دين آخر، أمّا الآخر بالنّسبة إلى الذّات فهو المغاير لها، ومن ثمّة يمكن القول إنّ الآخر يتعدّد ويتنوّع بتعدّد وتنوّع دوائر مستويات"الأنا"=

الجماعات والأمم من الصراعات بسبب اختلاف الرؤى بين من هو في موقع "الأنا" وبين من هو في موقع "الآخر"، نتيجة لتناقض مصالح هذا الطّرف أو ذاك، وفي ذات السياق حصلت حروب وصراعات ولا تزال تحصل لمجرّد انتماء الإنسان "الآخر" إلى موقع مخالف "للأنا" دينيا أو طائفيّا أو عرقيّا أو مناطقيّا، دون معرفة مباشرة في بعض الأحيان لهذا الإنسان الآخر"[1].

عملت السياسة المذهبية للدولة الفاطمية في المغرب على فرض مذهبها بالقوة، وإقصاء الآخر المتمثل في المذاهب الأخرى سواء المذاهب السنية (المالكية، الشافعية) أو المذاهب الخارجية (الصفرية، الإباضية)، باستثناء المذهب السني الحنفي نظرا لاشتراكهما في القول بالأفضلية.

سنحاول توضيح هذه السياسة من خلال:

أ- فرض المذهب:

أدرك أبو عبد الله الشيعي منذ بداية الدعوة في بلاد المغرب أن المذهب المالكي قد امتدت جذوره في البلاد، لذلك بدأ بشكل معتدل غير مجاهر إلاّ بالأشياء التي تتفق مع أهل السنة[2]، وكان منطلق سياسته المذهبية هوّ احتواء الآخر؛ وذلك من خلال ترك أهل المدائن التي يدخلها كما كانوا عليه استنادا إلى قوله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[3]؛ نلمس هذه السياسة عندما أقبل إلى مدينة رقادة خرج إليه أهل القيروان وسلموا عليه، وأظهروا الرغبة في دولته، وسألوه الأمانَ فأمّنهم، ووعدهم بالإحسان والعدل، ولم يجب أخاه أبا العباس عندما

="والذّات" فينجم عن ذلك وجود آخر ديني ومذهبي، وحتىّ قومي وعرقي وإثني، وجغرافي واجتماعي وسياسي". للمزيد ينظر: محمد العربي بوعزيزي، **الأنا والآخر في الثّقافة العربية الإسلامية**، مجمّع الأطرش لنشر وتوزيع الكتاب المختص، ط1، تونس، 2018، ص ص9-10.

[1] – محمد العربي بوعزيزي، المرجع السابق، ص9.

[2] – شاهندة سعيد منصور، **الفساد السياسي والاجتماعي والاقتصادي في المغربين الأدنى والأوسط منذ عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي(93-362هـ/711-972م)**، مؤسسة شباب الجامعة، (د، ط)، مصر، 2018، ص302.

[3] – السورة البقرة، الآية 256.

أراد أن ينفي المالكية من القيروان، وقتل هذا الأخير الفقيهين إبراهيم بن محمد الضبي (المعروف بابن برذون) وأبو بكر بن هذيل بالقيروان؛ إثر وشاية فيهما أنهم لا يفضلون علياً على أبي بكر وعُمر (ﷺ)، وصلبا على باب القيروان، فعنّفهُ أخوه الشيعي على ذلك حينما ورده الأمر[1]، لم تكن حادثة مقتل الفقهين المالكين ابن برذون وأبي بكر بن هذيل سوى بداية لصراع حقيقي فكري وحضاري –أحيانا– من خلال المناظرات الفقهية والكلامية، ودموي وعنيف أحيانا أخرى[2].

إن هذه المحاولة التي قام بها الداعي أبو عبد الله الشيعي تدل على وعي كبير بطبيعة التركيبة الاجتماعية. وحذر من الخطر المذهبي للمالكية على الدولة الشيعية الناشئة، واستحضار لانبعاث التأثير من مراكز كثيرة بالقيروان، خاصة وهو يعتبر إفريقية مركز سلطة لدولته؛ لكن من ناحية أخرى سعى إلى التضييق على المذاهب السنية سعيا منه لاحتواء الآخر أكثر من قناعته بقبول المذهبي فهي مسالك سياسية لا منطلقات العقيدة والمذهب[3]، فقد ذكر ابن الهيثم أنه طُلب منه منع الناس من الاطلاع على كتب أبي حنيفة ومالك[4]، وما حرق أبو عبد الله الشيعي الكتب المذهبية الإباضية بمكتبة الصومعة بتاهرت إلا دليل على تعصبه المذهبي[5].

---

[1] – أبي العباس أحمد بن محمد بن عذاري(ت712هـ/ 1312م)، **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، مج1، تح: بشار عواد معروف، محمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط1،، تونس، 1434هـ–1013م، ص184.

[2] – زاير أبو الدهاج، المرجع السابق، ص88.

[3] – حسين بوبيدي، **بلاد المغرب الإسلامي بين التعايش والصراع المذهبي: قراءة في الاستغلال السياسي والتأثير العقدي والفقهي**، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع1، المجلد11، 2018، ص216.

[4] – ابن الهيثم، المصدر السابق، ص 65.

[5] – أبي زكريا يحي بن أبي بكر(عاش في النصف الثاني من القرن 5هـ/11م)، **كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكريا**، تح: إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، ط2، لبنان، 1402هـ/1982م، ص170.

يمكن أن نلاحظ التعصب المذهبي وتغير في السياسة المذهبية للدولة الفاطمية بالمغرب ابتداء من أول منشور أمر عبيد الله المهدي بقراءته على منابر رقادة والقيروان، أقرّ واجب التمسك بالانتماء إلى البيت النبوي والولاء له كمبرر لقيام دولته، وذلك ما يتضمن معنى أن تكون الأمة ممنونة لهم، لأنها تشرفت بحمايتهم، ونالت من نعمهم[1]. وقد نقلت لنا المصادر سعي المهدي من أجل إقامة سلطة معرفية تستند إليها دولته الجديدة، وتركيز المذهب الإسماعيلي ليكون له سندا في توسعاته ومشاريعه، خاصة وقد عمد من خلال استقدام الكتاميين إلى تغيير التركيبة الديمغرافية لإفريقية، فيما يبدو محاولة لتحويل المعارضة إلى مجرد أقلية يمكنه التحكم فيها دون خشية القلاقل والثورات[2].

تعصب الدولة الفاطمية وفرض مذهبها، من خلال تشريع الفقه والعقيدة الشيعية الإسماعيلية، ونذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

- **أمروا بالصلاة على علي وفاطمة والحسن والحسين بعد الصلاة على الرسول (ﷺ) في الخطب الدينية:** عند وصول أبو عبد الله الشيعي إلى رقادة، أخرج توقيعا أمر أن يدعى به على المنابر وأنفذه إلى خطيبي رقّادة والقيروان بالدُّعاء بعد الصلاة على محمد (ﷺ) وعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلى الأئمة، وكان ذلك التّوقيع بالدعاء: "اللهم فصلّ على عبدك وخليفتك القائم بأمر عبادك في بلادك عبد الله أبي محمّد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين كما صليت على آبائه خلفائك الرّاشدين المهديين الذين كانوا يقضُون بالحقّ وبه يعدلون"[3].

- **زادوا وأنقصوا في عبارات الأذان:** وذلك استنادا للكتب الجعفرية من رواية أبي علي محمّد بن (محمد بن) الأشعث الكوفي، عن أبي الحسن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جدّه أبي عبد الله جعفر بن محمّد، عن أبيه عن جده عن أبي عبد الله

[1] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص ص 294-295. زاير أبو الدهاج، المرجع السابق، ص87.

[2] – حسين بوبيدي، بلاد المغرب الإسلامي بين التعايش والصراع المذهبي، المرجع السابق، ص217

[3] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص ص 293-294.

الحسين بن علي، أنه سئل عن الأذان وما يقول الناس فيه؟ فقال (عليه السلام): "الوحي ينزل على نبيّكم وتزعمون أنّه أخذ الأذان عن عبد الله بن زيد؟" قال : "سمعت أبا علي بن أبي طالب-صلوات الله عليه- يقول: أهبط الله-تبارك وتعالى- ملكاّ حين[1] عرج برسول الله (ﷺ)، فأذن مثنى (مثنى)، أقام مثنى (مثنى)، ثم قال جبرائيل: يا محمّد، هكذا أذّن للصلاة"[2].

- **زادوا تكبيرة الى تكبيرات صلاة الجنازة:** قالوا التكبيرات في صلاة الجنازة حسب خمس صلوات من كل صلاة تكبيرة، وربما زادوا تكبيرة أو أكثر حسب مقام الميت ومكانته ومنزلته؛ يذكر المقريزي في خططه أن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله لما قدم مصر من المغرب (362هـ-273م) بعد السيطرة عليها عام (358هـ/969م) مات بني عمه فصلى عليه وكبّر سبعا، وكبّر على ميت آخر خمسا[3].

ب-إقصاء الآخر:

إن الآخر في دائرة الدّين ذلك الإنسان الذّي ينتمي إلى دين آخر، يمكن القول إنّ الآخر يتعدّد ويتنوّع بتعدّد وتنوّع دوائر مستويات "الأنا" "والذّات" فينجم عن ذلك وجود آخر ديني ومذهبي، وحتىّ قومي وعرقي واثني، وجغرافي واجتماعي وسياسي[4].

في هذا الإطار فقد بالغت الدولة الفاطمية في فرض مذهبها وإقصاء الآخر، فحسب ما نقلته لنا المصادر فمع دخول أبو المهدي إفريقية أجلس الدعاة وأحضروا الناس بالعنف والشدة ودعوهم إلى مذهبهم وقتل من لم يوافق، يقول ابن الأثير في ذلك: "... جلس يوم الجمعة رجل يعرف بالشريف ومعه الدعاة أحضروا الناس بالعنف والشدة ودعوهم إلى

[1] - القاضي النعمان ابن محمد (ت363هـ/974م)، **الإيضاح**، تقديم وإعداد: محمد كاظم رحمتي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، ط1، لبنان، 1468هـ/2007م، ص59.

[2] - نفسه، ص59.

[3] - زاير أبو الدهاج، المرجع السابق، ص107.

[4] - محمد العربي بوعزيزي، المرجع السابق، ص 10.

مذهبهم، فمن أجاب أحسن إليه...وقتل كثير ممن لم يوافقهم على قولهم"[1]، وتلازمت تلك الإيديولوجية المغلقة المتعصبة لمذهبهم مع أشكال من القمع والتنكيل لحذف المختلف[2]، ورفض عبيد الله المهدي تقبل أن يكون في دولته أي مذهب آخر غير مذهبه[3].

ويمكن أن نعطي صورة عن إقصاء الآخر عند الدولة الفاطمية بالمغرب من خلال النقاط التالية:

- **إسقاط من أذان الفجر "الصلاة خير من النوم"[4]:**

- **منعوا التراويح في رمضان:** عندما وليّ محمد بن عمر بن يحي بن عبد الأعلى المروزي من جند خراسان على قضاء مدينة القيروان؛ عقد في الجامع وأمر بإسقاط صلاة التراويح في شهر رمضان واحتج في ذلك على الفقهاء، وأنكر عليهم الاقتداء بفعل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في القيام وتركهم الاقتداء بفعل عليّ بن أبي طالب في زيادة" حي على خير العمل"[5] في الأذان وقال لهم: "اعملوا بمذهب أهل البيت واتركوا الفضول"[6].

- **إسقاط المسح على الخفين:** واستندوا إلى ما كان يروى عن علي بن أبي طالب من أنه طالب من أنه كان لا يرى المسح في الطهارة[7]،

- **منع تدريس المذهب المالكي ومصادرة كتبه:** وقد بلغ التضييق على أهل السنة في عهد المهدي لدرجة أن كتب مالك وأبي حنيفة تباع من الأطباء والصيادلة والعطارين

---

[1] – ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص49.

[2] – خالد حسين محمود، **ظاهرة العنف في سياسة الفاطميين تجاه رعاياهم خلال المرحلة المغربية(296-362هـ/909-973م)**، جامعة عين شمس، مصر، (د، ت)، ص38.

[3] – شاهندة سعيد منصور، المرجع السابق، ص302.

[4] – ابن عذاري البيان، ج1، تح: ج.س.كولان، إ. ليفي بروفسال، المصدر السابق، ص151-152.

[5] – القاضي النعمان، الإيضاح، المصدر السابق، ص61.

[6] – ابن عذاري، البيان، ج1، تح: ج.س.كولان، إ. ليفي بروفسال، نفس المصدر، ص ص151-152.

[7] – زاير أبو الدهاج، المرجع السابق، ص 106.

يربطون فيها استخفافاً بها واستحقاراً لها و إياساً من الانتفاع بشيء منها، وقد أرسل منها شيء إلى الأندلس وإلى المشرق[1].

- **منع الإفتاء بالمذهب المالكي:** يرى الفاطميون ضرورة منع تدخّل عُلماء السُنّة في الجهازين الديني والقضائي، وكذلك وجوب منعهم من وضْع أي تشريعات قضائية أو استخراج الأحكام، لأنّهم بهذا العمل سيتسببون في خلق التعارض داخل القرآن وسيُولّدون التناقض بين مُختلف أجزائه، لأنّهم لا يفهمون من الإسلام إلاّ ظاهره ممثلا في "المعاني التي يعرفها العامة وينطق بها علماء السُنّة، والباطن من هذه المعاني التي يستخلصها الوحي والأئمة من أهل البيت دون سواهم من سائر المسلمين"[2]

في الأخير يمكن القول أن سياسة المذهبية للدولة قامت على تأسيس مدرسة للمذهب الإسماعيلي في المغرب بما يخدم سياسة السلطة، وكذلك فرض المذهب وإقصاء كل المذاهب الأخرى.

2- السياسة المالية بين الإجحاف والتخفيف:

إن السياسة المالية للدولة الفاطمية في المغرب الإسلامي هي سياسة صارمة وممركزة تحت السلطة الفعلية التي يمارسها إمام مطلع وناشط ومتمرن على مهام الحكم والإدارة؛ وهي سياسة وضعت لتحقيق الأغراض الكبرى للدولة وهي إخضاع العالم الإسلامي لراية الخلافة الفاطمية[3]. وهذا ما صرح به عبيد الله المهدي في أول رسالة له التي أرسلها إلى خطيبي رقادة والقيروان ومما جاء فيه: "...اللهم وكما اصطفيته لولايتك واخترته لخلافتك وجعلته

---

[1] – ابن الهيثم، االمصدر السابق، ص118.

[2]– أبي حاتم الرازي(322هـ/933م)، **التصور اللغوي عند الإسماعيلية دراسة في كتاب الزينة**، منشأة المعارف، (د، ط)، مصر، 1985، ص34. الصبحي بن منصور، القضاء الفاطمي بافريقية ومصر (297هـ/910م- 362هـ/973م) و(363هـ/973م-567هـ/1171م)، تقديم: إبراهيم جدلة، مجمع الأطرش، ط1، تونس، 2017م، ص66.

[3] – فرحات، الدشراوي، المرجع السابق، ص 509.

لدينك عصمةً وعماداً ولبريّتك موئلا وملاذاً، فأنصره على أعدائك المارقين واشف به صدور المؤمنين وافتح به مشارق الأرض ومغاربها كما وعدته وأيّده على العُصاة الظّالمين...."[1].

وتلوح منذ الفترة الأولى من الوجود الفاطمي ببلاد المغرب ميزة أساسية للسياسة المالية تبرز في تسخيرها لخدمة ذلك الهدف الأسمى، ولذا أصبحت شتى الوسائل لتنفيذ هذه السياسة مشروعة. وإن جاء عبؤها ثقيلا على السكان وجاءت متباينة مع النظم المالية المعروفة في الإسلام[2].

1- النظام المالي للدولة الفاطمية في المغرب الإسلامي:

مر النظام المالي للدولة الفاطمية في بلاد المغرب بمرحلتين:

- **مرحلة الدعوة:** قد كان النظام المالي في هذه المرحلة واضحاً يخضع لأصول النظام المالي في الإسلام من جهة، ولبعض أصول الدعوة الإسماعيلية من جهة أخرى، كدينار الهجرة ودرهم الفطر، وجعل أموال الجباية والغنائم بأيدي مشائخ الأولياء من كتامة، وعرف بتقشفه رغم الأموال الكبيرة التي تحت تصرفه، وقد حرص على تنفيذ مبادئ السياسة المالية فأرسل إلى المهدي مبالغ كثيرة وهو في المشرق ثم أرسلها له إلى سجلماسة بعد ذلك[3].

فقد كان جمع الأموال وإرسالها إلى الإمام مهمة أساسية في عمل الدعاة وينقل لنا الحاجب جعفر في سيرته معلومات قيمة عن هذه المرحلة إذ يقول: "وكانت الأموال والذخائر تحمل من كل بلد من قبل الدعاة إليه إلى سلمية، وقال وكان الإمام قد حفر سرداباً في الأرض من الصحراء إلى جوف داره بسلمية طوله اثنا عشراً ميلاً، كانت الأموال والذخائر

[1] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص ص293-294.

[2] – الحبيب الجنحاني، **المجتمع العربي الإسلامي التاريخ الاقتصادي والاجتماعي**، (د، د، ن)، الجزائر، (د، ت)، ص221.

[3]– محمد بوزياني، **نظام جباية الأموال في الدولة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي(296-361هـ/900-972م)**، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، الجزائر، 1436-1437هـ/ 2015-2016م، ص 79.الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص224.

تحمل على الجمال فيفتح لها باب السرداب في الليل ويغمى على باب السرداب بالتراب فلا يدري به أحد..."[1].

- **مرحلة الدولة:**

اثر تحرير عبيد الله المهدي من سجن أمير سجلماسة اليسع بن مدرار (271-296هـ/884-909م)، فلما حاذى بلد كتامة في طريقه إلى رقادة مال إليه لزيارة دار الهجرة بها" ايكجان" وفيها أمر بقبض الأموال التي كانت بأيدي الدعاة والمشائخ، وكانوا قد دفنوها هناك فأحضروها إليه وأمر بقبضها منهم وشدّها أحمالاً وأخذها معه إلى رقادة، وامتعض من ذلك الكتاميون، و يقول القاضي النعمان في ذلك: "فكان ذلك من أول ما حال القلوب الفاسدة"[2].

ويتحدث ابن عذاري عن دخول عبيد الله المهدي القيروان فيقول: "...وفيها وصل عبيد الله إلى مدينة رقادة، ومعه ابنه أبو القاسم وجعفر بن علي الحاجب، وأبو الحسن طيب بن إسماعيل المعروف بالحاضن ولقيه الفقهاء ووجوه أهل القيروان، فدعوا له و هنأوه وأظهروا له السرور بأيامه، وسألوه تجديد الأمان فقال لهم: أنتم أمنون في أنفسكم و ذراريكم ولم يذكر الأموال فعاوده بعضهم وسألوه التأمين لهم في الأموال، فأعرض عنهم فخافه أهل العقل من ذلك الوقت[3].

إن النظام المالي الذي كان بسيطاً في عهد المهدي قد تعقد أكثر فأكثر؛ وقد تطابق تعقد النظام المالي مع تطور الحياة الحضرية وما شهدته البلاد بعد فشل ثورة الخوارج من ازدهار قد وفر للدولة موارد غزيرة[4]، فكان الخلفاء الفاطميون يعطون الأموال لرجال قبيلة كتامة وعائلتهم دون حساب لأنهم كانوا يرون أن بفضلهم وصلوا إلى هذه المراتب، وبأموالهم

[1] - جعفر الحاجب (ت نهاية القرن 4هـ/10م)، **مذكرات في حركة المهدي الفاطمي(استتار الإمام وسيرة جعفر الحاجب)**، نص العربي نشره: و.إيقانوق، (د، د، ن)، (د، ت)، ص108.

[2] - القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص ص 288-289.

[3] - ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص158.

[4] - فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص483.

اصطنعوهم خدمة لمذهبهم ودولتهم، بسبب السياسة المالية المجحفة للدولة وعجز الناس عن دفع الضرائب يلجئون إلى الخلفاء ليسألوهم التخفيف عنهم، كما أن صاحب الحمار أي أبا يزيد بدأ ثورته بالاحتساب على جباة الأموال[1].

أما التخفيف من عبء الجباية من قبل السلطة فهو أمر فرضته ظروف سياسية معينة إذ منح لقادة المناطق الحرية في تحصيلها، فمثلا أسقط الخليفة الفاطمي المنصور بالله الخراج عام (355هـ/946م) على المسلم وعلى الذمي حتى يعود العمار لأهلها ويعود أهل البوادي إلى بواديهم، فالفاطميون كانوا لا يتسامحون أبدا في أمر فرضوه ولا يؤجلونه إطلاقا، فالمعز لدين الله كتب إلى الأستاذ جوذر : "أمرنا أصحاب الدواوين ألا يقبلوا من العمال إلا اتصال مال كل سنة عند انقضائها فمن عجز عن الوفاء في أول كان عنه في التي تليها أعجز وتلافى النظر أدبار الأمور، وهذا دليل على حزم الفاطميين، إذ كانوا لا يتنازلون عن أي مغرم بأية حال من الأحوال مهما كانت الظروف[2].

2- الموارد المالية للدولة الفاطمية:

ما إن اعتلى المهدي العرش في رقادة حتى بادر إلى إرجاع النظام الجبائي الذي كان معمولا به في الماضي، فأقر صاحب الخراج السابق ابن القديم ثم عمران بن أحمد أحد أحفاد القاضي الأغلبي الشهير أبي محرز[3]، فضبط صاحب الخراج الجديد قائمة في الضياع القائمة الذات في البلاد، ووظف عليها ضريبة "التقسيط" وهي عبارة عن خراج مقدر على أساس قاعدة اعتباطية حيث قدر الدخل السنوي للعشر وجمع الحد الأدنى والحد الأقصى ثم وظف على كل ضيعة نصف الحاصل، وما لبث أن أضاف صاحب الخراج إلى هذه الضرائب الثقيلة الوطأة في حد ذاتها ضريبة عقارية أخرى، فلم تمض سوى أقل من سنتين

---

[1] – محمد بوزياني، المرجع السابق، ص78.

[2] – نفسه، ص79.

[3] - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 173-

حتى فرض على أصحاب الضياع في مختلف الدوائر الترابية "مغرما" جديدا أسماه "التضييع" الذي يقابل حسب زعمه مؤخر التقسيط[1].

وحتى الحجُاج فرضت عليهم ضريبة يؤدونها عند خروجهم لأداء الفريضة حتى ولو لم يكونوا من أتباع المذهب. فقد فرض الخليفة عبيد الله المهدي عليهم أن يسلكوا الطريق على المهدية، ولا يتعداه أحد حتى يدفعوا ما فرض عليهم، لقد مست هذه الضريبة أبا يزيد مخلد بن كيداد عندما خرج حاجا فقال لمرافقيه رافضا لهذا التعسف:"....ليس لله أن نشتري حجه...."[2].

إن الاهتمام بأمر الجباية يختلف من دولة إلى أخرى، بل يختلف في الدولة الواحدة من طور إلى آخر، فالطور الأول الذي تظهر فيه الدولة لا تكون بحاجة لمصادر كثيرة، بل نجدها تعتمد على الضرائب المستمدة من الشرع فقط حتى تتمكن من كسب قلوب الرعية، بينما في الطور الثاني نجدها تعمل على تنويعها وتحصيلها من خلال إيجاد ضرائب إضافية نظرا لحاجة الدولة لها، وقد اعتمدت الدولة الفاطمية على عدة موارد نذكر أهمها:

- **الضرائب الشرعية:**

قد فرض الله على الأئمة جمع الزكاة بل ويجاهدون من منعها، أما الخمس فإنه أوجب على الناس دفعه للأئمة ولم يجبرهم –الأئمة– على جمعه لأن دفعه عبادة[3]، وبهذه التغطية الدينية كان الخلفاء الفاطميون يقومون بجمع الأموال من الرعية واشترطوا في تقديرها وجمعها، غير أنهم ضربوا صفحا عن هذا الواجب الديني. ويصبح بذلك مجرد فرض مذهبي وسياسي والإمام يعطيه الصبغة واللون الذي يشاء حسب ما يخدم مصلحة دولته الآنية الظرفية أو أبعاد مشروعه السياسي، وكان الدعاة أعضاء في هذا الجهاز يقومون بجمع الأموال للإمام في جزرهم التي يدعون فيها ويبعثون بها إليه وهذا منذ أيام

---

[1] – فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص493.

[2] – بوبة مجاني، النظم الإدارية، ص284.

[3] – القاضي النعمان بن محمد (ت363هـ/ 974م)، **الهمة في آداب أتباع الأئمة**، دار ومكتبة الهلال، (د، ط)، لبنان، (د، ت)، ص79.

الدعوة وقبل ظهور الدولة، كان الفقراء من أتباع المذهب رغم إقلالهم يدفعون واجب أموالهم للإمام اعتقادا منهم بأن هذا يقربهم من الله، لأن التشريع المالي الفاطمي فرض الخمس على كل فرد له كسب لهذا عمت الضرائب وشملت كل الشرائح الاجتماعية فقراء وأثرياء[1]

ما يمكن قوله، فإن الثروة الفريدة من نوعها التي كان يتمتع بها الفاطميون ناشئة إلى حدّ ما عن الإيرادات الخارقة للعادة التي كان الأئمة يحصلون عليها من الطائفة الإسماعيلية، ذلك أن كافة أفراد هذه الطائفة المنتشرين في سائر الأماكن التي تشملها الدعوة الفاطمية في جميع أنحاء العالم الإسلامي كان مفروضاً عليهم أداء أخماس ما يملكون وما يكتسبون إلى الإمام[2].

- **إيرادات الغرامات و الأداءات غير العادية:**

إن مثل هذه الضرائب التأديبية والغرامات الحربية المفروضة على الأقاليم البعيدة عن المركز التي كثيرا ما كانت تنبذ سلطة، لكن سرعان ما تعود إلى الحظيرة الفاطمية قهرا، وتسدد غرامات باهضة، وكانت مساهمتها لا يستهان بها بالنسبة إلى خزينة الدولة[3]، من ذلك أن طرابلس التي شقت عصا الطاعة في عام (300هـ/912-913م) في عصر المهدي قد اضطرت إثر حصار شديد الوطأة إلى الاستسلام للقوات الكتامية بقيادة ابن الخليفة أبي القاسم الملقب بالقائم الذي أمر بقتل منظمي الانتفاضة من الوجهاء، وأغرم أهل المدينة بأربعمائة ألف دينار، وكان المتولي لتغريمهم وتعذيبهم خليل بن إسحاق وهو من أبناء جندها وممن ولد بها[4].

---

[1] – بوبة مجاني، النظم الإدارية، المرجع السابق، ص284.

[2] – فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص483-484

[3] – نفسه، ص494.

[4] – أبو محمد عبد الله أحمد التجاني (ت أوائل القرن8هـ/ أوائل القرن12م)، **رحلة التجاني**، قدم لها: حسن حُسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، (د، ط)، ليبيا، تونس، 1981، ص241.

وهناك موارد أخرى أكثر انتظاما رغم صبغتها غير الشرعيّة، كانت تعتبر من الموارد العادية التي كانت تمول خزينة الدولة كالمصادرات والغرامات وغنائم الحملات العسكرية البرية والبحرية......الخ، فإن الدولة الفاطمية صادرت أراضي وأموال علماء المالكية، كما صادرت أيضا أملاك وأموال الشافعية، وصادرت حتى أموال الربط وسلاحها، وكذلك فرضت ضرائب فادحة على ما تبقى من أراضٍ في أيدي العلماء، وهي الضريبة التي عرفت بالمقسط أو التقسيط. وأدت هذه المصادرات والزيادة في الضرائب إلى عجز الناس عن دفع ما فرض عليهم من أموال، مما جعل بعضهم يلجأ إلى رجال البلاط ليسألوا لهم التخفيف[1].

بعد رجوع المنصور إلى القيروان إثر انهزام مخلد بن كيداد الخارجي أصدر عفواً جبائيا عاما وأمر بإلغاء الجباية، ولكن هذه الضرائب غير الشرعية رغم تخفيضها أو إلغائها بصورة مؤقتة كانت تبعث من جديد ضمن النظام المالي الجاري به العمل في الدول الإسلامية، باعتبارها مصدرا تكميليا لموارد الخزينة، ولذلك فقد أثبت بعض الشهادات وجودها في إفريقية في العهد الفاطمي مثل المكوس المفروضة على التجارة والصناعة الحرفية في المراكز العمرانية النشطة والمزدهرة كالمهدية وسوسة والقيروان وبالخصوص المنصورية[2].

ومثل المراصد "رسوم المرور" والأعشار الموظفة في الموانئ على البضائع الواردة من الأندلس وبلاد النصارى، والأداءات الموظفة على السلع المصدرة إلى مصر والسودان، ومكوس أبواب المدن لا سيما في المهدية والمنصورية التي يوفر كل باب من أبوابها الخمسة 2600دينار في اليوم، والقبالات على مواد البناء والمرجان والخضر والملح والسمك وغيرها

---

[1] – بوبة مجاني، النظم الإدارية، المرجع السابق، ص284.

[2][2] – أبي عُبيد الله البكري (ت487هـ/1094م)، **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك**، دار الكتاب الاسلامي، (د، ط)، مصر، (د، ت)، ص25.الجوذري، المصدر السابق، ص 95. فرحات الدشراوي المرجع السابق، ص496.

من المواد الغذائية، وقد كانت جميع هذه الضرائب غير الشرعية من مكوس ومغارم ولوازم وصلات توفر للخزينة أموالاً طائلة[1].

ما يمكن قوله عن السياسة المالية للدولة الفاطمية أنها سياسة مجحفة وكانت قاسية على المغاربة لأنه أهم هدف رسمه المهدي منذ توليه الحكم وصار منهاج بقية الخلفاء لا يتعلق بنشر المذهب الإسماعيلي في حد ذاته، ولكن بتجميع الأموال واكتنازها، واستعملوا طرقا عديدة من أجل تحقيق هذا الهدف، لهذا جمعت ثروة طائلة حملها المعز معه إلى مصر، إذ ورد في بعض المصادر بشأنها: "ولما عزم المعز على الرحيل إلى مصر، أتاه بلكين بن زيري بألفي جمل من إبل زناتة، وحمل ماله بالقصور من الذخائر وسبك الدنانيرية على شكل الطواحين، جعل على كل جمل قطعتين، في وسط كل قطعة ثقب، تجمع به القطعة إلى الأخرى، فاستعظم ذلك الجند والرعية وصاروا يقفون في الطرق لرؤية بيت المحمول..."[2].

ما يمكن قوله في الأخير أن علاقة الدولة والرعية في المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي جسدته السلطة في استغلال النص الديني في ممارستها الإدارية والعسكرية وكذلك في تصوراتها للحياة الدينية، أما عن سياستها المالية فقد كانت بين الإجحاف والتخفيف وذلك حسب الظروف التي تمر بها الدولة.

---

[1] – توفيق سعود، **العامة بإفريقية خلال الفترة الفاطمية–الزيرية (296–443هـ/909–1051م)**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس1، تونس، 2007، ص222.

[2] – المقريزي، الإتعاظ، ج1، المصدر السابق، ص62.

الفصل الثاني: مظاهر العنف في المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي

أولا: مظاهر عنف السلطة

1- المقدس والعنف

2- الاغتيالات السياسية

3- الصراع الفكري

ثانيا: العنف والمؤسسات التشريعية والتنفيذية

1- تمذهب جهاز القضاء وتعصبه

2- الشرطة كجهاز تنفيذي

ثالثا: مظاهر العنف الاجتماعي

1- تقسيمات السلطة للمجتمع

2- الصراع القبلي في الدولة الفاطمية

الفصل الثاني: مظاهر العنف في المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي:

تنوعت مظاهر العنف في المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي بين مظاهر العنف عند السلطة، سواء العنف غير المُشرع أو العنف المُشرع الذي يحصل في المؤسسات التشريعية والتنفيذية، وكذلك العنف الاجتماعي تجسد في كثير من المظاهر. وهذا ما سندرسه في ما يلي.

أولا: مظاهر عنف السلطة

إن الدعوات الدينية تحولت إلى مشاريع إيديولوجية تبريرية لممارسة السلطة وبقائها، وتمثل ركيزة كبرى تبرر بها السلطة ممارساتها السياسية والاقتصادية والثقافية والأمنية وتدافع بها عن كيانها وبقائها واستمرارها[1]، ومن المتعارف عليه عند أهل الفكر السياسي من القدامى والمحدثين وجوب السلطة وضرورتها واستحالة الاستغناء عنها، ومع تداخل المجالين الديني والسياسي بشكل كبير في العصر الوسيط، وفي ظل تشكل الدولة السلطانية الفردية[2] المرتبطة في مخيلة العصر بمفهوم الغلبة والقهر والاستطالة ونتيجة غياب مرجعية قانونية للمعاقبة ومؤسسات منظمة للعلاقات بين الحاكم والمحكوم؛ اعتمد حكام العصر ذوو النزعة الاستبدادية على القوة والسطوة وكبت الحريات وانتهاك الكرامة وزرع الخوف في المجتمع كضامن أساسي لاستمرار الحكم وصلابته وتحقيق مصالحهم الذاتية[3].

---

[1] – سماحي بوحجرة، **المعرفة والسلطة في إسلام العصر الوسيط الغزالي بين التزامات العالم و التزامات السلطان**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران2، 2016/2015، ص43.

[2] – **لقد ميز ابن خلدون ثلاث أنظمة للملك:** الملك الطبيعي والملك السياسي والخلافة، وحسب عبد الله العروي أن الحكم الذي جربه المسلمون في الغالب هو الملك الطبيعي الممزوج بشيئ من السياسية العقلية بعد أن مرُّو بفترة قصيرة جداً كان الحكم فيها خلافة الواقع القائم هو باستمرار الملك الطبيعي المبني على القهر والخلافة هي في غالب الأزمان أمل مترقب ليس إلاّ، للمزيد ينظر: ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص178، عبد الله العروي، **مفهوم الدولة**، المركز الثقافي العربي، ط10، المغرب، لبنان، 2014، ص ص128–130.

[3] – خالد حسين محمود، ظاهرة العنف، المرجع السابق، ص2.

سنحاول تسليط الضوء على مظاهر العنف الأساسية عند السلطة الفاطمية في المغرب الإسلامي:

1- المقدس والعنف:

المقدس هو المطهر والمنزه والمبارك ومن هذه المعاني؛ فإن القداسة تكتسب بالوراثة وهي بهذا الشكل تصبح غير ذاتية ولا تخضع لإرادة الإنسان بل هي قوة خارجة عنه وعن إرادته، وهو ما ينطبق على آل البيت بصريح النص الديني الذي يؤكده ذلك ويثبته، فالقداسة بهذا المعنى وهذا الشكل مبنية على رابطة الدم والنسب العائلي، فالبركة النبوية تسري في عروق آل البيت بدون جهد ذاتي إرادي وتمتد لتملئ الفضاء الاجتماعي وحتى الكوني[1].

ينصح الأنثربولوجي الفرنسي روني جيرار Ronnie Girard الباحثين في مجال المقدس بأن لا يجهدوا أنفسهم في البحث عن طُرق ضبط وحصر المقدس، كما لو كان الأمر يتعلق بمفهوم نظرية تجريدية؛ بل إنه تجربة الأفراد والجماعات في علاقتهم المتعددة مع المحيط الاجتماعي والطبيعي، تجربة تستدعي خلالها الناس تاريخهم الواقعي والمتخيل، إن تجربة المقدس لا تظل أبداً خاصة وذاتية؛ بل تقتسم من طرف أعضاء الجماعة، وتأخذ كلها الجمعي بفضل الأساطير والطقوس الدينية مثلما تصبح مؤسسة ومنتظمة في الزمان والمكان بفضل استثمار للبنيات الرمزية للمتخيلة الإنسانية[2].

وما يستدعي الانتباه هو أنّ حضور المقدّس كان دوماً مقترنا بصورة من صور العنف سواء الظاهر أو الكامن، يكفي دليلا على ذلك الحروب الدينية واستباحة دماء المخالفين في الرأي أو الاعتقادات التي تمارس باسم الدين هجوماً أو دفاعاً وأحكام الحسبة وفتاوى القتل والتكفير التي أضحت ممارسات تهمين على مسرح الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسيّة قال إريكفايلEricville : "إن هناك صنوفًا من العنف بقدر ما

---

[1] – محمد خالد، **المقدس والعنف في التجربة الصوفية: حالة شمال شرق الصحراء الجزائرية**، مجلة إنسانيات، مج4، ع11،31 أوت 2000، ص5.

[2] – نور الدين الزاهي، **المقدس والمجتمع**، أفريقيا الشرق، (د، ط)، المغرب، 2011، ص ص65-66.

هناك من المقدّسات"، هذه العبارة يمكن أن تقرأ على وجهين: من ناحية ثمة تأكيد على أنّ المقدسات تورث عنفاً تتعدد أشكاله وصوره، ومن ناحية أخرى تشير إلى أنه يمكن للعنف المتفاقم أن يتخلق بالمقدّس ويعمل على توظيفه لتسويغ ممارساته بحيث يتحول الإرهابي مثلا إلى بطل أو شهيد، فكلما ارتبط المقدس بالسياسة في علاقة توظيف متبادل أمسك العنف والمقدس كل منهما برقبة الآخر[1].

أ- المهدوية كصورة من صور التقديس عند الشيعة الإسماعيلية:

في خضم نضال آل البيت وشيعتهم من أجل الوصول إلى الإمامة الكبرى أو خلافة المسلمين، برزت عدة اتجاهات متطرفة وأراء مغالية لعل من بين أظهرها إن لم يكن من أقدمها فكرة المهدوية، وتدور حول بعث الآمال في ظهور حاكم من آل البيت يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ويتولى إصلاح أحوال المجتمع الإسلامي وقيادته الدينية والدنيوية إرثا عن رسول (ﷺ) وعن ابن عمه علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)[2].

ولما توفي محمد الحبيب بن جعفر بن إسماعيل الإمام عهد إلى ابنه عبيد الله المهدي وقال له: "أنت المهدي وتهاجر بعدي هجرة بعيدة وتلقى محناً شديدة"[3].

وبحركة الفاطميين الدعائية في المشرق وامتدادها النشيط في بلاد المغرب على يد أقدر الدعاة وأكفأهم أبي عبد الله المحتسب، ذلك الامتداد الذي توج بالنجاح المدهش في إسقاط الأنظمة السياسية في بلاد المغرب الإسلامي، ثم تحويل الحركة إلى نظام عتيد جامع شمل بلاد المغرب كلها، هو نظام الخلافة أو إمامة المسلمين أو قل هو المهدوية التاريخية الأولى في بلاد المغرب الإسلامي[4].

---

[1] – حسن العمراني، وآخرون، **العنف والمقدس والحقيقة**، مؤمنون بلا حدود،(د، ط)، تونس، 2015، ص3.

[2] – موسى لقبال، **الفاطمية أم المهدويات**، ديوان المطبوعات الجامعية، (د، ط) الجزائر،(د، ت)، ص151.

[3] – ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج4، ص44.

[4] – موسى لقبال، الفاطميات، المرجع السابق ص151.

قامت الدعوة الشيعية وثورة أبي عبد الله في المغرب باسم المهدي وروجت لفكرة المهدوية؛ وقد تمحور حولها الفكر الإسماعيلي وجعلت من المهدي الأمل الذي تتطلع إليه الفئات المحرومة ليخلصها من وضعها المزري[1]، كما ساهمت الأشعار والقصص التي انتشرت انتشارا واسعا في إفريقية تنبأ بظهور دولة المهدي وزوال دولة الأغالبة (184-297هـ/800-909م)، فضلا عن تنبؤات المنجمين الذين كثروا في الأسواق والحارات وحتى داخل البلاط الأغلبي ذاته[2]، فقد ذكر المقريزي في هذه: "...فانتشرت حينئذ جنود الداعي أبو عبد الله الشيعي في البلاد، وصار يقول: ....المهدي يخرج في هذه الأيام، ويملك الأرض عدلا، فيا طوبى لمن هاجر إليّ، وأطاعني. وأخذ يغوي الناس بزيادة الله ويعيبه...خصوصا وقد كان يذكر لهم من كرامات المهدي، وأنه يحي الموتى، ويرد الشمس من مغربها، ويملك الأرض بأسرها..."[3].

وضع أبو عبد الله الشيعي خطته السياسية على فكرة القول بظهور الإمام المهدي الذي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً-كما ذكرنا سابقا-، وهي فكرة طالما استعملتها الشيعة لجمع الناس حول آل البيت وإثارتهم على ملوكهم بني أمية ثم بني العباس[4].

وبعد القضاء على دولة الأغالبة ونجاح الثورة الشيعية الإسماعيلية؛ وبعد تحرير أبي عبد الله الشيعي للإمام المهدي من سجنه بسجلماسة؛ فكان لقاؤهما التاريخي يعكس مدى القُدسية التي يحظى بها المهدي عند الداعي؛ فقد نقلت لنا المصادر ذلك فيقول ابن خلدون: ".... وخرج أهل البلد من الغد للشيعي وجاءوا معه إلى محبس المهدي وابنه فأخرجهما وبايع المهدي ومن معه من رؤساء القبائل ..... وهو يبكي من الفرح ويقول: هذا مولاكم ..."[5].

---

[1] - بوبة مجاني، النظم الإدارية في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص13.

[2] - القاضي لنعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص62-63.

[3] - المقريزي، الاتعاظ الحنفا، ج1، المصدر السابق، ص62.

[4]- عبد الوهاب بن منصور، **قبائل المغرب**، ج1، المطبعة الملكية، (د، ط)، المغرب، 1388هـ/1968، ص161.

[5] - ابن خلدون، تالعبر، المصدر السابق، ج4، ص47.

أما القاضي النعمان فيقول: "... فخرج للداعي وجوه أهل مدينة سجلماسة فأعلموه بهروب أميرها ودخلوا معهم إلى المكان الذي كان فيه المهدي فاستخرجوه واستخرجوا القائم فكانت في الناس مسرّة عظيمة استفزّتهم و كادت تطيش لها عقولهم وقرّب لهما فرسان فركباهما ولحقّ المؤمنون بهما والدّعاة يمشون حولهما وأبو عبد الله يمشي بين يدي الإمام ويقول: هذا مولاي ومولاكم أيّها المؤمنون ويحمد الله ويشكره ويبكي من شدة الفرح..."[1].

وعند وصول المهدي إلى رقادة وقفل أبي عبد الله الشيعي معه بجميع العساكر وسلّم الأمر لهُ وأوقف الدّعاة على أنه الإمام الّذي دعا إليه وعرّف جميع المؤمنين به وقال: هذا مولاي ومولاكم ووليّ أمركم وإمامكم ومهديّكم المنتظر الذي كنت به أبشر قد أظهر الله أمره كما وعده وأيّد حزبه وجنده[2].

كل هذه الصور توضح مدى تقديس الشيعة الإسماعيلية للمهدي و طريقة حضور فكرة المهدوية في قيام الدولة الفاطمية.

ب- تقديس الإمام عند الشيعة الإسماعيلية:

تعتبر "الإمامة" أول إشكالية يتداخل فيها العقدي بالسياسي والديني بالدنيوي، وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة إذ ما سُلَّ سيف على قاعدة دينية مثلما سل على الإمامة[3]، وذهب بعضهم إلى حد القول بأنها من الأسرار الإلهية أو مظاهر الربوبية أو الألوهية المصغرة بذاتها ويرى البعض الآخر أن الإمامة أمر محتم وأنه لا يجوز أن يبقى

---

[1] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص ص279-280.

[2]– نفسه، ص287.

[3] – ابن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت584هـ/1153م)، **الملل والنحل**، ج1، تح: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 1387هـ/ 1968م، ص22.

المسلمون بدون إمام يسير بهم على كتاب الله وسنة رسوله ويقودهم في الطريق المؤدية إلى النجاة والخلاص[1].

اعتبر الشيعة أن الإمامة من حق علي بن أبي طالب (ﷺ) ومن الواجب إتباعه؛ واعتبروه الوصي الشرعي واستشهدوا على ذلك بالآيات والأحاديث المؤيدة لأقوالهم، ووضعوا له صورة مقدسة مضخمة في مخيالهم؛ وقد استعمل المفكر الجزائري محمد أركون مفهوم "الأسطورة" بمعناها الوصفي الأنثروبولوجي كما يدعي ذلك، وعندما ينتهي إليه الأمر بتناول شخصيات في الإسلام مثل شخصية علي (ﷺ)؛ فإنه يوحي بتعذر التفريق بين الجانب التاريخي الواقعي والجانب التقديسي المضخم الشيء الذي تتحول معه شخصية هذا الإنسان إلى شخصية فوق تاريخية معصومة وأسطورية[2].

أما الشيعة الإسماعيلية فقد جعلوا الإمامة إحدى دعائم الدين وسموها" الولاية" وقالوا: إنها أفضل دعائم الدين وأهمها بعد النبوءة "الوصاية" وإنه لا يستقيم الدين إلا بها، والإمامة هي المركز الذي تدور عليه دائرة الفرائض، فلا يصح وجودها إلا بإقامتها ثم قالوا بالنص أن الإمامة تستمر مدى الدهر، وأنها بدأت بالتسلسل من عهد آدم الأول، وأن الكون لا يستطيع البقاء لحظة واحدة دون إمام و كذلك هو الذي يحل الحلال ويحرم الحرام ويقيم حدود الله[3].

ويروي القاضي النعمان عن أبي جعفر محمد بن علي أن سائلا سأله في قول الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ

---

[1] – عارف تامر، **تاريخ الإسماعلية**، ج1، رياض الريس للكتب والنشر، ط1، لندن، تشرين الثاني/ نوفمبر 1991، ص73.

[2]– فاطمة العلمي، **إشكالية المنهج في قراءة التراث الإسلامي عند مفكري العرب المعاصرين**، دار الأمان، ط1، المغرب، 1439هـ/2018م، ص76.

[3] – عارف تامر، **تاريخ الإسماعلية**، ج1، المرجع السابق، ص125.

وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[1]، فكان جوابه أن قال: قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾[2]، فقال: يقولون لأئمة الضلال والدعاة إلى النار هؤلاء أهدى من آل محمد سبيلا، أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا، يعني الإمامة والخلافة، وفي قوله سبحانه: ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾[3]، نحن الناس الذين عنى الله ههنا، والنقير النقطة التي رأيت في وسط النواة، أما في قول الله عز وجل: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[4]، قال: نحن ههنا الناس المحسودون على ما آتانا الله من الإمامة دون خلق الله جميعا[5].

استنادا إلى النصوص والنظريات التي اعتمدها علماء الإسماعيلية في تأويلاتهم الباطنية ونظرياتهم الفلسفية العميقة أولوا قول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[6]. فقالوا إن المؤمن عليه أن يتقرب إلى الله ويعبده حق عبادته ولا يتسنى له ذلك إلا بمعرفة الحدود الروحانية وهم الملائكة المقربون إليه، وبناء على نظرية المثل و الممثول أوجدوا حدوداً جسمانية تقابل الحدود الروحانية، فقالوا: إن النبي في عصره يقابل العقل الفعال[7]، وصفات العقل

[1] – السورة النساء، الآية 59.

[2] – السورة النساء، الآية 53.

[3] – السورة النساء، الأية54

[4] – السورة النساء، الآية 54.

[5] – القاضي لنعمان، دعائم الإسلام، المصدر السابق، ج1، ص ص20–21.

[6] – سورة الأعراف، الأية179.

[7] – **العقل الفعال:** ويسمى العقل العاشر هو ناشط ضمن عالم طبيعة، وهو الذي يتولّى تدبير ذلك العالم وإدارته، ومن هذا العقل تصدر وتفيض المادة الأولى(الهيولي) التي هي منشأ العناصر الأربعة (الماء والتراب والهواء والنار)، وعندما يحين وقت إيجاد الأشياء وخلقها يمنح العقل الفعّال تلك الأشياء صورها الخاصّة بها (كإعطاء صورة الثلج للماء أو صورة النبتة الى الحبة...وهكذا) لكي يكون جاهزاً لعملية الإيجاد، ومن هنا أطلقوا على العقل الفعال اسم واهب الصّور. للمزيد ينظر: =

الفعال أطلقوها على النبي، ولما كان الإمام هو خليفة النبي والقائم مقامه، لذا فإن الصفات وأسماء العقل الفعال وكل متمكن مدقق في أقوال دعاة الإسماعيلية تتبين له الحقيقة واضحة[1]، و إن الأسماء والصفات غير واقعة عن المبدع حقيقة الوقوع ولا يعبر بها عنه بالقول المنطوق به والمسموع، جل الله أن تقع الأسماء والصفات عليه، وتعالى أن يشار، فإن قلنا أبدع فالمبدع وصف، وإن قلنا خلق فالمخلوق عُني، وإن قلنا أوجد فإلى الموجد أشير وكني بما أدت إليه ضرورة العبارة والحروف مستعارة، وإن من الأسماء والصفات التي وردت في القرآن العظيم من السميع والعليم والقادر والحكيم وسائر الصفات معبرة عما أوجده في خلقه وغير واقعة إلا مجازا على عالم الإبداع؛ فالأسماء والصفات والإشارات والعبارات قاصرة عنه، واقعة على دونه جارية إلى عباد ممن أوجده يعبدونه ويشكرونه على جليل الأقدار والجسام يسبحون مبدعهم وله يشكرون وعن تقديسه وتوحيده لا يفترون[2].

ويعطينا ابن هانيء الأندلسي فكرة عن قداسة الإمام عند الشيعة الإسماعيلية في قصيدته التي يمدح بها الإمام المعز لدين الله الموسومة بـ" أنت الواحد القهار"[3] والتي كان مطلعها:

ما شِئتَ لا ما شاءت الأقدارُ فأحكُم فأنت الواحد القهّارُ
وكأنّما أنت النبيُّ مُحمّدُ وكأنّما أنصارُك الأنصارُ[4]

=مجموعة من المؤلفين، **عين الحكمة: العقل في تاريخ الفكر الإسلامي**، تر: عباس جواد، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1، لبنان، 2015، ص182.

[1] – أحمد النيسابوري، المصدر السابق، ص17.

[2] – القرشي، تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص21.

[3]– أنظر الملحق: 02، ص167

[4] – محمد بن هاني الأزدي الأندلسي(المعروف ابن هاني الأندلسي)(ت362هـ/972م)، ديوان **ابن هاني الأندلسي**، دار بيروت للطباعة والنشر، (د، ط)، لبنان، 1400هـ-1980م، ص146.

فابن هانيء هنا يخلع على ممدوحه الإمام المعز الفاطمي اسمين من أسماء الموجود الأول أو العقل الفعال أو السابق في الوجود وهما: الواحد والقهار ولا يعطي أي اسم من الأسماء العائدة للمبدع. وقد سبق لنا أن قلنا إن الاعتقادات الإسماعيلية في الإمامة تحتاج إلى الرجوع إلى التأويل الباطني، وإذا لم يتسنّ لنا الوصول إلى كنه التأويل نظل عاجزين عن فهم هذه الاعتقادات، ويعود ابن هانئ ليؤكد بالبيت الثاني صحة ما ذهبنا إليه فيعطيه صفة الرسالة التي ورثها عن النبي الناطق[1].

وقد جاء عند القاضي النعمان في افتتاح الدعوة أن الرسول رسول الله (ﷺ)قال: "مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق"[2].

وجاء في زهر المعاني للداعي إدريس أن سئل مولانا المعز لدين الله عن تأويل قول الله تعالى:﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[3]، فقال: الغيوب ثلاث: الغيب الأكبر: هو الباري سبحانه لأنه غاب عن الأبصار والأوهام، فلا يدركه بصر ولا يحيط به الفكر ولا وهم، والغيب الثاني: هو الغيب التأويلي المغيب تحت الشريعة وهو التأويل بالحقيقة، والغيب الثالث: هو القائم لأنه في الغيب فالإقرار به فرض واجب[4].

وكان الشيعة الإسماعيلية يسجدون للأئمتهم مظهرين التذلّل فقد جاء في أكثر من موضع في كتاب المجالس والمسايرات عندما يتحدث الكاتب القاضي النعمان عن الوفود القادمة للإمام من الجزر والكور الدينية فيقول: "... وقدم على الإمام المعزّ لدين الله –صلوات الله عليه– رسل جماعة من الدّعاة من جزائر شتىّ بعيدة ...فأدخلهم إليه، فقبّلوا الأرض بين يديه، ومرّغوا خدودهم عليها، وأكثروا من حمد الله وشكره إذا أبلغهم إليه وأراهم وجهه...."[5].

[1] – أحمد النيسابوري، المصدر السابق، ص ص 18-19.

[2] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص 298.

[3] – السورة البقرة، الأية3.

[4] – القرشي، زهر المعاني، المصدر السابق، ص 127.

[5] – القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص475.

و في موضع أخر من المجالس والمسايرات:"...فأدخلهم فقبّلوا الأرض بين يديه، ومرّغوا خدودهم تقرّبا إليه، وحمدوه وشكروه على أن بلّغهم إليه وأدناهم وقرّبهم منه..."[1].

وكان الشيعة الإسماعيلية يشترون بركة الإمام؛ وذلك ما حدث مع الأستاذ جوذر الذي اشترى بركة الإمام المهدي من عند أحد عمال الصقالبة[2].

وقد ولّد المقدس (المهدوية، الإمامة)، عنفا ظاهريا وعنفاً آخر كامناً رمزياً.

1-العنف الظاهر:

هناك العديد من مظاهر العنف الظاهر التي جاءت باسم المقدس؛ سنذكر هنا مظهرين في إطار التمثيل لا الحصر:

- شكل العنف ظاهرة مشهودة في اجتياح أبي عبد الله الشيعي واكتساحه لربوع بلاد المغرب باسم المهدوية وباسم المقدس، بغية القضاء على القوى السياسية القائمة والتأسيس لقيام الدولة الفاطمية[3]؛ فأثناء تجوله في بلاد المغرب قتل الرجال وأخذ الأموال وسبي الذرية وأحرق بعض المدن بالنار[4]، وفي عام (296هـ/909م) دخلت خيول أبو عبد الله الشيعي إلى توزر وأحرقت القرى هناك وأفسدت ما مرت به، وعند زحف عساكره إلى كبونة قتل منهم مالا يحصى وغنم منهم ما لا يحصى[5]، ودخل أبو عبيد الشيعي الأربس عنوة وأخذها بالسيف فلجأ أهلها إلى جامعها وركب بعض الناس بعضا وقتلهم الشيعي أجمعين؛ حتى كانت الدماء تسيل من أبواب المسجد كما يسيل من وابل الغيث؛ وقيل أنه قُتل داخل المسجد ثلاثين ألف رجل، وكان قتلهم

[1] – القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص478.

[2] – الجوذري، المصدر السابق، ص ص37-38.

[3] – خالد حسين، المرجع السابق، ص ص 21-22.

[4] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص ص 145-163.

[5] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص171.

من بعد صلاة العصر إلى آخر الليل[1]، وهذا ما جاء في البيان لإبن عذاري المراكشي نستشهد به بتحفظ.

- عند امتحان عبيد الله المهدي في مهدويته من قبل الداعي أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس[2]، فما كان من المهدي إلا أن قام بتصفيتهم وقتلهم والتخلص منهما باستغلاله مذهب تقديس الإمام عند بعض المخلصين له[3]، فاستدعى المهدي عروبة بن يوسف، وأخاه حباسة وأمرهما بقتل الشيعي وأخيه فوقفا لهما عند القصر، وحمل عروبة على أبي عبد الله الشيعي وأراد قتله فقال له هذا الأخير: لا تفعل فقال له: الذي أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك [4].

2-**العنف الرمزي:**

تمثل في عدة أشكال مختلفة نذكر منها:

- تجلى العنف الرمزي في صورة لقاء أبي عبد الله الشيعي بعبيد الله المهدي بعد مبايعته[5]-كما ذكرنا سابقا-
- المغالاة في وصف شخص المهدي حتى شبهوه "بالشمس المنيرة"، فقد بالغوا في تعظيمه وإجلاله، وكانوا إذا دخلوا عليه قبلوا الأرض بين يديه، ومرغوا خدودهم عليها، رافعين أكفهم بالدعاء والحمد أن أكرمهم الله برؤية وجهه"[6].

---

[1] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص ص 146-147.

[2]- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص309. ابن عذاري المراكشي،البيان،ج1، المصدر السابق، ص160.

[3]- حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف، **عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب**، مكتبة النهضة المصرية، ط1، مصر، (د، ت)، ص 267.

[4]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج4، ص48.

[5] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص ص 279-280.

[6]- القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص478.

هكذا كان المقدس (المهدوية، الإمام) في الدولة الفاطمية مُسبباً للعنف، ومثل أحد أشكاله سواء العنف الظاهر المباشر أو العنف الرمزي الخفي. ويعتبر من محركات الفتن والصراعات التي أدت إلى تلك الصورة الدموية التي ارتبطت في مخيلة الإنسان المغربي بالفاطميين في المغرب الإسلامي.

2- الاغتيالات السياسية:

عرفت الدولة الفاطمية الاغتيالات[1] السياسية في المغرب الإسلامي منذ أن قام الإمام الأول المهدي باغتيالات وتصفيات جسدية كبيرة لكبار الدولة بداية بشيخ المشائخ هارون (ت298هـ/911م) إلى داعيته ومؤسس دولته أبي عبد الله الشيعي (ت296هـ/911م) وأخيه أبي العباس (ت298هـ/911م)، وكذا كبار القادة العسكريين الكتامين مثل أبي زاكي (ت298هـ/911م)[2].

أ- أسباب الاغتيالات السياسية:

هناك عدة أسباب أدت إلى قتل عبيد الله المهدي لكبار دولته نذكر أهمها:

- رغبة المهدي التعامل مع وجوه كتامة وزعمائها البارزين دون وساطة كأبي عبد الله الشيعي وكذلك حياة النعيم والترف الذي أرادها لجند كتامة، والتي كانت محل اعتراض

---

[1]- **الاغتيالات:** الاغتيال لغة هو نوع من القتل وهو مشتق من الغِيلة بالكسرة أي الخدِيعة و الاغتيال. وقُتِل فلان غِيلة أي خُدعة، وهو أن يخدعه فيذهب به إلى موضع، فإذا صار إليه قتله، وقد اغتيل، والغيلة في كلام العرب إيصال الشرّ والقتل إليه من حيث لا يعلم ولا يشعُر. أما اصطلاحا فإن الاغتيال والقتل لا يخرجان عن المعنى اللغوي؛ المقصود به هو قتل شخص خفية من حيث لا يدري وغالبا ما يقع على من يشتغلون وظائف عامة ذات أهمية، وترتكب الاغتيالات عادة إما للانتقام أو لحصول على مقابل مادي أو لإبعاد خصم سياسي عن وظيفة ما . للمزيد ينظر: ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ج11، ص 513. حيدر عبد الرزاق جعفر العلي، **الاغتيالات السياسية في الأندلس حتى نهاية دولة الموحدين(97-620هـ/715-1223م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الأداب،جامعة البصرة، العراق، 1436هـ/2010م، ص ص 22-23.

[2] – **أبي زاكي:** هو تمّام بن معارك الأجاني وكان قد تولى شؤون إفريقية حيّن خرج أبو عبد الله لإحضار المهدي، وهو من كبار القادة العسكريين الكتامين الذين يرجع لهم الفضل في قيام الدولة الفاطمية حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 267. ابن عذاري، المصدر السابق،ج1، ص165.

داعية فقد قال هذا الأخير للمهدي: "لو كنت تجلس في قصرك وتتركني مع كتامة آمرهم وأنهاهم، لأني عارف بعادتهم لكان أهيب لك في أعين الناس"[1]، فكان هذا صدمة عنيفة للمهدي لكن أسّرها في نفسه، وإن بقى على نهجه في التعامل مع كتامة حسب أسلوبه. وعدم الاستجابة لآراء داعيته أظهره في مظهر المستبد بالرأي الرافض لنصيحة أخلص رجالاته[2].

- بعد إخضاعه للبلاد بنفسه باشر المهدي بنفسه، وكفّ يَدَ الداعي وأخيه أبي العباس فدخل الحسد هذا الأخير، وعظم عليه الفطام عن الأمر والنهي والأخذ والعطاء، فأقبل يتحدث على المهدي في مجلس أخيه ويتكلم فيه وأخوه ينهاه، ممّا قال له ما نقله لنا المقريزي: "ملكت أمراً فجئت بمن أزالك عنه، وكان الواجب عليه أن لا يسقط حقّك ومازال به حتى أثّر في قلب أبي عبد الله...."[3].

تذكر المراجع أنها لا تشك مطلقا في إخلاص الداعي الشيعي للإمام المهدي، ونؤكد وفاءه وإخلاصه ومودته وتقديره للإمام. وتجلى وفاءه وإخلاصه في كل الجهود التي بذلها من أجل التمهيد لقدوم الإمام إلى بلاد المغرب وتولى الخلافة فيها، لقد نجح بجهود فردية احتواء أهالي إفريقية في مجتمعه الشيعي؛ وهو الذي بعث يستدعي الإمام من سلمية بالشام؛ وهو الذي خرج على رأس جيشه إطلاق سراح الإمام من سجنه وخوفه من أن يقدم الوالي ابن مدرار على قتله، كما شهدنا فرحته لنجاة المهدي واستعادته حريته، ورأينا، في موكب الإمام في شوارع سجلماسة، ماشيا بين يديه يبشر الأهالي به، ولذا فنحن نوافق المؤرخين الأقدمين الذين يجعلون غرور أبي العباس هو أحد الأسباب الذي أدى إلى الوقيعة بين الإمام المهدي وداعيته أبي عبد الله الشيعي، وَغَذَّى الحاسدون والحاقدون هذه

[1] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ج1، ص67.

[2] – موسى لقبال، **ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني(مذهبية وتوحيد)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1990، ص80-81.

[3] – المقريزي، اتعاظ الحُنفا، المصدر السابق، ج1، ص67.

الواقعة[1]، فتضخمت وتطورت وانتهت بأمر من الخليفة بقتل أبي عبد الله ومن معه –كما سنرى لاحقا–.

- الصراع بين القادة الكتاميين أبي زاكي وعروبة بن يوسف (ت302هـ/915م)[2] على النفوذ في الدولة الجديدة، وعلى الفوز بالمركز الأول عند المهدي وداعيته، لم يخف أبدا عن المهتمين مدى التحاسد بينهما، وأبي زاكي كان في نظر عروبة أثيرا ومقّربا عند الداعي، لهذا كان هذا الأخير شبه ناقم على الداعي، فلعب دورا مشبوها للانتقام لشرفه، فاستغل المهدي جانب الضعف والغضب فيه فأصبح عينا له على الداعي وعلى بني قومه وكان له دور مهم في مجريات الاغتيال[3].

ب– مجريات الاغتيال:

تزأس أبو العباس التعبئة النفسية والتحضير للثورة ضد المهدي وذلك من خلال تذكير الكتاميين كيف أنه انتزع الأموال من أيديهم، وكيف أنه استعان بالصقالبة[4]، فزاد أبو العباس في قوله حتى أنه أثار الشكوك والريبة والتشكيك في المهدوية، فطعن في الإمامة وأدخل فيها الشبهة حتى قال: "إن هذا ليس بالذي كنا نعتقد بطاعته وندعو إليه لأن المهدي يأت بالآيات الباهرة"[5].

وفي إطار التحضير للانقلاب العسكري وقع اجتماع في (ذي الحجة 297هـ/910م) وفي مكان بجوار تنس يسمى الثور بين الشيعي والثلاثي البارز في كتامة وهم: شيخ

---

[1] – علي حُسنى الخربُوطلي، **أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية**، المطبعة الفنية الحديثة، (د، ط)، 1972م، ص60.

[2] – **عروبة بن يوسف:** أحد كبار قادة العسكريين الذين يرجع له الفضل في قيام الدولة الفاطمية، وقف مع عبيد الله المهدي أثناء فتنة أبو عبد الله الشيعي وأخاه أبا العباس، وتقلد العديد من المناصب كولاية الشرطة ثم ولاية تاهرت، ثم حامت حوله الشبهات وضيّق عليه الخناق، كما ضيق على أخيه حباسة من طرف عيون المهدي، أمر المهدي في الأخير بقتلهما عام302هـ/915م. للمزيد ينظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص172.

[3] – موسى لقبال، الإيكجاني، المرجع السابق، ص83.

[4] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص309.

[5] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ج1، ص67.

المشائخ هارون والقائدين العسكريين عروبة بن يوسف وأبو زاكي، وفي هذا الاجتماع التاريخي اتفقوا على امتحان المهدي، حسب المواصفات الخاصة بالمهدي المنتظر عند آل البيت، فإذا ظهر زيفه أزيح عن مكانه بالقوة وتعاهد الجميع على الاحتفاظ بسرية الخطة وعلى التنفيذ السريع عند العودة إلى رقادة، فلما عادوا كشف عروبة للمهدي كل ما دار في الاجتماع فخان الداعي ورفاقه؛ وأصبح المهدي بعد ذلك حذرا من داعيته ويراقب كل تحركاته وتصرفاته وسرعان ما اتضحت له الحقيقة[1]، فقد واجه شيخ المشائخ هارون المهدي بالقول: "إنا شككنا في أمرك فأتينا بأيةٍ إن كنت المهدي كما قلت"، فتعاظم القول على المهدي وأتاه بالدليل من كتاب الله وما أتى فيه من ذّم الأمم عند سؤالهم أنبيائهم، وقال المهدي لشيخ المشائخ في قوله : "شككنا في أمرك" ويحك إنكم كنتم أيقنتم واليقين لا يزيله الشك" وقام بقتله[2].

ولما أيقن أبو العباس وأتباعه مقتل شيخ المشائخ جعلوا ذلك سببا للظهور والجهر بالعصيان واتخذوا معقلهم دار أبي زاكي وعقدوا العقود وأجمعوا الآراء على قتل عبيد الله المهدي، واجتمعت معهم أغلب الكتاميين[3]، وأخذوا يدبرون مؤامرة ترمي إلى اغتيال المهدي وهجموا عليه أكثر من مرة، والظاهر أن تعاليم أبي عبد الله الشيعي التي تقوم على تقديس المهدي كان لها أثرها في قلوب المغاربة؛ الذين كانوا يرهبون على الرغم من إجماع الثوار على الإنهاء عليه، كما كانت قلوبهم تذوب خوفا وهلعا حين تقع عيونهم عليه، ومهما يكن من شيء فقد أجمع ذلك النفر على الفتك بالمهدي، فقام هذا الأخير بالجمع في صفه من لم ينظم إلى حزب أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس، واستعد لهم على كثرتهم وقلة المبايعين له، فجمعوا له الجموع وأحاطوا بقصره ليوقعوا به، لجأ المهدي إلى المكر والحيلة وتظاهر بتجاهل ما يدور حوله، وبدأ يحارب الثوار بنفس

[1] – موسى لقبال، الإيكجاني، المرجع السابق، ص82-38.
[2] – النعمان القاضي، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص310-311.
[3] – نفسه، ص312.

سلاحهم[1]، فنظر المهدي إلى أبي عبد الله الشيعي يوماً من تلك الأيّام وقد لبس ثوبه مقلوباً ثمّ دخل عليه به ثلاثة أيامٍ فقال له في الثّالثة: "يا أبا عبد الله ما هذا الذي أذهلك وشغلك مثل هذا الشّغل في أمر نفسك؟ قال: وما هو يا مولاي؟ قال أرى قميصك مقلوباً عليك منذ ثلاث، ما اهتديت إليه ..."[2].

نفذ صبر الخليفة وكان بالأمس يتغاضى ويتغافل، ولكن أبا العباس الآن قد شن ثورة علنية ضد الخليفة وهدم أساس نظام الإمامة الذي قامت عليه الخلافة الفاطمية، ولذا رأى الإمام المهدي أن يضع حدا لهذا العداء السافر، وقد بدت بوادر ثورة شعبية وأصبح الأمر مسألة مصيرية، ترتبط بمصير الإمام وفلسفة الإمامة ومستقبل الدولة الفاطمية، ولذا قرر الخليفة التخلص من الداعي وأخيه، وقد كان من العسير الإبقاء على حياة الداعي، لأنه لن يسكت عن قتل أخيه فهناك صلة الدم ورابطة الأخوة فضلا عن تعظيم أبي عبد الله الشيعي لأخيه[3].

قد كان الشيعي على علم بعزم الخليفة على قتله وبدأ سباق بين الرجلين أيها يقتل الآخر أولا، فأخذ المهدي في تفريق القوم في البلاد، وكان كبيرهم أبو زاكي فسيرَّهُ واليا على طرابلس وقد كاتب المهدي عامله بطرابلس ماقنون بن دبّارة يأمره بقتله فبعث عامل طرابلس في أبي زاكي وكان عمّه، ثمّ عرض عليه كتاب عُبيد الله إليه يأمره بقتله، فلما قرأه قال له: يا عمّ نفذ ما أمرت به"، فقدمّه فضرب عنقه وكتب إلى عُبيد الله يخبره قتله مع حمام وصل إلى رقادة من ساعته وذلك يوم الثلاثاء غرة ذي الحجة عام 298هـ/910م[4].

[1] – حسن إبراهيم، المرجع السابق ص 267.

[2] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص3140

[3] – الخربُوطلي، المرجع السابق، ص63.

[4] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج1،ص165.

أما أبو عبد الله الشيعي وأخوه أبو العباس فقد أمرهما بالبقاء معه وعمل على التخلص منهما باستغلاله مذهب تقديس الإمام عند بعض المخلصين له[1]، فاستدعى المهدي عروبة بن يوسف، وأخاه حباسة وأمرهما بقتل الشيعي وأخيه فوقفا لهما عند القصر، وحمل عروبة على أبي عبد الله فقال له: لا تفعل فقال: الذي أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك؛ ثم أجهز عليهما في نصف جمادي عام298هـ/910م، ويقال على إن المهدي صلىّ على أبي عبد الله وترحّم عليه، وعلم أن الذي حمله على ذلك إغراء أبي العباس أخيه[2].

ج- آثار الاغتيالات في تفشي ظاهرة العنف:

كانت لهذا الحادث أصداءٌ بعيدة في المغرب و المشرق على السواء، وشعور المهدي بضخامة الحادث دفعه إلى شرح قضية الداعي وأخيه لأنصاره في المشرق[3]. فكتب لهم في أمرهما: "أما بعد: فقد علمتم محلّ أبي عبد الله وأبي العبّاس من الإسلام فاستزلهما الشيطان فطهرتهما بالسيف والسلام"[4]، كما دفعه إلى اتخاذ احتياطات أمنية على حياته وعلى حواضر الدولة خاصة رقادة والقيروان اللتين يُوجد فيهما عدد كبير من الكتاميين أنصار الداعي المخلصين[5]، وقد ثارت فتنة بسبب قتلهما من أصحابهما وقام المهدي بالقضاء عليها[6]، وتتبع المهدي أنصار الشيعي في كل البلاد بالقتل أو السجن وظل هؤلاء المسجونون في حبسهم حتى أطلق سراحهم الإمام الثالث المنصور بالله[7].

---

1 - حسن إبراهيم، المرجع السابق، ص 267.
2 - ابن خلدون، العبر ، المصدر السابق، ج4، ص48.
3 - موسى لقبال، الإيكجاني، المرجع السابق، ص84.
4 - ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص165.
5 - موسى لقبال، الإيكجاني، المرجع السابق، ص84.
6 - نفسه، ص48.
7 - الخربوطلي، المرجع السابق، ص64.

أما إقليم كتامة فقد انتفض على قتل أبي عبد الله الشيعي، ونصبّوا طفلاً لقّبوه المهدي، وزعموا أنه نبيّ وأنّ أبا عبد الله الشيعي لم يمت فجهز المهدي ابنه القائم لمحاربتهم فقاتلهم وهزمهم وقتل الطفل الذي نصّبوه[1].

هكذا أصبحت الدولة الفاطمية منذ بدايتها دموية عنيفة، وهي صفة لازمتها حتى آخر أيامها في بلاد المغرب الإسلامي.

3- الصراع الفكري:

غالبا ما تطرح قضية الصراع والتعايش بين المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب بطريقة اختزالية تستحضر جوانب محددة فقط، يتم تضخيم أثرها بحسب السياقات التي ذكرتها المصادر المختلفة، حيث يقودنا استحضار مختلف هذه العوامل نحو تفسير التصادم والعنف المذهبي الذي يصل –أحيانا– إلى الحرب والتصفية، وأحيانا أخرى نحو تسامح ينسي الناس فيه خلفيتهم المذهبية لصالح صورة من التعايش السلمي الذي ميز العديد من الفترات[2].

أ- أسباب الصراع الفكري:

يمكن تحديد أسباب التصادم والصراع الفكري الذي ميّز المرحلة الفاطمية في المغرب الإسلامي إلى ما يلي:

- **المذهب المالكي و تجذره في المنطقة:**

تبوأ المالكية منزلة مرموقة في المجتمع المغربي، حيث تمتعوا بنفوذ قوي في الأوساط الاجتماعية وقد أفصحت لنا كتب التراجم والطبقات –أحياناً– بشكل صريح عن مقام

[1] – ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج4، ص49.

[2] – حسين بوبيدي، **بلاد المغرب الإسلامي بين التعايش والصراع المذهبي**، المرجع السابق، ص201.

بعض هؤلاء الفقهاء بين أبناء مجتمعهم[1]، فمنهم: عبد الله بن غافق التونسي أبو عبد الرحمن (ت275هـ/888م ويقال297هـ/890م) فيقول القاضي عياض فيه: "...كان فقيها ذا هيئة ونسك، ثقة مأمونا وكانت له طاعة بتونس، لا يتقدّمه أحد منهم في وقته ولا يخالف أمره..."[2]، ويكفي الوقوف على مدى الاحترام والتقدير الذي كان يكنه أهل إفريقية لهم في تلك الوفود الحاشدة التي كانت تحضر جنائزهم والحزن الذي يخيم عليهم عند فقدان أحدهم والمراثي التي تقال عقب ذلك، فلما توفي محمد بن سحنون (ت256هـ/817م) قام الناس على قبره شهورا عدة حزنا منهم عليه وأسفاً على فراقه، أقامت البيوع و الأشربة والقِبابُ مضروبة على قبره أربعة أشهر بالليل والنهار، فما صرفهم عن ذلك إلا قدوم الشتاء[3].

- **البعد الاجتماعي:**

ما عمق الخلاف –كذلك– بين الفاطميين وأهل المغرب هو الفقه وليس العقيدة فقط، نظرا لعلاقة الاختلاف الفقهي بالبناء الاجتماعي؛ ففعل الأذان مثلا ليس نداء لتأدية واجب الصلاة فحسب وإنّما هو تعبير عن الانتماء المشترك le commun الذي يتفق عليه أفراد المجتمع ويلتفون حوله، هو الوقت والزمن المشترك والعقيدة المشتركة وذلك

---

[1] – حفيظ كعوان، **أثر فقهاء المالكية الاجتماعي والثقافي بإفريقية من ق(2–5هـ/8–11م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 1429–1430هـ–2008–2009م، ص21.

[2] – القاضي أبو الفضل عياض (ت544هـ/1149م)، **تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض**، تح: محمد الطالبي، نشر الجامعة التونسية، ط1، تونس، 1968، ص309.

[3] – أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي (ت453هـ/1061م)، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، ج1، تح: بشير البكوش، راجعه: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، ط2، لبنان، 1414هـ/ 1994، ص455. أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ(ت296هـ/909م)، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوحي(ت839هـ/1435م)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، ج2، تح: محمد أحمدي أبو النور وأخرون، مكتبة الخانجي، المكتبة العتيقة، ط1، مصر، تونس، (د، ت)، ص136.

من خلال ما يسميه P.Bourdieu "التعود"[1]، فالتعود على الأداء، الطهارة والصلاة والفرائض والسّنن في العبادات بشكل معيّن ومترسّخ جيلا بعد جيلا بما في ذلك إحياء المناسبات الدينية، وكل تتضمن أبعاد عقيدية إضافة إلى التعوّد على شكل معيّن يتفق عليه الجميع في المعاملات كالبيوع والميراث، إضافة إلى الشكل العام الذي يطبع الحياة الدينية في أبعادها الاجتماعية، من خلال الحياة اليومية في المرافق العمومية كالشوارع والأزقة والمساجد خاصة؛ باعتبارها تُمثل واجهة الخلاف الفقهي/ العقدي ومن خلفهما الصّراع السياسي داخل المجتمع وذلك من خلال العلاقات بين الأفراد في تلك الأماكن، وذلك طبيعي نظرا لانعكاس الديني في الاجتماعي والاجتماعي في الديني بشكل متبادل، فاسم التشريق الذي كان ينعت به كل من اتبع الفاطميين كان يعني تبني الفاطميين ثقافة معيّنة بأبعاد سلوكية خاصة؛ إضافة إلى ذلك اللا مصرح به وما ينبغي أن يظل لا مُتكلما بل يبقى محفوظا في دائرة اللامقول (Indit)، وهي المسافة التي وضعها الفاطميون بينهم وبين العامّة بسبب نسبهم العلوي والتي ظهرت في السلوك العام للحياة اليومية[2] .

وكذلك من أسباب الصراع الفكري السياسة المذهبية للدولة الفاطمية في المغرب الإسلامي، وكيف أنها فرضت مذهبها وأقصت الآخر. والمقصود به المذاهب الأخرى السنية خاصة المذهب المالكي، لأنه مذهب العامة في المغرب، والخارجية منها خاصة الإباضية النكارية –كما ذكرنا سابقا–.

ب– مظاهر الصراع الفكري:

شهد الصراع الفكري مقاومة الآخر لسياسة المذهبية للسلطة الفاطمية، وعلى رأسهم المذهب السني المالكي، أشكال مختلفة ومتعددة.

1– Bourdieu Pierre, **outline of a theory of prqctice**, English trans; Combridge,1977,p31.

2 – أبو الدهاج ، المرجع السابق، ص106.

المناظرات:

مثّل المناظرات من الجانب الشيعي الإسماعيلي؛ كل من أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس والإمام عبيد الله المهدي والقاضي محمد بن عمر المروزي (ت303هـ/918م)[1]، و أبي جعفر محمد بن أحمد بن هارون البغدادي (ت340هـ/951م)، أما من جانب أهل السنة فقد كان في المقدمة فقيه الشافعية بالقيروان أبو عثمان سعيد بن الحداد (ت302هـ/915م)، ومن الحنفية محمد بن عبدون (297هـ/909م) و إبراهيم يونس (308هـ/920م)، ومن المالكية حماس بن مروان (ت303هـ/915م) وموسى القطان (ت306هـ/919م)[2].

وقد رافقت المناظرات الصدام العنيف الذي حدث بين الشيعة الإسماعيلية من جهة، وأهل السّنة من المالكية والشافعية وبعض الحنفية والخوارج الإباضية النكارية[3] من الجهة الأخرى. منذ قيام دولة الفاطميين، مع أنّ جل المناظرات كان يحركها هاجس إفحام الخصوم ودفعهم إلى الاعتراف والخضوع والانقياد. وبهذا الشكل بقي الحوار رهين ثنائية الهجوم والدفاع، أكثر مما كانت فرصة لتبادل الأفكار وبناء الحقائق وتقريب الرؤى، والبحث عن أرضية مشتركة للتفاهم أو صناعة فقه للتعايش وقبول الآخر. لكن الإمكانيات كانت منعدمة منذ الوهلة الأولى لأن المسألة متعلقة بنزاع حول سلطة سياسة ودينية لا تقبل القسمة على اثنين[4].

---

[1] – المالكي، المصدر السابق، ج2، ص60.

[2] – نفسه، ص60.

[3] – **الإباصية النكارية:** يرجع أصل الخوارج إلى أخطر شقاق ظهر في الإسلام في خلافة علي بن أبي طالب، بعد معركة صفين فقد أنكر عليه الخوارج قبوله التحكيم مع معاوية، وخرجوا عليه وفارقوه، أما الإباضية النكارية هي إحدى فرق الخوارج يرجع ظهورها إلى تاريخ وفاة الإمام عبد الرحمن بن رستم سنة 171هـ/787–788م، فقد نكروا إمامة إبنه عبد الوهاب ابن رستم. للمزيد ينظر: البشير غانية، المرجع السابق، ص ص16–17.

[4] – أبو الدهاج، المرجع السابق، ص93.

تدور المناظرات على بعض القضايا الخلافية العقدية منها والفقهية، كالمناظرة بين محمد بن عمر المروزي والفقيه سعيد بن حداد في قيام رمضان[1]، ومناظرة أبي عبد الله الشيعي لسعيد بن الحداد في مشروعية القياس[2]، ومناظرة أبي عبد الله الشيعي وبعض دعاة الشيعة لأبي محمد عبد الله بن إسحاق التبان في فضائل آل البيت والمفاضلة بين الصحابة[3]، كان من هول هذه المناظرات وأنها عكست نوعاً من أنواع الصراع وإفحام الخصم أن الفقيه سعيد بن الحداد لمّا خرج لمناظرة أبي عبد الله الشيعي خرج معه أهله وولده وهم يبكون فقال لهم: لا تفعلوا لا يكون إلاّ خيرا؛ حسبي من له خرجت وعن دينه ذببتُ[4]، هذه تعكس لنا مدى صعوبة الوضع وأن المناظرات ما هي إلاّ شكل من أشكال الصراع.

ما يلاحظ في هذه المناظرات والصراعات الكلامية ذلك الوفاق المالكي الشافعي الأكيد والحنفي أحيانا، فالحساسية التي كانت متّقدة بين المدنيين والعراقيين، وما بقي في الأنفس بعد تاريخ طويل من الخلافات التي حفلت بها دولة بني الأغلب ستزول لأن المسألة الآن متعلّقة بصراع سني/ شيعي[5]، وعلى إثرها تصالح ابن عبدون الحنفي مع سعيد بن الحداد الشافعي في مشهد فيه الكثير من التوتر، لأن أبا عثمان كان مهاجرا لابن عبدون كيف لا وقد سجن أثناء فترة قضائه، فقال ابن عبدون لأبي عثمان في أحد المناظرات يحثه على التقدم للمناظرة والتخلي عن الصراعات السابقة فقال له: تقدم يا أبا عثمان فلم يجبه فقال له: تقدم فليس هذا وقت مهاجرة، فلسانك سيف الله، وصدرك خزانة الله"[6].

[1] – المالكي، المصدر السابق، ج1، ص ص 60-61-62.
[2] – نفسه، ص ص 76-77.
[3] – الدباغ، المصدر السابق، ص ص 91-92.
[4] – المالكي، المصدر السابق، ج1، ص ص 65-66.
[5] – أبو الدهاج، المرجع السابق، ص94.
[6] – المالكي، المصدر السابق، ج2، ص75.

أما عن طريقة المناظرة وأي طرف هو الفائز فيها، فعندما نقرئها من المصادر المالكية (رياض النفوس للمالكي و معالم الإيمان لدباغ والمدارك للقاضي عياض...) نجدها مناظرات تفصيلية قال...قلت...وتنتهي دائما بانتصار فقهاء السنة وعلى رأسهم سعيد بن حداد، وقبل مدة لم نكن نملك مصدرا آخر حول هذه المناظرات. ولكن في عام(1422هـ/2001م) معهد الدراسات بلندن حقق لنا مخطوطاً جديداً "مناظرات ابن الهيثم" –أشرنا له سابقا– نجد أنّ هذا الأخير فند كل ما قالته المصادر المالكية في ما جاء فيها عن المناظرات وانتصار فقهائهم[1]، وبالتالي الصورة الحقيقية والواقعية لم تصلنا في انتظار ما سيحقق من دراسات في المستقبل.

- **التأليف:**

اتخذ الفقهاء والعلماء المالكية المعارضون للسلطة وسياستها الكتابة والتأليف كسياسة ومبدأ رمزي للتعبير عن رفض الخناق الذي فرضته إيديولوجيا الإسماعيلية على الآخر[2]، **و**انقسمت مواضيع كتابتهم إلى ثلاثة محاور رئيسية:

القسم الأول: فهو ما كان ردا على الشيعة وعلى عقائدهم، وهو رد فعل لما ألفه دعاتهم في تبييض صورتهم من خلال مؤلفات "القاضي النعمان" خاصة، وما جاء فيها من ادعاءات و تحميلات لهم[3].

---

[1] – حسين بوبيدي، **مداخل في دراسة التاريخ المذهبي لبلاد المغرب من سلطة المذهب إلى مذهب السلطة**، محاضرة مسجلة على اليوتيوب، قناة المؤرخ الجزائري https://www.youtube.com/watch?v=6wtRNjqvFPY ، 11:43–13:30.

[2] – لم تصلها مؤلفات الحنفية، خارجية اباضية نكارية في هذا لأقلية الحنفية في المنطقة، أما الخارجية الإباضية النكارية منهم من هاجرا إلى الأندلس وهي أيضا الفئة المغلوبة والتاريخ كتبه أعدائها خاصة بعد فشل الثورة صاحب الحمار لهذا لم يصل لنا إنتاجهم الفكري.

[3] – عبد المالك مغشيش، **النثر المغربي في القرنيين الرابع والخامس الهجريين(دراسة تأصيلية فنية)**، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب المغربي القديم، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر–باتنة–، 1435–1436هـ/2014–2015م. ص213.

القسم الثاني: المؤلفات التي تناولت مسائل العقيدة والفقه والأصول وفق منهج أهل السنة والجماعة، على مذهب الإمام مالك، ومن بين ما تناول بالتأليف مسألة الإمامة عند أهل السنة وأفضلية أبي بكر وعمر وعثمان على علي (رضي الله عنه) وشرعية خلافة الثلاثة خلافا للشيعة والتراضي على أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جميعا عدولا وخلافا لاعتقاد الشيعة[1].

القسم الثالث: تعرض الفقهاء المالكية لعقوبات وابتلاءات في هذا العصر كانت إحدى الدوافع القوية التي حملت مجموعة من الفقهاء للتأليف في ذلك [2].

- **بث العلم من خلال المجالس والحلقات العلمية:**

رغم الرقابة الشديدة التي فرضها الفاطميون على مخالفيهم ومحاولتهم الحد من أنشطتهم العلمية، فقد واصل فقهاء المالكية نشاطهم العلمي حتى في أحلك الظروف[3]، كان أهل العلم يسمعون على الفقيه أبي جعفر الدباغ (ت330هـ/942م)، والفقيه عبد الوهاب نصرات (ت330هـ/942م) اجتمع عنده جماعة من أهل العلم[4]، غير أن نشاط فقهاء المالكية العلمي في هذه الفترة غلب عليه الطابع السري، حيث كانوا يجتمعون خفية بعيدا عن أنظار السلطة[5]، فقد كان الفقيه أبو بكر بن اللباد (ت333هـ/944م) يأتيه الفقهاء أمثال أبو محمد بن أبي زيد وأبو محمد بن التبان الفقيهان خفية، وكانوا ربما جعلوا الكتب في أوساطهم وحجرهم حتى تبتل بعرقهم خوفاً منهم على أنفسهم من بني عبيد أن ينالوهم بمكروه[6]، لهذا اتخذ العديد من الفقهاء المالكية بيوتهم أماكن للعلم، كأبي إسحاق السبائي(ت356هـ/967م)، وأبي سعيد بن أخي هشام الربعي (ت371-

---

[1] – عبد المالك مغشيش، المرجع السابق، ص212.

[2] – **أنظر الملحق:** 03، ص168.

[3] – حفيظ، كعوان، المرجع السابق، ص139.

[4] – المالكي، المصدر السابق، ج2، ص ص 271-272.

[5] – حفيظ كعوان، المرجع السابق، ص139.

[6] – المالكي، المصدر السابق، ج2، ص ص287-288.

372هـ/981-982م)، وابن أبي زيد القيرواني (ت386هـ/996م)، أبو الحسن القابسي (ت403هـ/1012م)[1].

وقد اعتمد الإمام المنصور بالله سياسة احتواء الآخر في بداية حكمه سعيا منه إلى تفكيك التحالف المالكي مع الإباضية النكارية في ثورة مخلد بن كيداد، وذلك من خلال تنصيب قاضي مالكي على القيروان[2]. ويقول القاضي عياض في هذا: "...أرادت الشيعة بتوليته تسكين نفوس أهل السنة والناس، وما كان منهم بعد فتنة أبي يزيد... "[3]، انعكست هذه السياسة إيجابيا على النشاط العلمي لفقهاء المالكية حيث أصبحوا يعقدون حلقاتهم العلمية بمسجد عقبة بالقيروان[4]، لكن بتجاوز المحنة والقضاء على ثورة مخلد بن كيداد عاد إلى سياسة آبائه المتعصبة؛ وفي هذا يقول القاضي عياض: "..أهل السنة كانت تجري عليهم محن شديدة، فمن تكلم أو تحرك قتل ومثّل به في أيام الثالث من بني عبيد"[5]، المقصود به المنصور.

- **المالكية و النكارية بين التقارب والتحالف:**

رغم ذلك الصراع الحّاد بين السنة و الإباضية أيام الدولة الأغلبية؛ إلا أنه نلاحظ توافقاً بين السنة المالكية والخوارج النكارية بعد قيام ثورة مخلد بن كيداد ضد الدولة الفاطمية الشيعية الإسماعيلية في المغرب، فقد خرج الفقهاء والعباد مع ابن كيداد، فركبوا معه عند دخوله إلى القيروان، أظهر لأهلها خيراً وترحم على أبي بكر وعمر (ﷺ) ودعا الناس إلى جهاد الشيعة وأمرهم بقراءة مذهب مالك فخرج الفقهاء و الصلحاء في الأسواق

---

[1] - الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص ص94- 115.

[2] - حسين بوبيدي، بلاد المغرب بين التعايش والصراع المذهبي، المرجع السابق، ص217.

[3] - القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي(ت544هـ/1149م)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، ج5، تح: عبد القادر الصّحراوي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط2، المغرب، 1403هـ/1983م، ص، 329 .

[4] - القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص31. حفيظ كعوان، المرجع السابق، ص140.

[5] - القاضي عياض، المصدر السابق، ج5، ص303 . حسين بوبيدي، المرجع السابق، ص217.

يصلون على النبي (ﷺ) وعلى أصحابه وأزواجه، ثم رفعت العديد من الشعارات واللافتات والتي كتبت عليها أسماء للصحابة وآيات قرآنية وأحاديث نبوية[1]، وبعد الاجتماع الشهير الذي وقع بجامع القيروان ووقع فيه استثارة الرعية أثناء خطبة الجمعة والاستجابة لدعوة مخلد بن كيداد والانضمام لثورته، بل أكثر من ذلك وإثر ذلك التحالف ما بين المالكية والنكارية بينت لنا المصادر كيفية خروج هؤلاء بالسلاح والطبول والبنود المتعددة الألوان وكانت تحمل شعارات عديدة دينية بالأساس؛ كالآيات القرآنية وكأنهم يستعدون لمحاربة جيوش من الكفار[2]، فهذا الفقيه أبو الفضل الممسي (ت333هـ/944م) هو من أهم الذين شجعوا المالكيين للانضمام للثورة، لأنهم وبالرغم من سلبياتهم فهم –حسب رأيه– من أهل القبلة على عكس الشيعة الإسماعيلية فقد جاء في معالم الإيمان: "...رأى أن الخروج مع أبي يزيد الخارجي وقطع دولة بني عبيد فرضا لأن الخوارج من أهل القبلة لا يزول عنهم الإسلام ويورثون، وبنو عبيد ليسوا كذلك لأنهم مجوس زال عنهم اسم المسلمين فلا يتوارثون معهم ولا ينسبون إليهم"[3].

في الأخير، ما يمكن قوله أن الصراع الفكري في الدولة الفاطمية ما هو إلا حلقة من حلقات مسلسل التكفير والصراع بين المذاهب والفرق الإسلامية في التاريخ الإسلامي.

ثانيا: العنف والمؤسسات التشريعية والتنفيذية:

1- تمذهب جهاز القضاء وتعصبه

إن القضاء[4] عند الدولة الفاطمية يعني "البيان" وهذا في حديث المعز لدين الله عن معنى القضاء لغةً فقال فيما نقله القاضي النعمان في المجالس والمسايرات: " ... ليس

[1] – **أنظر الملحق**: 04، ص169.

[2] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص217. توفيق سعود، المرجع السابق، ص ص482– 483 .

[3] – ابن ناجي، المصدر السابق، ج3، ص 29، توفيق سعود، المرجع السابق، ص486.

[4] **- القضاء:** تعني كلمة القضاء في اللغة الحكم وجمعها أقضية واستقضى الرجل أي اعتمد قاضيا يحكم بين الناس ويقال: قضى يقضي فهو قاضي إذا حكم وفصل. للمزيد ينظر: ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، مج3، ص11. =

كما يقولون ولكنّ أصل القضاء البيان، وكلُّ ما جاء ذكره فيه مردود فيه إلينا"[1]، واستدل بذلك بآيات قرآنية مختلفة كقوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[2]، أي بيّن ذلك في أمره لعباده في كتابه وعلى لسان رسوله وفي قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[3]، أما قوله قضى القاضي فمعناه بيّن الحقّ من الباطل، وقولهم: قضى قضاؤك أيّ بيّن بيانك...[4]، وإرجاع كلمة قضاء عند المعز إلى البيان يعكس أهداف المذهب الشيعي، وبذلك موقفه من القوى السياسية التي تداولت على الحكم وعدم شرعيتها حسب نظره[5].

- **الوظائف القضائية:**

أولت الخلافة الفاطمية اهتماما كبيراً لخطة القضاء؛ لأنها المترجم والمطبق لتعاليم المذهب الذي استندت عليه في قيامها. وسنحاول عرض الوظائف الأساسية في خطة القضاء بدولة الفاطمية:

أ- قاضي القضاة:

لعبت وظيفة قاضي القضاة دوراً مهمّاً في السلم الاجتماعي وأصبح قاضي القضاة من صفوة المختارين بل يُعتبر من الموظفين السامين، حيث تقلع عليه الكسوة وتجري عليه الأرزاق ويسكن في المدينة الأميرية وتقطع لأبنائه أجود الأراضي وأفضلها موقعا، بل يعد من أقرب رجال الدولة إلى الإمام و تربطه به صلات روحية متينة أحياناً. وقد

=علي أحمد، **القضاء في المغرب والأندلس منذ الفتح وحتى نهاية القرن التاسع الهجري**، دراسات تاريخية، 53-54، تموز كانون الأول، 1995م، ص145.

[1] – القاضي النعمان، المجالس و المسايرات، المصدر السابق، ص159.
[2] – سورة الإسراء، الآية 23.
[3] – سورة الإسراء، الآية 4.
[44] – القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص ص160-161.
[5] – بوبة مجاني، الإسماعيليون في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص 59.

اتضحت الصورة كأفضل ما يكون في عهدي الخليفتين المنصور بالله وابنه المعز لدين الله مع القاضي النعمان[1].

و ترجع صلاحيات قاضي القضاة في الخلافة الفاطمية إلى الإمام كما هو الشأن –أيضاً– بالنسبة إلى الخلافة السنّية، وبمقتضى مبدأ "النيابة" المعمول به في الدولة السّنية، يفوض الإمام في الدولة الشيعية سلطاته إلى قاضي القضاة[2].

ولقد حددت السلطة الفاطمية مهام قاضي القضاة؛ فهو الذي يتولى القضاء في قاعدة الحكم ويعين القضاة على الأقاليم إلى حيث تمتد حدود الدولة ويوجد الأتباع أو كما يسميها في عهد التولية "بالكور الدينية"، ارتبطت خطة قاضي القضاة ارتباطا وثيقا بالدعوة فلم تكن تُسند إلا لكبار رجال المذهب ممن تفانوا في خدمة الدعوة وعملوا على نشرها وترسيخها لأن قاضي القضاة وداعي الدعاة هو الذي يتولى أمور الأتباع في كل أراضي الدولة سواء أكانوا دعاة أم قضاة، والجمع بين القضاء والدعوة ليس في حقيقة الأمر إلاّ تأكيدا على فكرة أن القضاء ما هو إلاّ ممارسة تطبيقية للفقه الإسماعيلي[3]، وقد ظهرت تسمية "قاضي القضاة" من أول وهلة منذ انبعاث الدولة الفاطمية حين تسلم الداعي أبو عبد الله السلطة برقادة لحساب المهدي[4].

ب– قضاة الأقاليم:

لقد كان تعيين القضاة على المدن والأقاليم يعود إلى قاضي القضاة فهو المخول له تعيينهم بسائر البلدان وحيثما امتدت سلطة الدولة، وكانوا يختارون من أتباع المذهب والمناصرين له وممن بلغ درجة عالية في العلم؛ فالقاضي يجب أن يكون فقيها وعالماً

[1]– الصبحي بن منصور، **القضاء الفاطمي بافريقية ومصر (297هـ/910م– 362هـ/973م) و(363هـ/973م–567هـ/1171م)**، تقديم: إبراهيم جدلة، مجمع الأطرش، ط1، تونس، 2017م، ص151.

[2] – فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص592.

[3] – الحسين هاشم، **تاريخ الفقه الجعفري**، (ب، د ، ن)، (ب، ت)، ص163. بوبة مجاني، الإسماعيليون في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص ص77–88 . الصبحي بن منصور ، القضاء، المرجع السابق، ص148.

[4] – النعمان، القاضي، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص، فرحات دشراوي، المرجع السابق، ص593.

حتى يستطيع أن يقضي بين الناس، وكان رجال الدولة والدعاة يدعون العلماء إلى التشريق لكي يولوهم القضاء كأحمد بن محمد بن سيرين[1]، وهناك من تشرق ولم يحصل على خطة القضاء؛ نذكر هنا الحنفي قاسم بن خلاد الواسطي الذي وعدوه بقضاء باجة ولما ترك مذهبه وتشيع لم يتحصل على المنصب، وأخبر أنهم استغنوا عن قاضي لباجة[2]، تقول الباحثة بوبة مجاني في هذا : من الراجح أن السلطة عندما كانت تشعر بأن الدافع إلى التشيع هو الوظيفة وليست قناعة بالمذهب لا تسند إليه الوظيفة[3].

وأهم أقاليم الدولة الفاطمية، بعد عاصمة البلاد، والذي لعبت وأقامت خطة القضاء فيه ضجة كبيرة "إقليم القيروان" وقد انصب اهتمام المصادر السنية على القضاة الذين تولوا قضاء مدينتهم و حصنهم المنيع، نظرا للعدد الكبير من العلماء والفقهاء الذين كانوا يقيمون بها وبالقرى المجاورة لها مما جعلها مركزاً قوياً للمعارضة الشديدة والقوية ضد المذهب الشيعي ودولته[4].

لهذا، وفي ظل المؤشرات المتلاحقة في مجال رصد تحوّل آليات اشتغال الجهاز القضائي الفاطمي بالقيروان، وعلى أكثر من صعيد، تتراءى لنا محاولة تكييف السلطة الفاطمية للمهام التي يكلف بها القضاة مع إرادتها في التأثير على الناس وتكريس الانطباع لديهم بما يروم نشره من أفكار في المحيط الاجتماعي الإفريقي وذلك بغاية السيطرة عليهم[1].

ويتجلى تعديل النظام القضائي الإسماعيلي وتطويعه لمقتضيات البيئة الإفريقية القيروانية بالتحديد في النقاط التالية:

- بعدما قامت العامة في القيروان بتولية أحمد بن محمد بن أبي الوليد المالكي قضاء القيروان خلفا لأحمد بن بحر الإسماعيلي لم يكن بوسع القائم لأمر الله، وأمام الأخطار

---

[1] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص215.

[2] – نفسه، ص 282. القرشي، تاريخ الخلفاء، ص718.

[3] – بوبة مجاني، الإسماعيليون في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص90.

[4] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص183. بوبة مجاني، الإسماعيليون في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص70.

التي كانت تهدد وجوده، إلا الموافقة على هذا التعيين لأنه كان هو الذي طلب منهم أن يختاروا من ينصبوه لمحاكمهم الشرعية، فاختاروا ابن أبي الوليد لدينه وفضله، وبعد وفاة الإمام القائم في عام (334هـ/943م) لم يشأ خليفته المنصور أن يعزل ابن أبي الوليد على الرغم من اتخاذه السواد شعار العباسيين لباسا له، وهذا تجنبا لإثارة المزيد من المصاعب ومحاولة لاحتواء الوضع[2].

- استقضى المنصور بالله بعد الانتصار والقضاء على ثورة مخلد بن كيداد عدداً من شيوخ المالكيّة على القيروان، مع وضع بعضهم شروطاً مذلّة قبلها الإمام الفاطمي كقبوله بشروط أبي عبد الله محمّد بن أبي المنظور التي نقلها الدباغ نذكر منها: "...أن لا يأخذ لهم صلة ولا يركب لهم دابة ولا يقبل شهادة من طاف بهم أو قاربهم ولا يركب إليهم مُهنيّا ولا معزياً"[3]، مع أنّ الشروط تعجيزية إلاّ أن المنصور وافق عليها وعينه قاضيا على القيروان.

- **طريقة التقاضي:**

إن طريقة التقاضي والتظلم في الدولة الفاطمية تعكس وتخدم أهدافها السياسية المذهبية، فهناك محورين أساسين للتقاضي الأول التقاضي لدى الإمام الفاطمي، والثاني لدى القضاة.

أ- تقاضي عند الإمام الفاطمي:

هناك الكثير من القضايا التي نظر وقاضى وحكم فيها الإمام الفاطمي بنفسه أمام المتخاصمين باختلاف قضاياهم ومراتبهم ومكانتهم السياسية والاجتماعية؛ مع أن مصادر المرحلة لم تنقل لنا الكثير عن هذه المحاكمات التي كان فيها الإمام الفاطمي هو

---

[1] – الصبحي بن منصور، القضاء الفاطمي، المرجع السابق، ص79.

[2] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص205، الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص61. شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري(ت734هـ/1333م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح: نجيب مصطفي فواز، حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1424هـ/2004م، ص55. القرشي، تاريخ الخلفاء، ص ص290-291. بوبة مجاني، الإسماعيليون في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص74-75.

[3] – الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص45. الصبحي،بن منصور، القضاء الفاطمي، المرجع السابق، ص81.

القاضي؛ لكن هناك إشارات متفرقة سنحاول من خلالها إعطاء صورة عامة عن هذه المحاكمات:

- **شكاوى العامة:**

كان الأئمة الفاطميون يقبلون شكاوى العامة فكان المتظلمون يكتبون شكاويهم في رقاع فإذا مرّ بهم الإمام اعترضوا سبيله ليسلموها له، فيقول القاضي النعمان في عبيد الله المهدي: "...إن الخليفة المهدي نشر العدل وأقامه وأمر به...وأنصف من المظالم وكان يُباشر بنفسه ويأخذ الرقاع أهلها إذا ركب وإذا جلس ويسمع منهم شكواهم وينصفهم من ظلامهم بوجه الحق وسبيل الحق..."[1]، مع هذا لا يمكن تعميم هذا الإجراء لأنه لم يكن قاعدة عند كل الخلفاء، إنما هي محاولة من المهدي ليظهر في صورة الإمام العادل.

- **محاكمة كبار أعوان الدولة:**

عندما استقرت الدولة واستحكمت قبضة الإمام المهدي لم يتردد في محاكمة كبار أعوان الدولة الذين ظهر عليهم الفساد مستغلين ثقته وانصرافه إلى إدارة الشأن الحربي؛ في هذا الإطار نجده يعزل في عام (314هـ/926م) نسيم الفتى ثم حبسه عند جوذر ويُمعن في عقابه[2].

- **محاكمة المعارضة السياسية:**

بسبب الحزم السياسي للأئمة الفاطميين وشدة بأسهم على المعارضة حتى أنّهم لا يفوضون صلاحيات النظر في القضايا السياسية والعسكرية والأمنية لأي قاضٍ، يحتكر القضاء في القضايا الخطيرة التي تمس أمن الدولة ليفصلوا فيها بمفرده، فقد حكم المهدي في قضية ابن قرهب وأصحابه الذين قتلوا عامله بصقلية، فقد استجلب المتّهم واتهمه بالتمرد واستفسر أمام الحضور عن دوافع خروجه عن نظام الدولة؛ فكان سؤال المهدي: ما حملك على الخلاف علينا وجحد حقنا؟ وبعد الاستماع إلى تبريرات المتهم السيّاسي

---

[1] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص ص305-306.

[2] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص191.

التي غالباً ما تتصف بالخوف من الحكم بإعدامه، وبالتلطف بالجواب بالرجاء والظفر بالحكم المخفف، مع هذا حكم المهدي في قضيته بضربهم بالسياط ثم قطع أيديهم وأرجلهم على قبر الحسن بن خنزير بباب سالم برقادة وصلبهم هناك[1]، وعلى هذه الوتيرة تنعقد المحاكمات المشابهة التي يرأسها الإمام.

ب- التقاضي عند القضاة:

إن القاعدة التي بنيت وأسست عليها الوظائف القضائية في عهد الدولة الفاطمية هي المذهب الشيعي الإسماعيلي. فهو الإطار الذي حدد نظم هذه الوظائف ورسم مسارها الشرعي، بجعل الإمام المرجع الأساسي ضمن المنظومة المرجعية للقضاء إلى جانب الكتاب والسنة، فعندما لا يجد القاضي حكمه المنشود في هذين المصدرين يلجأ إلى الإمام لكي يقطع في الأمر. كما أن الرجوع إلى الكتاب والسنة يكون حسب القراءة الشيعية لهذين المصدرين وهي القراءة المبنية على التأويل الباطني، لهذا حرم المذهب الشيعي القضاء بالرأي والقياس كما هو الحال عند السنة[2]، ولكي تكون أحكام القاضي صحيحة كان يعرضون الفتاوى على الإمام قبل إصدارها، في هذا يقول القاضي النعمان: "... أمرني الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه بالجواب عن مسائل وردت عليّ من بعض النواحي بعد أن طالعته في ذلك ورفعته إليه، فكتبت الجواب عنها ورفعته إليه ليتصفحه فيكون ما ارتضاه منه منسوبا إليه ومرويًّا عنه، كما صحّحت كذلك ما كنت رويته عن أبائه عليهم السلام وعليه ....واستأذنته في أن يكون ذلك مرويّاً عنه"[3].

تفيدنا بعض المصادر بأنّه كانت تتمّ دعوة المتّهم من طرف القاضي إلى الجامع، ومواجهته بالتهمة المنسوبة إليه. وبعد ثبات شهادة العُدول ضده يقع تنفيذ العقاب التأديبي

---

[1] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص174.

[2] – بوبة مجاني، الاسماعيليون في بلاد المغرب العربي، المرجع السابق، ص 55.

[3] – القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص357.

المستوجب له، وذلك على مرأى من المصليين في الجامع الذي تحوّل خلال الحقبة الفاطمية إلى فضاء لتطبيق الأحكام بالعقوبات الجسديّة التي ليس فيها إسالة الدماء[1].

وفي الأخير يمكن القول أن مصادر المرحلة لم تنقل لنا الصورة الكاملة عن القضاء الفاطمي، وطريقة التقاضي بصورة أشمل وأوسع حتى تتضح الصورة أكثر كالمحاكمات العسكرية والسياسية وما يجري داخل المحاكم الإقليمية، لكن مع هذا يمكن القول أن القضاء الفاطمي كان عبارة عن سلطة تنفيذية لقرارات الإمام. وتمذهب القضاء الفاطمي فلا يقلد منصب القضاء إلا من هو على المذهب الشيعي الإسماعيلي، مع وجود استثناءات كمص غضب المالكيين بالقيروان، وخوف السلطة كذلك على كيانها المهدد من قبل ثورة صاحب الحمار.

2- الشرطة كجهاز تنفيذي:

تعتبر الدولة الفاطمية رائدة في تنظيم الجهاز الأمني في المغرب الإسلامي؛ بسبب كثرة القلاقل والاضطرابات والفتن المعبرة عن رفض السكان للمذهب الشيعي الإسماعيلي، كما أن الظروف السياسية التي كانت تمر بها الدولة الفاطمية ببلاد المغرب في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجريين دفعت بحكام الدولة إلى تأسيس مجموعة من التنظيمات الأمنية، وذلك لمواجهة معارضيهم ولنشر مذهبهم بقوة السيف[1]، ولقد كان من نتائج السياسة الأمنية لحكام الدولة الفاطمية تأسيس أجهزة أمنية متعددة قصد التحكم في الوضع، نذكر منها:

---

[1] – الصبحي بن منصور، القضاء الفاطمي، المرجع السابق، ص175.

أ -**الشرطة:**

يسمى تارة باسم الوالي وتارة الشرطة[2]، كانت مهمته هي حفظ الأمن وتنفيذ أحكام وأوامر القضاة والولاة، كان يكلف باقتياد المخالفين من أتباع المذهب السني للتحقيق معهم أو لتنفيذ عقوبة السجن[3]، كان يتصرف في المدينة تصرف الحاكم بأمره ويتمتع – إن صح التعبير– بسلطات نائب الأمير في الميدان الجنائي، ويتمتع بكامل الحرية لاتقاء أو قمع أي مس بأمن الدولة والنظام والمصلحة العامة وتتبع مرتكبي الجرائم ومعاقبتهم والنظر في التهم و إصدار الأحكام بالسجن والإعدام بطريقة تعسفية[4]، وقد نقل لنا المالكي عن الفقيه أبي الربيع قال: "...وكنا في مسجد إبراهيم بحارة المرضى سنة ثلاثمائة حتى أقبل الشُرط –عشرة منهم– فوقفوا على باب المسجد وقالوا لإبراهيم (إبراهيم الدمني) : يا أبا إسحاق إنّا بعثنا إليك صاحب المدينة حسن بن علي بن أبي خنزير لنأتيه بك وكان أبو إسحاق هذا من المتقدمين في الخير فقال لمن كان في المسجد: لا تزالوا عن المسجد ولا تفترقوا وأيدوني بالدعاء، قال: فمضى به الشرط حتى أوصلوه إلى أبي جعفر –صاحب المدينة–..."[5].

وعن مهمة صاحب الشرطة دائما ما نقله لنا المالكي:" فقد كان الفقيه أبو ميسرة بجواره رجل أسود فكان ينقب ويسرق ولا يبالي ما ارتكب فمضى إليه الجيران وقالوا له: ارحل عنا فشتمهم وسبّهم فلما صلّوا العشاء الآخرة قالوا له: يا أبا ميسرة ادع الله تعالى عليه، فقال اللهم إنّه عبد من عبيدك ونحن نخافه لأنه لا يخافك فأصلحه، وإن لم يسبق في

[1] – عبد الحفيظ حيمي، **أجهزة الأمن الداخلي في الدولة الفاطمية ببلاد المغرب 297–363هـ/ 911–974م**، مجلة الخلدونية، مج9، ع1، ص41.

[2] – ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص230.

[3] – بوبة مجاني، الاسماعيليون في بلاد المغرب العربي، ص ص118–120.

[4] – فرحات دشراوي، المرجع السابق، ص618.

[5] – المالكي، المصدر السابق،ج2، ص138.

علمك إصلاحه فخذه بعلمك وأزل عنه حلمك وفاجئه بسطوتك ونقمتك قال: فلما أصبح جاء الشرط فأخرجوه من داره ومضوا به فضربوا عنقه"[1].

ب – **البوابون:**

كانت المدن في العصر الوسيط تحيط بها أسوار مزودة بأبواب، وذلك حتى يسهل التحكم في المدينة والقدرة على صد أي خطر خارجي محتمل. وكانت الأبواب يحرسها رجال يطلق عليهم البوابون يقفون عندها لمراقبة الداخلين والخارجين منها[2]، فعند بلوغ المعز الفاطمي أن الهواري المؤدب يطعن في الدولة؛ فقام بطلبه للتحقيق معه؛ لكن توسط له شخصٌ في القصر يقال له جوهر وأعطاه مالا وطلب منه الانصراف، فلما صار في سقيفة القصر قام إليه البوابون وأردوا أن يأخذوا منه ما أعطاه جوهر؛ فلما رآهم ضيقوا عليه صاح على جوهر فأسرع له وزجرهم (أبعدهم) عنه وخرج بأمان[3].

ت – **صاحب الربع:**

الربع تعني منطقة سكنية تحوي أملاكاً عقارية خاصة بالخليفة أو تابعة للدولة، وعلى صاحب الربع استخراج أجرة هذه الأملاك من المؤجرين لها، والتكفل بحراستها والعناية بها وحمل ما تبقى من ريعها إلى بيت المال. وإن كان هذا له علاقة بما كان في مصر؛ إلا أن ورود إشارةٍ عن الربع يؤكد استخدام نفس هذا المصطلح ونفس المهام[4] فقد ذكر جوذر في سيرته قائلا: "... كان عبد الله بن رفيق استعقد الربع المهدية وشرطها وزاد فيها زيادة ..."[5].

---

[1] – نفسه، ص ص362–363.

[2] – عبد الحفيظ حيمي، **نظام الشرطة في الغرب الإسلامي2–6هـ/8–12م**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران،، 1435–1436هـ/2014–2015م، ص110.

[3] – المالكي، المصدر السابق، ج2، ص ص 427–428–429.

[4] – عبد الحفيظ حيمي، نظام الشرطة، المرجع السابق، ص101.

[5] – الجوذري، المصدر السابق، ص114.

ث - **الحكام:**

هي خطة مرتبطة بالجانب الأمني للدولة الفاطمية؛ كانت تابعة في التولية والعزل لقاضي القضاة، وكانت مهمتها الحرص على حفظ الأمن ومتابعة القضايا السياسية وتجاوزات السلطة التي يقترفها العمال والجباة[1].

ج - **الحرس:**

تعرضت المصادر لذكرها بصيغ مختلفة منها الحرس وصاحب المحرس والحراسة، وقد كان صاحب الحرس يستعين بالشرطة لتنفيذ أوامره بالسجن أو تأديب المخالفين، وبناء على هذا الدور الذي كانت تقوم به جعل مجموعة من الدارسين يذهب إلى أن الشرطة هي نفسها صاحب المحرس في بلاد المغرب[2]، ولكن ما يمكن استخلاصه من مصادر المرحلة إن الشرطة كانت تابعة وتحت إمرة وسلطة صاحب المحرس الذي يمثل القائد الأعلى للشرطة آنذاك، لكن مهمة الشرط هي المحاصرة والمتابعة و الملاحقة. ويرجع النظر في أمر المشتبه به إلى صاحب الحرس -في الأخير- الذي هو بدوره يتوجه به إلى السلطات العليا[3].

ومن مهمة الحرس التجسس على العلماء والفقهاء المالكيين -أيضا- الذين فُرض عليهم الفتوى بالمذهب الشيعي الإسماعيلي، و الخوف من تمردهم والإفتاء بالمذهب المالكي، كلف الحرس بالتجسس عليهم ومراقبتهم، فقد نقل لنا المالكي أن الفقيه جبلة كان يوما يصلي الجمعة في مسجده ويجتمع إليه الناس فجاءه صاحب المحرس يتجسس

[1] - القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص396، القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص247، الجوذري، المصدر السابق، ص ص99-123.عبد الحفيظ حيمي، نظام الشرطة، المرجع السابق، ص ص104-105.

[2] - بوبة مجاني، الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي، المرجع السابق، ص120.

[3] - أبي عبد الله محمّد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني الأندلسي (ت361هـ/972م)،، **قضاة قرطبة وعلماء إفريقية**، ج1، صححه وراجع أصله السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1415هـ-1994م، ص300.

عليه[1]، أما الفقيه سعيد بن الحداد حضر إليه صاحب المحرس، وهو في مجلسه مع جلسائه فنظر إليه نظرة استنكار، فقال له بعض جلسائه إنما صار إلى العامل ليخبره اجتماع الناس عندك، فأخذ يستعين بالله تعالى ليستكفيه شرّه وضرّه[2].

وقد كانت هناك العديد من المراكز داخل المدن والتي مهمتها السهر على حفظ النظام والتصدي بصرامة لكل من يهدد أمن الدولة، فقد ذكر الدباغ أن مسجد الأنصار بجانبه محرس ويحمل نفس الاسم[3].

ح- **العسس:**

أما العسس فكانوا يتولون حفظ الأمن بالليل يطوفون بالمدينة لمراقبة كل دروبها وحاراتها وأزقتها ليلا، وكانوا يستعينون بالكلاب في طوفهم. ويخرج العسس بعد أن يضرب البوق بعد كل صلاة العشاء الأخيرة، وكل من يخرج بعد ضربه يعرض نفسه للعقاب، مهمة العسس مشابهة لمهمة صاحب الشرطة إلاّ أنهم يعملون ليلا[4]، فقد تحدث أبو سعيد خلف القلال (خادم الشيخ أبي إسحاق السبائي (ت356هـ/967م) في ما نقله المالكي: "...كنت ليلة عند الشيخ فجعل يحدثني، وتلذذت بحديثه حتّى أذن المؤذن في الجامع للعشاء الآخرة وانقطع مشي الناس من الأزقة وضُرب البُوق، وكرهت أن أقطع عليه حديثه، وكان البوق إذا ضرب فمشى أحد بعد ضربه ضربوا عنقه ... وكان معدّ قد ثقف البلد تثقيفاً شديداً بالعسس والحرس والرصد الشديد...."[5]، وفي موضع أخر:"... ذكر عبد

[1] - المالكي، المصدر السابق، ج2، ص38.

[2] - نفسه، ص 103.

[3] - الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص38. عبد الحفيظ حيمي، نظام الشرطة، ص105.

[4] - بوبة مجاني، الاسماعليون في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص119.

[5] - المالكي، المصدر السابق، ج2، ص488.

الله بن سعد اللجام: واعدتُ أبا سليمان على كتاب يقابله معي، فقال لي: نأتي إليك نقابله معك، فانتظرته إلى أن اختلط الظلام، فرددت الدرب مخافة العسس..."[1].

خ- **الحشاد:**

كانت المدينة في العصر الوسيط وبخاصة عاصمة الفاطميين رقادة بها مرتزقة وكان يطلق على أحدهم، الحاشد وجمعها حشاد، وكان هؤلاء من السودان، يمكن أن نقول بأن مهمتهم –من خلال التسمية– تعين الحشد الجماعي للناس، إما للمحرس أو للولاة أو للأئمة. ويبدو أن مهمتهم كانت حشد كل من يشكون في أمره، قد تشبه القوات الخاصة حاليا، وكانت هذه الخطة تابعة للسلطان مباشرة [2].

وممّا جاء في المصادر المالكية أن المتعبد أبا الرزين الجمونسي (337هـ/948م)[3] قال: " حشدني حاشد السودان قديماً إلى رقادة، فبذل أهل البلد للحاشد دينارين ليتركني فأبى بكل حيلة، فأخذني ومضى بي إلى رقادة....."[4]، وفي موضع أخر:" ...أن عبيد الله أخرج من المهدية صقليا ووجه معه عسكراً لحشد البحريين والزّوليين فحشد من تونس وباديتها و صطفورة [5] خلقا عظيما..."[6].

---

[1] – المالكي، المصدر السابق، ج2، ص332.

[2] – عبد الحفيظ حيمي، نظام الشرطة، المرجع السابق، ص 110.

[3] – **أبو الرزين الأسود، الجمونسي المتعبد:** لم يترجم له غير المالكي ؛ كان من أهل الاجتهاد في الطاعة، ظهرت له براهين وكرامات وأثنى عليه الفقيه ربيع القطان، توفي عام337هـ/948م. للمزيد ينظر: المالكي، المصدر السابق، ج2، ص368

[4] – المالكي، المصدر السابق، ج2، ص368.

[5] – **صطفورة:** بالصاد أو السين اسم يطلق على الإقليم الذي يضم ولاية بنزرت اليوم تقريبا ولي علماً على مدينة بعينها، للمزيد ينظر: المالكي، المصدر السابق، ج1، ص49.

[6] – المالكي، المصدر السابق، ج2، ص 381.

د- **الدوّارة:**

هُم نوع من العسس يبدو أنهم كانوا يكلفون بالبحث عن الأشخاص المطالبين من الخليفة أو الوالي، بسبب معارضتهم للسلطة ومذهبها وذمهم لها فكانوا يحملونه لها[1]، وقد أمر الخليفة المعز لدين الله الدوّارة بالبحث عن شاعر هجاه بـ الأبيات التالية:

عبــدوا ملـوكهـم وظنـوًا أنهـم نالوا بهم سبب النّجاة عموما

وتمكّن الشيطـان من خطـواتـهم فـأراهـم عاًوج الضّلال قويـا

رغبوا عن الصّديق والفاروق فـي أحـكـامــهم لا سلّمـوا تسليـما

واستبدلوا بهما ابن أسـود نابحـا وأبـا قــدارة واللّعيــن تميمـا

تبعــوا كـلاب جهنّم وتأخّـــروا عمّـن أصـارهم الإلاه نجومـا[2].

ذ- **صاحب الخبر:**

صاحب هذه الوظيفة مكلف بنقل الأخبار إلى الإمام أو من ينوب عنه، وبخاصة تلك التي تمس بالأمن العام ويخشى منها على مصالح الدولة الفاطمية، والحفاظ على حياة الأئمة بالكشف عن المناوئين لمذهبهم[3].

ما يمكن قوله عن الشرطة والوضع الأمني في الدولة الفاطمية ببلاد المغرب، هناك تنوع وتعدد التنظيمات الأمنية بداية من الشرطة والحرس والعسس والدوارة والمراصد والبوابين وصاحب الخبر، وهذا يعكس طبيعة الحكم في الدولة التي كانت تقوم على الجانب الأمني، وذلك لفرض سياستها بالقوة.

---

1 - بوبة مجاني، الاسماعيليون في بلاد المغرب العربي، المرجع السابق، ص119.

2 - المالكي، المصدر السابق، ج2، ص494.

3 - عبد الحفيظ حيمي، نظام الشرطة، المرجع السابق، ص113.

ثالثا: مظاهر العنف الاجتماعي

تعددت وتنوعت مظاهر العنف الاجتماعي في الدولة الفاطمية، ويمكن أن نلخصها في النقاط التالية:

1- تقسيمات السلطة للمجتمع:

يورد لنا القاضي النعمان تقسيم للطبقات الاجتماعية في الدولة الفاطمية، فيقول في ذلك: "أعلم أنّ الناس خمس طبقات لا يصلح بعضها إلاّ ببعض فمنهم الجنود ومنهم أعوان الوالي من القضاة والعمّال والكتاب نحوهم ومنهم أهل الخراج وغيرهم ومنهم التجار وذوو الصناعات ومنهم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة"[1]، ويتضح من هذا التقسيم إغفال النعمان للطبقة الحاكمة، وعلى رأسهم الخلفاء والوزراء، كما أغفل طبقة العلماء ورجال الدين، ولعله كان يقصد بهذا التقسيم الولايات التابعة للدولة الفاطمية. ويبدو هذا من عبارته" أعوان الوالي"[2].

ولم يكن تقسيم القاضي النعمان نظريا بعيداً عن الواقع، لأن وضع الجند على رأس الطبقات يعكس سياسة الدولة في هذه المرحلة. وتلي هذه الطبقة أعوان الدولة من ولاة وقضاة وعمال وكتاب، ثم أهل الخراج ويليهم في الترتيب التجار، وأخيرا أهل الحاجة والمسكنة أو طبقة الفقراء في قاعدة السلم الاجتماعي[1].

حسب هذا التقسيم، يكون اعتماد الطبقة العسكرية في معاشها على ما يتحصل من ضريبة الخراج التي يدفعها ملاك الأراضي وغيرهم من دافعي الضرائب المختلفة؛ والتي تمول في نفس الوقت نفقات جهاد العدو، وهاتان الطائفتان في حاجة إلى من ينظم العلاقة بينهما وبين طوائف المجتمع الأخرى؛ حتى تستقيم أمور المجتمع. ويتكفل بهذه

---

[1] - القاضي النعمان، دعائم الإسلام، ج1، المصدر السابق، ص366.

[2] - عبد المنعم عبد الحميد سلطان، **الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي دراسة تاريخية وثائقية**، دار الثقافة العلمية، ط1، مصر، 1999، ص9.

المهمة القضاة والعمال والكتاب، ولا قوام لهؤلاء جميعاً إلا بالتجار وأرباب الصناعات فيما ينتفعون به من صناعاتهم وتعمير الأسواق، ويكفونهم به مباشرة الأعمال بأيديهم، أما الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة، فإن المجتمع كله يتكفل بالإحسان إليهم وسد حاجتهم[2]، ويقرر القاضي النعمان أن صلاح المجتمع يتوقف على مدى التعاون بين هذه الطبقات : "لا يصلح بعضها إلا ببعض".[3].

ما يمكن قوله، أن تقسيم المجتمع في الدولة الفاطمية تميز بالطبقيّة، كما أن هذا الترتيب يعكس طبيعة السلطة الفاطمية في المرحلة المغربية وهي طبيعة عسكرية.

- **العامة في العهد الفاطمي:**

عانت الطبقة العامة في المغرب الإسلامي في ظل السلطة الفاطمية الشيعية الإسماعيلية من النظرة الدونية والاحتقار، ومورست عليهم مختلف السياسات العنيفة سواء العنف اللفظي أو للتمييز الطبقي فهم يقعون في أسفل السلم الاجتماعي.

- **تعريف الطبقة العامة:**

إن تعريف الطبقة العامة كما اتفق حوله العديد من الكتاب ورجال الدين والمؤرخين المعاصرين للفترة التاريخية التي ندرسها مثل إخوان الصفا: هي الطبقة الكادحة التي تمتهن مختلف الحرف التي تمكنها من توفير لقمة العيش؛ لتسديد حاجياتها وحاجيات عائلتها. فهي في صف القوى المنتجة أي أنها لا يمكن توفير فوائض مالية هامة لادخارها واستثمارها في مجالات اقتصادية أخرى مثل فئة الخاصة[1].

- **العنف اللفظي ضد العامة في الكتابات الشيعية:**

استعمل القاضي النعمان في كتاباته المتنوعة العديد من الألفاظ المحقرة لفئة العامة وجاء في كتابه "آداب إتباع الأئمة" في دفاعه عن السجود للأئمة الفاطميين: "... والرعاع

[1] – بوبة مجاني، النظم الإدارية، المرجع السابق، ص61.

[2] – عبد المنعم، المرجع السابق، ص9.

[3] – القاضي النعمان، دعائم الإسلام، ج1، المصدر السابق، ص357.

وأوباش الناس والعوام ينكرون ذلك ويرونه سجودا من دون الله لهم تعالى عن قولهم ونزه أولياءه عن افترائهم عليهم..."[2].

وجاء في "المجالس والمسايرات" ذكرهم في أكثر من موضع نذكر منها؛ في تقبيل الأرض بين يدي أولياء الله يقول القاضي النعمان:"... كان ينبغي أن نذكر أنفة الجهال من ذلك وتكفيرهم من فعله وفُعلَ له، وذهابهم إلى أن ذلك كفر بالله وسجودُ لمن هو دونه، تعالى الله ونزّه أولياءه عمّا يقول الظالمون الجاهلون، ومن البلاء والمحنة بالجهّال أن تتكلف إقامة الحجّة على قوم لا يعقلون..."[3].

نلاحظ أن المصطلحات التي أوردها القاضي النعمان لوصف العامة -وبالأحرى لوصف أهل السنة المخالفين له بالرأي- إن هذه الألفاظ المستعملة تحمل في طياتها موقف هذا القاضي من فئة العامة، وحتى لو أخطأ في تقدير المنتسبين إليها، لأن أهل السنة ليسوا كلهم بالعامة، ولكن نظرا لهذا الاختلاف المذهبي أدمجهم القاضي النعمان في صنف واحد وهي فئة العامة، والعامة- حسب القاضي النعمان دائما والعديد من الفقهاء ومؤرخي عصره- هم سفلة المجتمع ووقع تصويرهم في أبشع مظهر، واقترن لفظ العامة بالعديد من الأوصاف المبتذلة مثل المفردات التي استعملها القاضي النعمان وهم الجهال والأوباش والرعاع والظالمون والجاهلون[4].

وجاء عند القرشي الكثير من النعوت للعامة عند تعرضه إلى كيفية تمكين أبي يزيد من تجميع مجموعة من المقاتلين فيقول: "... وإذا لقيَ من همّه الغارة والفتنة من الغوغاء والعوامّ، أتاهم من باب تحليل الأموال والفروج، يحضّهم على القيام والخروج، حتى اجتمع مع أبي يزيد مائتا فارس، فقصد باغاية بهم..."[5]، وفي موضع آخر من عيون الأخبار:

---

[1] - توفيق مسعود، المرجع السابق، ص76.

[2] - القاضي النعمان، الهمة في آداب أتباع الأئمة، المصدر السابق، ص148.

[3] - القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص59.

[4] - توفيق سعود، المرجع السابق، ص ص88-89.

[5] - القرشي، تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص266.

"... ولما اجتمع لمخلد بن الدجاّل خلق عظيم من لفيف الناس وطغامهم وجمعوا في باغاية حين انصرفت جموع كتامة عنها"[1].

نستتج مما سبق، أنّ المصادر الشيعية الإسماعيلية أطلقت على العامة أبشع الصفات و على المخالفين لها، سواء المعارضين في المذهب أو المعارضين للسلطة.

- **العنف ضد العامة من قبل السلطة الفاطمية:**

نظرت الطبقة السياسية للدولة الفاطمية للعامة ولكل الفئات الاجتماعية على أساس أنهم مصدراً للثروة وللضرائب؛ ولذلك وجب السيطرة عليها. كما تميزت نظرتهم للعامة بالدونية والاحتقار، واعتبارهم فئات غير متحضرة، ولا يجوز على أفراد العائلة الحاكمة الاختلاط بهم وبالنزول إلى الشوارع. فبمجرد الاحتكاك بهم –من منظور الفاطمي– يعتبر عارا على الطبقة السياسية[2].

وقد تجسد العنف الرمزي في سياسة الدولة الفاطمية ضد العامة في موقفين نقلتهما لنا المصادر:

- عند خروج المنصور بالله وولي عهده لمقاتلة مخلد بن كيداد حينها أوكل للأستاذ جوذر مسؤولية إدارة شؤون القصر والدولة[3]، فما كان من الأستاذ جوذر إلا أن منع أفراد الأسرة الحاكمة الخروج من القصر والتجول في الشوارع ومخالطة العامة، حيث كان العديد من أفراد الأسرة الحاكمة يطلبون التصرف في الأسواق مع العامة، فما كان من أفراد الأسرة الحاكمة إلا أن كاتبوا الإمام المنصور يشكون أمر الأستاذ جوذر فلما وقف الإمام المنصور بالله على الكتاب؛ صرف

[1] – نفسه، ص271.

[2] – توفيق سعود، المرجع السابق، ص99.

[3] – الجوذري، المصدر السابق، المصدر السابق، ص61.

الجواب إلى ولي عهده المعز لدين الله أنه مع التصرف الذي قام به الأستاذ، وعلى أهل القصرين إطاعته وعدم الخروج إلى الأسواق والاحتكاك بالعامة[1].

- هو حينما انتقل عبيد الله المهدي مع أهله لسكن المهدية جعلها قسمين منفصلين عن بعضهما البعض، انفصالا تاما فالأولى -المهدية- ابتنى فيها قصورا ودوراً لآل بيته ورجال دولته وجنده، أما الثانية زويلة وهي رمية سهم من الأولى اتخذها سكن للعامة، رتب في المهدية الدكاكين والأسواق فكانوا يدخلون إلى المهدية إليها للمعيشة؛ ويخرجون بالليل إلى أهاليهم بزويلة[2]، وقال المهدي في ذلك: "... إنما فعلت ذلك لآمن غائلتهم وذلك أن أموالهم عندي وأهاليهم هناك، فإن أرادوني بكيد وهم بالمهدية خافوا على حرمهم هناك، وبنيت بيني وبينهم سوراً وأبواباً فأنا آمن منهم ليلاً ونهاراً لأني أفرق بينهم وبين أموالهم ليلاً وبينهم وبين حرمهم نهاراً ..."[3]، هنا تجسد عنف المهدي على العامة وتسخيرها لخدمته.

أما العنف الجسدي ضد العامة فتجسد في كثير من الأشكال، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، عندما استقامت الأمور للمهدي وقتل أبا عبد الله الشيعي وأبا العباس أخاه جهز جيشا إلى طرابلس مع بعض قواده، فحاصرها مدة ثم انصرف عنها خائبا ولم يفتحها. فغاظ ذلك المهدي فوجه ولده أبا القاسم فكان خروجه لذلك في (جمادي الأولى 303هـ/915م) فحاصرها وضيق عليهم إلى أن فنى طعامهم وافتتحها، وأغرمهم ما أنفق على الجيش وذلك أربعمائة ألف دينار[4].

---

[1] - نفسه، ص ص62-63.

[2] - رفيق بوراس، **الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية(296هـ-363هـ/908-972م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 1427-1428هـ/ 2007-2008م، ص67.

[3] - شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرّومي البغدادي(ت626هـ/1229م)، **معجم البلدان**، دار صادر، (د، ط)، بيروت، 1397هـ-1977م، ص 231.

[4] - التجاني، المصدر السابق. ص ص 240-241.

وفي الأخير نستنتج أن الطبقة العامة عانت في العهد الفاطمي من مختلف أنواع العنف سواء اللفظي أو الرمزي أو العنف الجسدي.

2-الصراع القبلي – الصراع الصنهاجي الزناتي – أنموذجا:

الصراع القبلي في بلاد المغرب ليس وليد الفترة الفاطمية؛ بل شهدت المنطقة صراعات كبيرة بين مختلف القبائل، سنحاول توضيح هذا فيما يلي:

أ- الصراع القبلي قبل قيام الدولة الفاطمية:

كانت الحرب هي سبيل تكوين الدولة والحكم والدفاع عنها في بلاد المغرب الإسلامي، هذا الصراع تجلى في الصراعات القبلية[1]، فقد كانوا منذ بداية تاريخهم فريقين: البرانس والبتر ولا يهمنا هنا وصف الأولين بالحضر ووصف الآخرين بالبدو. فالكل بدو ولو سكن الأولون في بعض فترات تاريخهم المناطق الحضرية، وسكن الآخرون المناطق الصحراوية، وقد توزع الفريقان على كثرة قبائل كل منهما المغرب الكبير من ليبيا حتى المحيط بما فيه الجنوب الصحراوي، وما من شك في أن الحروب بدأت بينهما قديما ككل الأقوام الذين يسكنون مناطق مجاورة ومتداخلة وعرفت صنهاجة وهي من فريق البرانس، كما عرفت كتامة و مصمودة وغمارة وأوربة وبرغواطة وتاكانة –وكلها من البرانس- مجدا قبليًا وسلطة ونفوذاً في الأقاليم التي سكنتها، وخاصة في الأدنى والأوسط وجزء من المغرب الأقصى، وعرفت قبائل البتر تحركاً كبيراً في الصحراء وفي المغرب كلها – أيضاً- من طرابلس حتى جنوب المغرب الأقصى، كان لكل قبيلة من القبائل المنتمية إلى هذين الأصلين نفوذا يراوح مكانه بين القوة والضعف، وبين السلطة وبين الإمارة والدولة،

---

[1] - محمد نجيب بوطالب، **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، لبنان، 2002. ص53-54. حسين بوبيدي، **الحراك القبلي الكتامي من ق:3-5ه/9-11م**، مشاركة في الملتقى الوطني:" الهجرة والمهاجرون في العصور الإسلامية"، بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة8ماي قالمة، يوم 23 أفريل2018، ص3.

كما كان بين بعضهم توتر يتصاعد –أحياناً– إلى الحرب، ولكن فروع البرانس ومنهم صنهاجة، كانوا دائما في حروب مع فروع البتر ومنهم زناتة[1].

ولئن كان المتتبع للمسار التاريخي في المغرب الإسلامي، يلمح من الوهلة الأولى أن تاريخ المنطقة ارتبط بحركة القبيلة فإنه –أي تاريخ المنطقة– اتسم بحدة الصراعات القبلية، نتيجة التعدد العصبي وزاد من وطأتها الاختلاف المذهبي[2]، وسنخصص هنا الحديث عن الصراع القبلي بين صنهاجة و زناتة في المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي، وقد كان من أبشع صور الصراعات القبلية، وكيف زاد من وطأتها الاختلاف المذهبي وتغذية السلطة لهذا الصراع.

ب- الصراع الصنهاجي الزناتي:

اتسمت العلاقات الصنهاجية –الزناتية طوال الوجود الفاطمي ببلاد المغرب بالعداوة والتوتر في إطار سلسلة الصراع –التقليدي– بين البدو والبرانس، بحكم الاختلاف في نمط المعيشة وتجاوز مجالهما الجغرافي الذي تشغلانه، وزاد من احتدام الصراع تحالف زناتة مع أموي الأندلس و صنهاجة مع الفاطميين[3].

ب-1- **جذور الصراع:**

كانت للعصبية دورٌ في تأجيج الصراع بين صنهاجة وزناتة بدليل أن زيري بن مناد نفسه قد مارس الغزو في بداية حياته، فقد نقل لنا النويري نصًّا يؤكد ذلك، في قوله: "... فلما تكامل شبابه وقوي أمره جمع إليه جماعة من بني عمه ومن كان له نجدة، فكان يشن بهم الغارات على القبائل من زناتة فيقتل ويسبي ويقسم على أصحابه فلا يؤثر نفسه بشيء..."[4]، أما جذور الصراع فترجع في الحقيقة إلى المرحلة التي كان فيها زيري بن

---

[1] – عبد الكريم غلاب، المرجع السابق، ص 405.

[2] – رفيق بوراس، المرجع السابق، ص ص69-70.

[3] – رفيق بوراس، المرجع السابق، ص95.

[4] – النويري، نهاية الأرب، المصدر السابق، ج24، ص87.

مناد يجمع قواه وينظم صفوف قبيلته، التي رفض بعض بطونها الخضوع لسلطته وتحالفوا مع زناتة لحربه، وهو ما اعتبره زيري تدخلا صريحا في الشؤون الداخلية لصنهاجة، فعزم على شن حملة شعواء ضد معارضيه. يقول النويري في هذا:"...فلما سمعت بذلك زناتة اجتمعوا وتحالفوا وكاتبوا من كان خالفه من صنهاجة وحالفوهم على حرب زيري، فاتصل ذلك به فخرج إليهم وضرب على زناتة بأرض مغيلة في الليل وهم مطمئنون فقتلهم وسباهم وقطع منهم رؤوساً كثيرة"[1]، ومن الواضح أن زناتة كانت أكثر حرصاً على بقاء صنهاجة منقسمة في صراعاتها الداخلية التي طبعت العلاقة بين بطونها، بل إنها سعت لإذكاء هذا الصراع من باب تفكيك بنية صنهاجة وزرع الفتنة بين أفرادها، ومن ثمّ يخلو لها المغرب الأوسط[2].

ب-2- بناء مدينة أشير واستئناف الصراع:

عندما ذاع صيت زيري بن مناد في جميع أنحاء المغرب وتأكّدت قوّته، ونزولاً عند رغبة أتباعه الذين ازداد عددهم أكثر فأكثر، غادر محلّ إقامته الذي أصبح ضيّقاً وقرر تأسيس مدينة جديدة، ولما نظر زيري إلى موضعها قال لأصحابه حسبما نقله النويري: "هذا موضعكم الذي يصلح أن تسكنوه"[3]، وعزم على بنائها وذلك في عام (324هـ/935-936م) وأمر زيري بإحضار البنائين والنجارين من حمزة والمسيلة وطبنة، وبعث إلى القائم بأمر الله في طلب صُنّاع، فبعث إليه برجل من أمهر الصُناع وأعانه بعُدة كثيرة من الحديد وغيره، وشرع زيري في بناء المدينة إلى أن كملت[1].

وبعد إتمام بناء مدينة أشير خرج زيري إلى المغرب وولى أخاه ماكسن بن مناد على أشير، فلما وصل إلى جراوة خرج إليه صاحبها موسى بن أبي العافية وكان والياً عليها لعبد

---

[1] - النويري، نهاية الأرب، المصدر السابق، ج24، ص88.

[2] - رضا بن النية، المرجع السابق، ص ص95-96.

[3] - النويري، المصدر السابق، ج24، ص88. روجي إدريس، **الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م**، ج1، تر: حمّادي السّاحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1992، ص44.

الرحمان بن محمد الأموي (300-350هـ/912-961م) بهدية، وقال له: "يا مولاي إنما استعملت نفسي لبني أمية لأهرب بهم على زناتة وإذ قد أتاني الله بك ... فأنا عبدك ومنقطع إليك وغوثك أنت مني قريب وسيف قريب مني أمنع من سيف بعيد" [2].

ويبدو أن زنانة أدركت -للوهلة الأولى- خطورة بناء مدينة أشير؛ وما سينجم عنه من انعكاسات من شأنها أن تقلص من تحركاتها وتقطع أرزاقها، من خلال إسراف زيري على حماية القرى والمزارع المحيطة بالمدينة، فعملت على رد الصاع صاعين بأن سيرت حملة ضخمة إلى مدينة أشير، يتزعمها كمات بن مديني الزناتي، فخرج زيري لملاقاته وهنا تصبح الرواية أكثر غرابة وذلك لأنه أشار إلى أن انتصار صنهاجة في هذه المعركة بفضل ابن زيري الصغير المدعو "كبات"، وكان صغيرا في السن ورغم أن والده منعه من المشاركة في الحرب- لصغر سنه- إلا أنه خرج متخفياً، وتمكن من قتل قائد الحملة كمات فدارت الدائرة على جيش زناتة وتكبدوا خسائر فادحة وأسر عدد كبير من أفراده[3].

ب-3- حملة بلكين بن زيري ضد زناتة عام 360هـ/971م:

ظل الزناتيون يثيرون القلاقل ويسعون جاهدين من أجل توسيع مجالات تحركهم واستعادة سيطرتهم على المناطق التي انتزعها منهم أعداؤهم الصنهاجيون لا سيما أن ما بقي تحت أيديهم لا يكفي لسد حاجاتهم، في هذه الأثناء تعاظمت قوة زناتة وقد كان رئيسهم الأمير المغراوي محمّد بن الخير بن محمّد بن خزر يناوش أنصار الفاطميين. واستطاع إخضاع قسم كبير من أراضيهم الغربية، ولم يتأخر الخليفة الأموي الحكم المستنصر الثاني (350-366هـ/961-976م) على مناصرته، وعمد المعز الفاطمي إلى تجريد زيري بن مناد من كل أعماله عدا أشير كي يلفت أنظاره صوبهم، وكانت مهمّة

---

[1] - روجي إدريس، الدولة الصنهاجية ، المرجع السابق، ص44.

[2] - النويري، المصدر السابق، ج24، ص89.

[3] - ينفرد النويري بهذه المعلومات من بين المصادر التي أرخت لصنهاجة لا سيما تلك التي اعتمدت على ابن شداد في نقلها. للمزيد ينظر: النويري، المصدر السابق، ج24، ص90، رضا بن النية، المرجع السابق، ص96.

زيري تتمثل في عرقلة هذا التوسع المخطر، وامتلاك أي شبر من الأرض يتمكن من انتزاعه من أيدي الزناتيين[1].

وفي ظل هذه الظروف صار الوضع ينبئ يقرب تصادم مصالح القوتين، وذلك في 15 ربيع الثاني 360هـ/15 فيفيري917م، حيث التحم الجمعان في معارك حامية في ضواحي تلمسان، وقد دارت المعركة لصالح الصنهاجيين الذين أوقعوا في الأسر عدداً كبيراً من خصومهم، وقد ترك الزناتيون جثث سبعة عشر أميراً من أمرائهم في ساحة الوغى، التي تكدست فيها عظام المغلوبين مدّة طويلة، أما محمّد بن الخير الذي أحاطت به مجموعة من الجنود فقد قتل نفسه بسيفه يوم17 ربيع الثاني360هـ/971م[2]، ووصل رأسه إلى المعز يوم 24 من نفس الشهر فحل ذلك عنده محلاً عظيماً[3].

ب-4- **تحالف زناتة مع عامل مسيلة ومقتل زيري بن مناد عام 360هـ/971م:**

أتيحت الفرصة لزناتة كي تثأر لنفسها ولقتل زعيمها محمّد بن الخير؛ وذلك إثر تحالفها مع عامل السلطة الفاطمية على مسيلة و الزاب جعفر بن حمدون[4]، هذا الأخير حينما

---

[1] – ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص37، رضا بن النية، المرجع السابق، ص96. روجي ادريس، المرجع السابق، ص63.

[2] – ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص617.

[3] – ابن خلدون، العبر، ج7، المصدر السابق، ص38، رضا بن النية، المرجع السابق، ص 97، روجي ادريس ، المرجع السابق، ص63.

[4] ‎4– **تعريف أسرة حمدون جعفر بن حمدون:** ينتسب بنو حمدون إلى جذام القبيلة العربية اليمنية القحطانية والأندلس هي موطنهم الأول قبل الهجرة إلى المغرب، لهذا عرفوا بلقب" ابن الأندلسي"، أما فيما يتعلق بأسرة عليّ بن حمدون، تذكر المصادر أنّ علياً أحد أبناء حمدون" وقع في بلاد كتامة" لما قام بالرحلة إلى المشرق رفقة والده حمدون لأداء فريضة الحج وهناك تزوج بامرأة من قبيلة جيملة الكتامية، واسمها ميمونة بنت علاهم الجميلي، ومن هذا الزواج تكونت أسرة عليّ بن حمدون والتي كان لها الفضل بناء مدينة المسيلة وتأسيس الإمارة، أما جعفر بن علي بن حمدون تولى ولاية مسيلة وإقليم الزاب لعد وفاة أبيه عليّ ينة334هـ/931هـ. للمزيد ينظر: أبي مروان حيان بن خلف (ابن حيّان الأندلسي)، **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**، تح: عبد الرحمان علي حجي، شرحه واعتنى به: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ط1، لبنان، 1426هـ/2006م، ص34. محمد بن معمر، **أسرة بني حمدون الأندلسية ودورها في المغرب والأندلس خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2007–2008، ص ص20–22–103.

استدعاه الإمام المعز لدين الله ربّما ليعهد إليه بولاية المغرب[1]، فضل الاحتراس ولم يُلبّ الدعوة فاستدعاه مّرة ثانية؛ أوفد إليه فرج الفتى ولكنه غادر المسيلة عندما كان المبعوث على بعد مرحلة من تلك المدينة، أظهر جعفر بن حمدون المسير إلى المعز واصطحب معه جنوده وعائلته وعبيده وجميع ذخائره، وكان مرفوقًا –أيضا – بأخيه يحي لكن التحق بالزناتيين وتحالف معهم ودخل في طاعة الأمويين بالأندلس[2].

أحسنت زناتة استقبال ابن حمدون وقدموه على أنفسهم فبلغ الخبر زيري بن مناد زعيم صنهاجة، فبادر بالخروج إلى زناتة وحليفهم الجديد، وزحف إليهم على حين غرة في (رمضان360هـ/جويلية971م) بحيش عظيم من صنهاجة وغيرها، من القبائل التي كانت تحت طاعته، فهزمهم أمير مغراوة الخير بن محمد و ابن حمدون شر هزيمة؛ وفي أوج المعركة بينما كان زيري بن مناد يثير حماس فرسانه إذ كب به جواده فسقط إلى الأرض وقُتل[3]، وإثر هذا قام ابنه بقيادة صنهاجة وقام بالثأر لأبيه، ووفق ما نقله ابن الأثير فإنه: "قد جمع فأكثر وقصد زناتة وأكثر القتل فيهم وسبي نسائهم وغنم أولادهم، وأمر أن تجعل القدور على رؤوسهم ويُطبخ فيها. ولما سمع المعز بذلك سرّه وزاد في إقطاع بلكين مدينة المسيلة وأعمالها وعظم شأنه"[4].

---

[1] – **أسباب انفصال جعفر بن حمدون عن السلطة الفاطمية:** يبدوا أنّ السبب الأصيل لهذه القطيعة السياسية هو تلك العداوة التي كانت بين جعفر عامل المسيلة، وجاره زيري بن مناد عامل أشير، والتي كانت نتيجة منافسة بينهما في محاولات للتقرب من الخليفة والاجتهاد في خدمته قصد أن يُوسع في ولايتهما، ويمنح لهما امتيازات أكبر، ولهذا فإنه غير المستبعد أن يكون قرار المعز بضم ولاية تيهرت إلى زيري بن مناد قد أغضب منافسة جعفر، وفي الوقت نفسه أثّر سلبا على علاقته بالخليفة الفاطمي وقد أشار ابن الأثير أنّه لما: كثر زيري عند المعز ساء ذلك جعفر، ففارق بلاده ولحق بزناتة. للمزيد ينظر: ابن خلدون، العبر، ج7، المصدر السابق، ص334. ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص334. محمد بن عميرة، **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د، ط)،الجزائر، 1984، ص158

[2] – النويري، المصدر السابق، ج24، ص91.

[3] – النويري، المصدر السابق، ج24، ص91-92. محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص237

[4] – ابن الأثير، ج8، المصدر السابق، ص625.

إذن، الصراع القبلي بين زناتة وصنهاجة ليس وليد الفترة الفاطمية وذلك راجع لاختلاف نمط المعيشة؛ لكن خلال الفترة المدروسة أصبحت الظروف السياسية والمذهبية هي المحرك الرئيسي لهذا الصراع.

في الأخير، يمكن القول أن مظاهر العنف في المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي تعددت وتنوعت، منها عنف السلطة غير المُشرع تمثل في المقدس والعنف و الاغتيالات السياسية والصراع الفكري، أما عن العنف المُشرع فتمثل في العنف الذي قامت به السلطة ضمن المؤسسات التشريعية والتنفيذية (مؤسسة القضاء ومؤسسة الشرطة) التي وجدت له السلطة مبررات للقيام به، أما عن مظاهر العنف الاجتماعي فتمثلت في تقسيمات الفاطميين للمجتمع، وكذلك الصراع القبلي بين القبائل المغربية خاصة بين صنهاجة وزناتة.

الفصل الثالث: أشكال ونتائج العنف في المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي

أولا– أشكال العنف

1– الجسد والعنف

2– السجن والسجناء

3– حالة الطورئ ومنع التجوال ليلا

ثانيا– نتائج العنف

1– الهجرة والتهجير القسري

2– الانتفاضات والثورات

3– خراب العمران

4– تحويل عاصمة الدولة من المغرب إلي المشرق

أشكال ونتائج العنف في المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي

تجسد العنف في الفترة المدروسة في أشكال مختلفة، تمثل في الجسد وما تعرض له من عنف، وكذلك ما يحصل في السجون الفاطمية، وحالة الطوارئ والإجراءات الاحترازية التي قامت بها السلطة، وتمخض على نتائج متعددة كالهجرة القسرية وخراب العمران والانتفاضات والثورات. وهذا ما سنقوم بدراسته في النقاط التالية.

أولا- أشكال العنف

تنوعت وتعددت أشكال العنف في المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي، وتمثلت في:

1- الجسد والعنف

وقسمناه إلى قسمين رئيسين:

أ- الجسد والعنف عند السلطة الفاطمية:

التعذيب هو عقاب جسدي مؤلم يتفاقم إلى حد الفظاعة. وهو تقنية يكون فيها أقصى حالات السعار الغضبي بدون قانون، فالعقوبة لكي تكون تعذيبا يجب أن تحدث كمية من الوجع، و إن لم يكن قياسها بدقة، فإنه يمكن تقديرها ومقارنتها وترتيبها؛ فالموت يكون تعذيباً بمقدار ما لا يكون -فقط- حرماناً من حق الحياة، ولكن يكون مناسبة ونهاية لتدرّجٍ محسوب من الأوجاع، من قطع الرأس التي مردها إلى حركة واحدةٍ وفي لحظة واحدة تعتبر الدرجة الصفر من التعذيب، ووصولاً إلى التقطيع الذي يوصلها إلى اللانهائية تقريباً، مروراً بالشنق والحرق...الخ، الموت التعذيبي هو فن إمساك الحياة في الوجع، وذلك بتقسيمه إلى ألف موتة مع الحصول قبل أن تتوقف الحياة على أشد حالات النزع[1].

[1]- ميشل فوكو، **المراقبة والمعاقبة ولادة السّجن**، تر: علي مقلد، مراجعة وتقديم: مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، ط1، لبنان، 1990، ص71.

وقد اتخذ الجسد والعنف خلال العهد الفاطمي عدة أنواع وأشكال، فمن الضرب الخفيف إلى الضرب حتى الموت، إلى تقطيع أطراف الجسد والتمثيل بالجثة...الخ، وعادة ما تمارس عملية التعذيب والتنكيل علناً. وتتنوع فضاءات "المشهد العقابي" حسب الظروف السياسية أو حسب الأهمية التي يمثلها الضحية المستهدف؛ فمن مكان ضيق كصحن من صحون قصر الخليفة إلى السجن أو الشارع[1]، وقد جعلت السلطة من جسد المعاقب مجالا مفتوحاً لتنفيذ الأحكام، و عُرضة سهلة لكل اعتداء، وهدفاً للتحقير والتدمير، فيما يعرف بـ"التوظيف السياسي للجسد" إمعاناً في بث الرعب وترسيخ الخوف وتأكيد حضور السلطة الدائم[2].

سنقوم بذكر بعض مظاهر العنف الجسدي الذي قامت به السلطة الفاطمية ضد الرعية:

أ- 1- قطع الرؤوس:

كانت عملية قطع الرؤوس وتعليقها على أبواب المدن وفي الساحات العامة، وهي التقنية الأكثر سيادة خلال العصر الوسيط، وقد أضفى الفاطميين على تلك التقنية طابعاً احتفاليا للإمعان في ترسيخ هيبة السلطة وقوتها، وبث الرعب عند كل من تسول له نفسه التمرد والعصيان، ودون أدنى مراعاة لشروط الصحة العامة إذا ما أخذنا في الاعتبار بقاء تلك الرؤوس معلقة لعدة أيام، وربما في أجواء شديدة الحرارة مما يُتسبب معه انتشار الروائح الكريهة[3].

وقد عمل المنصور بالله الفاطمي بعرض رؤوس القتلى الثوار حصن "ماواس" بالقيروان والمهديّة فيقول القرشي في ذلك: "...وبعث رؤوس مُقدّمِي الفسَقة ومذكوريهم

---

[1]- عبد اللطيف الحناشي، **السلطة والعنف في التاريخ الإسلامي الدولة الأموية أنموذجا**، المؤمنون بلا حدود مؤسسة دراسات وأبحاث، (د، ط)، تونس،(د، ت)، ص9.

[2] – خالد حسين، ظاهرة العنف في سياسة الفاطميين، المرجع السابق، ص40.

[3] – الحسين بولقطيب، **نظام العقوبات والسجن بالمغرب الوسيط مساهمة في دراسة العقل التأديبي المغربي خلال العصر الوسيط**، مجلة فكر ونقد، ح23، سنة 1999، ص42.

وذوي التقدّم منهم، وكتب أسماءهم في رقاع عليها، لتطوف بها في المحافل فيما قِبلَكَ..."[1].

يبدو أن مشهد الرؤوس المقطوعة بات معتاداً حتى لدى أطفال عصر الفاطميين حتى أنهم كانوا يلعبون بها؛ هذا حسبما نقله المقريزي في قوله: "...فَرّ أبو يزيد على وجهه، وقُتل من أصحابه ما لا يحصى كثرة، حتى أن الذي أخذه أطفال أهل القيروان خاصة من رؤوس القتلى عشرة آلاف رأس..."[2]، وحينما خالفت هوارة بطرابلس السلطة الفاطمية وقدموا على أنفسهم أبا هارون الهوّارة؛ وزحف أيضاً جماعة من زناتة ولماية وغيرهم من القبائل إلى مدينة طرابلس مُحاصرين أهلها، فأخرج إليهم عُبيد الله الشيعي أبا زاك تمّام بن مُعارك الأجاني وجَيش معه جيشاً عظيماً، فحاربهم أبو زاك حتّى هزمهم وفرّق جموعهم وقتل كثيراً منهم وبعث برؤوسهم وآذانٍ مفرطة لمن قتل ونصبت برقادة[3].

أما عن قطع الرؤوس كوسيلة لتعذيب الضحية في السلطة الفاطمية فقد حضر بقوة؛ فأثناء حملات أبي عبد الله الشيعي بالمغرب الأوسط من عام (297-298هـ/910-911م)، وأثناء انتصاره على زناتة بطبنة عام (297 هـ/910م) كتب الشيعي للمهدي بخبر الانتصار وأرسل له مع الكتاب رؤوس من قُتل في تلك المعركة من وجوه زناتة وغيرهم[4]، وفي عام (302هـ/915م) وحينما علم المهدي بخيانة حُباسة بن يوسف له؛ فأمر بقتله وجميع قرابته فأخرجوا من السجن وقُطعت رُؤوسهم وكُتبت أسماؤهم في بطائق وعُلقت في آذانهم، وأُدخلت على المهدي فنظر إليها وإلى رأسي حُباسة وعروبة فقال: "ما أعجب أمور هذه الرؤوس ضاق بها

[1] - القرشي، تاريخ الخلفاء الفاطميين، المصدر السابق، ص479.
[2] - المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ج1، ص84.
[3] - ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص163.
[4] - القرشي، تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص178-179.

المشرق والمغرب وحملتها هذه القفة"[1]، وقطع رأس الفقيه ربيع القطان (ت334هـ/945م) فقد كان من الذين خرجوا على بني عبيد مع مخلد بن كيداد[2].

أ-2- قطع الأطراف:

لم تقتصر العقوبات الموجهة للجسد على عقوبة قطع الرأس وما تحمله من دلالة القضاء على العقل المُدبر للفتنة والمتحكم فيها؛ وإنما امتدت لتشمل أعضاء أخرى كبتر الأذرع والسيقان والألسن والآذان[3]، فقد قطعت أذان ثوار هوارة بطرابلس يقول ابن عذاري في هذا: "...وبعث برؤوس كثيرة وآذان مفرطة لمن قتل فنصبت برقّادة.."[4]، وفي عام (307هـ/919م) قتل بالقيروان عروس المؤذن بمسجد ابن عيّاش الفقيه وسبب قتله أنه كان يؤذن في المسجد المذكور؛ فشُهد عليه بعض المشارقة أنه لم يقل "حي على خير العمل"، فقطع لسانه ووضع بين عينيه وطيف به في القيروان ثم قُتل[5]، وفي عام (309هـ/921م) قطعت يدا سجان ورجلاه كعقوبة لهروب ثلاثة عشر سجيناً[6]، وقام المنصور بقطع أيدي وأرجل أصحاب مخلد بن كيداد ثم قام بصلبهم[7].

أ-3- القتل عن طريق الركض بالأرجل بشرية أو حيوانية:

وهي من أبشع صور القتل والتعذيب؛ فقد قتل الفقيه أبو جعفر محمد بن خيرون الأندلسي القرطبي (ت297هـ/910م)[8] بأبشع صور القتل وذلك عن طريق الركض بالأرجل البشرية، فقد تحدث المالكي على الحادثة فقال: "... حدث الشيخ أبو الحسن بن القابسي

---

[1] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص172. موسى لقبال، الإيكجاني، المرجع السابق، ص88.
[2] – الدباغ، المصدر السابق، ص30-34.
[3] – خالد حسين، ظاهرة العنف في سياسة الفاطميين، المرجع السابق، ص43.
[4] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص163.
[5] – الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص6. ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص183.
[6] – المالكي، المصدر السابق، ج2، ص174.
[7] – ابن حماد، المصدر السابق، ص66.
[8] – الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص290.

رضي الله عنه قال: ذكر لي من أثق به أنه كان جالساً عند ابن أبي خنزير– لعنه الله– في سقيفة حتى دخل عليه شيخ ذو هيئة جميلة وقد علاه ... فلما رآه ابن خنزير بكى فقال له: ما الذي أبكاك؟ قال: السلطان–يعني عبيد الله– وجه إلي يأمرني أن آمر بدوس هذا الشيخ حتى يموت وهو –ابن خيرون–، قال ثم أمر به فأدخل إلى المجلس ... بطح على ظهره وطلع السودان فوق السرير فقفزوا عليه بأرجلهم حتى مات..."[1].

أما عن القتل عن طريق الركض بالأرجل الحيوانية، فقد تم قتل القاضي المروزي فيقول المالكي في هذا: "فلما طال على ابن أبي خنزير كثرة ما يأتي به المروزي من العلماء والصالحين ليقتلهم سعى به عند عبيد الله ومضى فيه إلى المهدية، فقبل عبيد الله قوله ومكنه منه فأخذه فألبسه تليساً ورماه في اسطبل الدواب تمشي عليه فركضت عليه حتى قتلته ..."[2].

أ–4– الخنق:

ومن الوسائل التي لجأ الفاطميين إليها لقتل المعارضة هي الخنق حتى الموت، حين دخل الشيعي مدينة رقادة عام (296هـ/909م) أمر بقتل إبراهيم بن بربر بن يعقوب التميميّ المعروف بالقوس؛ فقُتل خنقاً بعد أن اكتشف المؤامرة التي قام بها ضده، قال أبو عبد الله الشيعي : "ما أمنتُ بإفريقية حتّى قتلتُ القوس"[3].

أ–5– حفل الإذلال:

وللجمع بين العرض العقابي للردع ونقشه في ذاكرة الجماهير والاحتفال التشهيري للإمعان في ازدراء الخصم أو الثائر، كان يُنصب له حفل إذلال قد يتجاوز الموت نفسه فقد كان يُقاد عاري الرأس يطاف به ويصفع على قفاه، مما يسقط عنه خصائص الرجولة. وقد

[1] – المالكي، المصدر السابق، ج2، ص54–55.
[2] – نفسه، ص55–56.
[3] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص150.

يوضع في قفص مما يجعل منه حيواناً، وهو موجه أصلا لوشم في ذاكرة العامة من خلال هذا الأثر المرعب، لهذا آثر بعض الثوار الانتحار هروباً من هذا المصير[1]، فلما استقر عبيد الله المهدي برقادة أمر بطلب اليسع بم مدرَار حيث كان، فخرجت الخيل في طلبه ومن معهُ من أهل بيته، فأخذوهم وأتوا بهم إليه فأمر بضربه بالسياط، فضرب وطيف به في سجلماسة، ثم أمر بقتله فقُتل هو وكلٌ من هرب معه من أهل بيته[2]، أما الثائر المارطي بعد القبض عليه هو وأصحابه (300هـ/913م) ببلد كتامة؛ قفل أبو القاسم بهم إلى رقادة فطُوّفوا بالقيروان على الجمال وعليهم القلانس الطوال المشهرة بالقرون و المصافع و ثم أخذوا وقتلوا بمدينة رقادة[3].

وعن صاحب الحمار مخلد بن كيداد بعد موته، أمر المنصور بالله بسلخ جلده وحشيه بالتبن بعد أن أُخرجت أحشاؤه ومُلح وعُولج؛ حتّى ظهرت صورته كأنّها ناطقة، وجُعل في صندوقين طويلين وأمر بحمل الصندوقين، فكان إذا ورد مدينة أمر بإخراج ذلك الجلد، ويُحمل على جمل ويُلبس على رأسه ورجله يُمسكه من خلفه كي لا يميل وينادي عليه، وعلى كتفه قردان يصفعانه ويلعبان به[4].

أ-6- **التعذيب:**

على الرغم من أن التعذيب ليس واردا في الجرائم كلها إلا أن كل تعذيب يشكل جريمة، والجنايات التي تحتوي عليه شائعة إلى درجة أنها تحظى بالاهتمام[5]، ويعتبر وسيلة لانتزاع المعلومات. وهذا بالطبع كان وما يزال المبرر الأكثر شيوعاً لاستخدامه، فالذين يرغبون في أن يكونوا شهداء نادراً ما يعترفون أو يكشفون عن أي شيء بالإكراه، وعلى العكس من ذلك

1- خالد حسين، ظاهرة العنف في سياسة الفاطميين، المرجع السابق، ص47.

2 - النويري، نهاية الإِب، المصدر السابق، ج28، ص65.

3 - ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص168.

4 - القرشي، تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص151-152.

5 - بيرنهاردت ج. هروود، **تاريخ التعذيب**، تر: ممدوح عدوان، دار ممدوح للنضر والتوزيع، ط4، سوريا، 2017، ص75.

كان آخرون قد عرف عنهم أنهم يعترفون بأية جريمة ويقدمون أية معلومات عندما يخضعون للتعذيب[1]، يعد التعذيب دائما أحد أهم مظاهر العنف وقد اعتبره البعض طقساً منظماً لوسم الضحايا، وفناً يرتبط بنمط الإصابة الجسدية وبكمية وزخم الأوجاع، و تهدف السلطة من وراء استخدامه إلى ترويض الجسد البشري واستثماره وإخضاعه واستعباده[2].

وقد كان التعذيب حاضرًا في سياسة الدولة الفاطمية في المغرب الإسلامي؛ وذلك من خلال حضور الكلمة –وبقوة– في المصادر التي أرخت للفترة، فقد جاء في معالم الإيمان لدباغ عمّن ماتوا في دار البحر بالمهدية تحت العذاب: "...وقال أبو الحسن القابسي– عن شيوخه الذين أدركهم– أن الذين ماتوا في دار البحر بالمهدية من حين دخل عبيد الله إلى الآن أربعة آلاف رجل في العذاب ما بين عابد وعالم ورجل صالح..."[3]، وعن تعذيب وقتل التاجر الأندلسي أبو جعفر بن خيرون يقول ابن عذاري:"... وفيها قُتل من التِجار أبناء الأندلسيين بالقيروان أبي جعفر بن خَيْرُون صاحب المسجد الشريف والفنادق المجاوِرة للسجن بسعي كان للقاضي المروزي عليه ... فطُولِب بها وعُذّب حتّى مات"[4].

ولم تخف المصادر تحسّر وحزن المنصور بالله بموت مخلد بن كيداد، فقد أراده ليتفنن في تعذيبه فيقول الدرجيني في هذا:"..فاستدعى الأطباء ليعالجوه يريد حياته ليعذبه بأنواع العذاب..."[5].

---

[1] – بيرنهاردت ج. هروود، المرجع السابق، ص 55–56.

[2] – خالد حسين، ظاهرة العنف في سياسة الفاطميين، المرجع السابق، ص49.

[3] – الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص34.

[4] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص169.

[5] – أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني(ت670هـ/1271م)، **طبقات المشائخ بالمغرب**،ج1، تح: إبراهيم طلاّى، (د، د، ن)، الجزائر، (د، ت)، ص102.

أما عن أساليب وأشكال التعذيب عند الدولة الفاطمية فهي كثيرة، لكن نذكر بعضًا منها:

- **الضرب:**

كان الضرب وسيلة من وسائل التعذيب، فلما ولي القضاء المروزي في أيام أبي عبد الله الشيعي أخذ قوماً من أهل العلم فضرب بعضهم وسجن بعضهم[1]، وقد ذكر الخشيني عند وفاة أبي سعيد المعروف بالوكيل قامت السلطة الفاطمية بحجز أمواله وضرب ابنه بالسياط[2]، وعن تعذيب أبي عبد الله محمد بن الفتح المالكي المؤدب (ت334هـ/945م) يقول المالكي:"...فبُطح على خمرة الطين وضربه سبعاً وسبعين درة..."[3].

- **الصلب حياً:**

صُلِبَ قاضي مدينة برقة محمد بن إسحاق الحبلي (ت341هـ/952م) والسبب رفض طلب عامل برقة بأن يصلي ويخطب خطبة العيد بسبب عدم ثبوت رؤية الهلال، وكتب بما جرى للسلطات الفاطمية، أُمر برفعه للعاصمة فلما وصل طلب منه الإمام الدخول في دعوة الفاطمية والتراجع عن قراره، فرفض ذلك فنصب له صارياً عند الباب الأخير من أبواب الجامع، الذي يلي درب المهدي، وغُلق بيده إليه في الشمس، فأقام كذلك بارزاً للشمس في شدة الحر، فكان يطلب من يسقيه الماء وهو في تلك الحالة فلم يجبه أحدٌ من الناس خوفاً من السلطة، بقي على تلك الحالة حتى مات في مساء ذلك اليوم، فأخذوه فصلبوه على خشبة بـ" باب أبي الربيع"[4].

---

[1] – المالكي، المصدر السابق، ج2،، ص48.
[2] – الخشيني، المصدر السابق، ص ص228–229.
[3] – المالكي، المصدر السابق، ج2، ص48.
[4] – نفسه، ص404–405.

- **السلخ:**

سمي المنصور بالله بالسلاخ لأنه أمر بسلخ كثير من المناوئين والمعارضين له، فقد كان مصير أحد من المتمردين الذين ادعوا النبوة في عهده، أنه أمر بسلخه حيا وحشو جلد قطنا وخيطت وصاله حتى تمت جثته وصار كأنه نائم و قدد لحمه وملح[1]، فيما جاء عن الدرجيني أنه قد أمر كذلك بسلخ الثائر أبي يزيد النكاري حياً؛ فأخذوا يسلخونه فلما وصلوا إلى سرته مات[2].

- **القتل بالرجم:**

فقد جاء في رحلة التجاني عند انهزام جيش صاحب الحمار تحت قيادة القائد العسكري أيوب أمام جيش الفاطمي بقيادة القائد العسكري بشرى بالقرب من مدينة تونس، فما كان من هذا الأخير إلا أن وجه الجيش المهزوم إلى المدينة فقتلهم العامة بالعصي والحجارة، فانقلب أيوب إلى أبي يزيد فأخبره بالوقيعة فساءه ذلك ورحل بنفسه قاصدا بشرى، فوجده قد انصرف إلى المهدية، فوقف على المعترك وترحم على قتلاهم وأمر بدفنهم[3].

- **الذبح:**

عمل ابن خنزير –عامل القيروان في أيام عبيد الله المهدي – بذبح كل من الفقيه إبراهيم بن البرذون وأبي بكر بن هذيل، فيقول المالكي في هذا: "....ابراهيم الضبي فإنه لما أتي به إلى ابن أبي خنزير ووقف بين يديه قال له: يا خنزير، فقال له الضبي: الخنازير معروفة بآبائها، فغضب وعاجله بالقتل صبراً، فضرب عنقه ... وضرب ابن هذيل خمسمائة سوط ثم ضرب عنقه وطيف بهما جميعاً مربوطين إلى البغل مسحوبين على وجوههما في سماط القيروان وصلبا بباب أبي الربيع."[4].

---

[1]– ابن حماد، المصدر السابق، ص76.

[2] – الدرجيني، المصدر السابق، ص102.

[3] – التجاني، المصدر السابق ص25.

[4] – المالكي، المصدر السابق، ج2، ص ص48-49.

- **حرق الناس أحياء:**

قد استعملها القائد الشيعي حباسة بن يوسف في عام (301هـ/914م) مع جماعة من أهل برقة، بعدما علم أنهم يتواصلون ويتراسلون مع العباسيين عن طريق الحمام. فيقول ابن عذاري في هذا: "...أخذ ببرقة جماعة كانوا يلعبون بالحمام، فأضرم لهم ناراً، وأجلسهم حواليها، وأمر بأن تقطع لحومُهم وتُشوى، ثمّ يطعمونها، وقذفهم بعد ذلك في النار..."[1].

- **طرق مبتكرة في التعذيب:**

أثناء حصار مخلد بن كيداد على المهدية، وفي إطار تحرير المدينة ابتكر المنصور بالله شكل جديد من العذاب لأنصار مخلد بن كيداد، وهي الطريقة التي تؤدي إلى الموت البطيّء؛ فقد قام ببناء خندق كبير وأضرمه ناراً وعلق عليه بكرة؛ فإذا أخذ أحداً من أنصار مخلد بن كيداد علقه برجليه إلى البكرة، ثم مالاه في التنور إلى الموضع يناله حر النار فيه، فإذا أشرف على الموت روح شيئاً؛ فإذا رجعت إليه نفسه أعاده حتى يموت[2].

ب- الجسد والعنف في المجتمع:

تنوعت وتعددت أشكال العنف في المجتمع المغربي، وسنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر.

ب-1- العنف ضد المرأة:

العنف ضد المرأة ليس وليد العهد الفاطمي، بل لم يشكل العنف ضد المرأة مشكلة إذا ما استدعينا السياق التاريخي، لأن المجتمعات على وجه العموم شرعت بصورة أو بأخرى العنف الأسري وباركته. فالعنف متأصل في صميم ثقافتنا، ومن حيث الممارسة، غالبا ما

[1] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص170.

[2] – ابن حماد، المصدر السابق، ص74.

يقع تحت ستار الممارسات الثقافية والعادات والتقاليد والتفسير الخاطئ للدين، خصوصا إذا كان ضمن حدود الأسرة، فإن القانون والجهات الرسمية عادة ما تفضل التغاضي والسكوت عنه بحجة السلم الاجتماعي[1].

يمكن تقسيم أسباب العنف ضد المرأة إلى محورين رئيسين:

- **المرأة ضحية المجتمع الذكوري (المرأة ضحية النوع) :**

كانت سيمون دي بوفوار Simone de Beauvoir ترى أن الأنثى إلى حد أكبر من الرجل هي ضحية النوع، وتقول في هذا: "ما هي المرأة؟ هذا شيئ بسيط، إنها رحمُ ومبيض، فإنها أنثى وهذه الكلمة تكفي لتعريفها، ويلوك الرجل كلمة" أنثى" كما لو كانت إهانة،....على العكس فخوراً إذا قيل عنه : "إنه ذكر"...."[2]، ويرى ميشال فوكو Michel Foucault في كتابه الموسوم بـ"استعمال اللذات" وفي إطار نقده الجنسايات ذكورية تستقي مرجعتيها من أفكار عامة وتعمل على تعزيز نفسها من خلال مؤسسات ذكورية تشُغل فيها المرأة دور التابع والمقاد[3]، وترى المقاربة الاجتماعية النسوية لظاهرة العنف أن سبب الظاهرة يكمن في الموافقة الضمنية التي يمنحها المجتمع للرجل الممارس للعنف؛ فالرجل الذي يهين زوجته إنما يمارس ثقافة معززة في المجتمع المتمثلة في ثقافة العدوانية والهيمنة الذكورية والدونية الأنثوية وهو يوظف القوة لتعزيز هذه الهيمنة[4].

---

[1] – أماني أبو رحمة، **أفق يتباعد إلى بعد ما بعد الحداثة**، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، (د، ط)، سوريا، 1435هـ/2014م، ص231.

[2]– سيمون دي بوفوار، **الجنس الآخر**، تر: ندى حداد، مراجعة وتدقيق: إيمان المغربي، دار الأهلية، (د، ط)، 2008م، المملكة الأردنية، ص14.

[3]– تركي علي الربيعو، **العنف والمقدس والجنس في الميثولوجيا الإسلامية**، المركز الثقافي العربي، (د، ط)، لبنان، المغرب، 1995، ص ص145-144.

[4] – يسلي نبيلة، **العنف ضد المرأة بين واقع التربية والرجلة**، رسالة لنيل شهادة ماجستير في علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008-2009م، ص50.

- **المرأة ضحية الثقافة (ثقافة المجتمع والمحيط) :**

شكلت الأزمات السياسية الاقتصادية والاجتماعية التي تعرض لها المغرب الإسلامي منطلقاً حقيقياً لتحولات عميقة أرخت بظلالها السلبية على حياة المرأة المغربية[1]، يقول الحسن الوزان: "..فإن البؤس الذي يفتك بضعفاء الشعب في تونس يؤدي بكثير من النساء إلى الاتجار بمفاتنهن لأبخس الأثمان، ويدفع بالغلمان إلى التعرض للرجال وهم أشد دناءة ووقاحة ورذالة من العاهرات"[2].

كان الخلاف المذهبي من أسباب العنف ضد المرأة سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، لا سيما في زمن سيطرت فيه ظاهرة تكفير المخالفين وتحريم الزواج منهم وفسخ ما تم من أنكحه. فقد جاء في نوازل الونشريسي أن رجلا سنيّا أراد التزوج بامرأة شيعية وخاف على نفسه الفتنة[3]، وقد استند بعض علماء الدين الإسلامي على بعض تأويلاتهم –باسم الشريعة– فضيّقوا على المرأة حتى فسخوا كل صورة لها في المجتمع، حتى أصبح للمرأة –لدى بعضهم – معنى يتطابق مع صورة الشيطان" ولا شكّ أنّ الرّبط بين المرأة والشيطان لا يقصد به كونها شيطانا حقيقيا لأنه من الجن؛ ولكن المقصود بهذه الفكرة أنّها أداة ممتازة من أدوات الإغراء. وأنّ الشيطان يزّين من خلالها كرمز الجنس المرغوب والمطلوب لدى الرجال، فيوحي له بالمحرّم الجنسي أي الزّنا، وهو جريمة ضدّ التعاليم الدينية والوضع القائم، ويتنزّل الزّنا في هذه الرؤية باعتباره اللذّة المحرّمة التي جسّدها الشيطان في تلبّسه بصورة المرأة، وقد يؤدي

---

[1] – خالد حسين محمود، **الخلافات الزوجية بالمغرب الأدنى خلال العصرين الفاطمي والزيري(296–543هـ/909–1448م)**، مجلة العصور الجديدة، ع13، ربيع (أفريل) 1435هـ–2014م، ص98.

[2] – حسن بن محمد الوزان المعروف بليون الإفريقي (ت912هـ/1554م)، **وصف إفريقيا**، ج2، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، لبنان، 1983، ص77–78.

[3] – أحمد بن يحي الونشريسي (ت914هـ/1508م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي عُلماء إفريقية والأندلس والمغرب**، ج3، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، ص1401هـ/1981م، ص300.

محاولة تأديب الرجل لزوجته–حتى تستقيم– إلى أضرار جسيمة وعنف جسدي ضد المرأة[1].

هناك مظاهر وحالات عديدة للعنف ضد المرأة خاصة ومميزة للمرحلة كظاهرة السبي لنساء المغرب؛ وهناك حالات عنف عامة تعاني منها المرأة باختلاف الإطار الزماني والمكاني كالعنف الأسري المسلط ضد المرأة سواء من قبل الأب أو الزوج.

- **سبي النساء:**

ظاهرة السبي[2] لم يشرعها الإسلام إنما كانت قبل مجيئه، فلما جاء الإسلام قيده وحصره في شكل واحد وهو شكل الحروب والقتال، وذلك في طريق للتخلص من هذه الظاهرة، لهذه تعرضت المرأة المغربية للسبي في الفترة المدروسة، ففي عام (297هـ/910م) خرج الشيعي مع جماعة من قواد كتامة ودُعاتهم إلى المغرب الأوسط والأقصى، ففتح بها المدن وقتل وسبي من النساء العدد الكبير؛ وفي عام (298هـ/911م) تجول الشيعي في بلاد البربر، وحارب القبائل المغربية وقتل الرجال وأخذ الأموال وسبى الذرية وأحرق بعض المدن بالنار، وفي عام (299هـ/912م) أخرج المهدي العساكر إلى تيهرت فقتلوا الرجال وسبوا النساء والذرية وانتهبوا الأموال وحرّقوا المدينة بالنار[3].

- **العنف الأسري ضد المرأة:**

[1] – الصبحي بن منصور، **المرأة والعلاقات الزوجية بإفريقية في العصر الوسيط**، تقديم: نبيل خلدون فريسة، مجمع الأطرش، (د، ط)، تونس، 2018، ص ص44–119.

[2] – **السبي:** هو أخذ الناس إماء وعبيد، وفي الاصطلاح متعلق بالنساء والأطفال المأسورين في حرب شرعية فيسترق أطفال المركون ونساؤهم بسهم لبيت المال، وأربعة أخماس للغانمين. للمزيد ينظر: نجمة ونيس سعد وطيلة، **عمليات السبي في بلاد المغرب الإسلامي من الفتح حتى نهاية الدولة الأموية(21–132هـ/ 622–749م)**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة طرابلس، 2012، ص43

[3] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص ص160–166..

تفيدنا النوازل بمجموعة من المشاكل الأسرية التي حدثت في المغرب الإسلامي. ومنها ومن خلالها نأخذ صورة على الوضع العام للأسرة المغربية، وعلى وضع المرأة بصفة خاصة، فقد تعرضت هذه الأخيرة إلى العنف بمختلف أشكاله جسديا أو نفسيا بما في ذلك الضرب على يد الزوج أو الأخ أو الأب[1].

فقد جاء في أحد النوازل التي عرضت على الونشريسي: "...سئل عن رجل حارجته زوجته فتوقد بالغضب فصدر منه كلام فيه تهديد ووعيد لها، ففرت لسببه إلى دار من ديار جيرانها، فخرج في أثرها فحلف لها بالطلاق ولا تبيت في هذه الدار، وإن خلصها أحد ليقتله أو يموت. فانقلبت إلى بيتها وضربها حتى أشرفت على الموت من عظيم ما نزل بها، فدخل عليه أخوه ورام خلاصها منه فلم يقدر، ثم ولي هارباً خوف أن يقتله، فخرج في إثره فلم يلحقه فرجع فوجدها في بيت جار له، فقال له ليس هنا من يحول بينك وبينها فافعل ما بدا لك، فقال له قد وصلت إلى مرادي فيها فهل يحنث أو لا؟..."[2]. تعكس هذه النازلة مدى العنف الذي تتعرض له الزوجة من قبل زوجها، عنفا نفسيا من خلال الشتم والفضيحة أمام الجيران والبيئة المحيطة بها، أما جسديا فهو الضرب المبرح الذي تلقته من قبل الزوج، وكذلك التساؤل عن تحنيثها له أم لا؛ دليل على أنه مغلوب على أمرها وتفكر في الرجوع له بعد كل ما حصل لها.

أما عن زواج القاصرات وتأثير ذلك على نفسيتهن، فقد سئل الونشريسي في نازلة عن رجل تزوج امرأة يتيمة بنت خمسة عشر عاماً أنكحها عم لها، وقال إنه وليّها لا

[1] – حسينة كريم، **أوضاع المرأة الاجتماعية والاقتصادية بالمغرب الإسلامي من خلال نوازل" المعيار" للعلامة الونشريسي(ت914هـ/1508م)**،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر-2-أبو القاسم سعد الله، 1435-1436هـ/2014-2015م، ص118.

[2] – الونشريسي، المصدر السابق، ج4، ص ص105-106.

ولي لها غيره، فلما دخل الزوج بها ومكث معها أكثر من ستة أشهر كرهته وهربت منه وزعمت أنها غير بالغ[1].

نازلة أخرى تعكس عنف الأب ضد ابنته، وقد جاء في النازلة أن القاضي قام بتزويج البنت دون رضا الأب؛ وذلك بسبب أن البنت رفعت شكوى للفقيه بأن أباها يضربها بسبب تهمتها بالزنى، فقام بضربها من ظهر الجمعة إلى قرب العشاء مكشوفة العورة، وجعل عليها قرمة وحلق شعرها وألسبها التليسَ وصار يبصق في وجهها، أي وقت رآها وطرحها وصار يجوعُها ويطعمها ما لا تعتاد، وبعث إلى القوابل ينظرن عورتها، فصار القابلات ينظرن عورتها وهو ينظر في فرجها معهم، ويتواعدها ويهددها بالقتل...[2].

- **العنف الجنسي:**

غياب التوافق الجنسي بين الزوجين ممثلاً في عدم التفات الزوج إلى رغبات زوجته الشخصية والنفسية والعاطفية، مما تسبب في تحويل تلك الممارسة لدى الزوجة إلى فعل مشوب بالألم وشكل من أشكال العنف والغصب؛ لا سيما مع الزواج المبكر الذي تفتقد فيه الزوجة الاستعداد المعرفي[3]، فقد جاءت في نوازل البرزلي في من زوج ابنته ولها ثمان سنين واشترط على الزوج بقاءها عنده أربع سنين ثم رفع الزوج أمره لبعض الحكام بعد مضي سنتين، فحكم للزوج بأنه يدخل عليها، فلما دخل عليها جفا عليها بالغصب، فخيف عليها من خسارة عقلها ونفسها، فراجع الزوج الحاكم فحكم عليها بالخلع[4]، وقد سئل القاضي ابن منظور عن رجل تزوج بكراً يتيمة مهملة و بنى بها وبقيت عنده نحو أربعة أشهر من يوم بنائه بها، ثم نشزت عنه لدار

[1] – الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص 378.

[2] – الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص ص 59-60.

[3] – خالد حسين، الخلافات الزوجية، المرجع السابق، ص107.

[4] – أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي المعروف باللرزلي(ت841هـ/1438م)، **فتاورى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكّام**، ج2، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 2002، ص272.

أمها وطُلبت بالرجوع لدارها فأبت، وترددا معاً لمجلس القاضي منذ نحو ستة أشهر، وترد لدار زوجها وتهرب عنه وهي تدعي أن زوجها يمكث في جماعها مدة طويلة حتى يلحقها من ذلك ضرر عظيم لا طاقة لها به .... قد بلغ بينهما إلى أمر عظيم حتى إنها تقول تقُتل ولا ترجع إليه[1].

- **وضعية المرأة في الحروب:**

كانت وضعية المرأة في الحروب مزرية؛ وهذا ما حدث على يد مخلد بن كيداد في ثورته ضد الدولة الفاطمية، فقد نقل لنا القرشي حالة باجة عند دخوله فيقول: "...دخل أبو يزيد باجة بالسيف، وذلك في اليوم الذي خرج فيه ميسور من المهديّة، فأحرق أبو يزيد الدجّال دور باجة وأقام القتل في أهلها ثلاثة أيام بلياليها، والتجأ النساء والأطفال إلى مسجدها الأعظم وظنوه يمنعهم من البربر، فدخلت عليهم البربر فافتضوا في المسجد الأبكار من البنات وفعلوا الأفعال المنكرات..."[2]، مع أن المصدر شيعي ومعارض لصاحب الحمار فيمكن أن يكون فيه نوع من المبالغة، لكن لم نجد في المصادر ما ينفي ذلك، خاصة لفقدان المادة المصدرية للخوارج الإباضية النكارية في هذه المرحلة، لأن التاريخ -كما يقال- يكتبه المنتصر.

ب-2-العنف ضد الطفل:

---

[1] – الونشريسي، المصدر السابق،، ج3، ص 235.

[2] – القرشي، تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص277.

تنوع العنف ضد الطفل المغربي بين العنف الجسدي والنفسي، وكان له تأثير سلبي في نشأته. وسنحاول أخذ نماذج وإعطاء صورة من صور العنف ضد الطفل في المغرب الإسلامي:

- **العنف الأسري:**

مورس العنف الأسري ضد الطفل على مستويات مختلفة:

- **العنف وسيلة من وسائل التربية عند الأسرة المغربية:**

أُستعمل الضرب كوسيلة من وسائل التأديب وتربية الأطفال بالمغرب الإسلامي[1]؛ وإن كان بعض الفقهاء ينهون عن ضرب الصبيان ضربا لا يليق إلا بقدر جرمه، وقد رافق الضرب والعنف تربية الطفل المغربي في البادية. وهذا راجع إلى تعالي سلطة الأب على مستوى الأسرة القروية؛ كذلك مردود إلى طبيعة النمط المعيشي الذي يتحكم في حضور وغياب رب الأسرة عن البيت في ملازمة الأبناء، الأمر الذي يؤدي إلى توكيل الزوج مهام التربية الى الأم، علاوة عن مهامها الأخرى وواجباتها مما يبين تزايد الغبن الاجتماعي في الأسرة البدوية[2].

أما عن معاملة الأبناء داخل الطبقة الخاصة، فكانت ترتكز على النصيحة والموعظة لا سيما عند بلوغهم، وقد قام الأب بدور هام في تربية الطفل وتوجيهه منذ نعومة أظافره؛ فمعظم الآباء في هذه الأوساط حرصوا على توجيه أبنائهم وتهيئتهم للوظائف العُليا نفسها التي كانوا يُشغلونها، نذكر هنا

---

[1]- كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن العديم الحلبي(ت660هـ)، **تذكرة الآباء وتسلية الأبناء المسمى الدراري في ذكر الذراري**، تح: علاء عبد الوهاب محمد، جار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، (د، د، ن)، 1404هـ/1984م، ص48.

[2]- بصديق عبد الكريم، جوانب **عن تربية الطفل في المغرب الأوسط ما بين القرني(6-9هـ/12-15م)**، مجلة عصور، ع 24-25، جانفي2015، 86-87.

أسرة القاضي النعمان وكيف توارثت منصب قاضي القضاة؛ وكذلك كيف كانت تربية زيري بن مناد لابنه بلكين بن زيري وكيف خلفه في زعامة صنهاجة[1].

- **الطلاق والمشاكل الزوجية وانعكاسها على الطفل في المغرب الإسلامي:**

من الأمور المتفق عليها في عالم الطفل الاجتماعي والنفسي، أنّ من متطلبات النمو السليم للطفل أن يكتسب التعلّق الاجتماعي بالوالدين والإخوة وهو في مرحلة المهد، وأنّ أقوى رابطة هي تلك التي تشدّه إلى الوالدين، وبالأخّص الأمّ في مسعى منه لإشباع رغباته الأساسية من حاجته إلى الراحة والبعد عن الألم، وحاجته إلى التعلّق ودفء العاطفة والاستقرار، والثبات في البيئة التي يفترشها أو المحيطة به، وتؤكد الدراسات السوسيو-نفسية أنّ ضيق شبكة العلاقات للوالدين يرتبط بالاختلال الوظيفي لهما، ولذلك الاختلال تأثير سلبي على علاقتهما بالطفل وتنشئته في حين إذا كان حبل التواصل بينهما والتعاون متينا كان ذلك مفيداً في تنشئته، وصناعة شخصيته[2].

فالخلافات الزوجية لها تأثير سلبي على الأطفال، إذ أن الرفض المتواصل والمتواتر بين الزوج وزوجته وعدم استمتاعها بصحبة أحدهما للآخر، يؤدي فيما بعد إلى قلة ممارسة الأسرة للأنشطة الاجتماعية القادرة على تشييد بناء الأسرة وتماسكها، وهكذا تنجرف الأسرة نحو الانهيار وتخلّف أطفالاً يعانون من الضياع[3]، وقد كانت هناك مجموعة من النوازل في قضايا الطلاق ويكون الطفل جزء من المساومة، فقد سئل الفقيه ابن عتاب في اختلاف رجلا و (طليقته) في نفقة الابن؛ فقد التزمت المرأة نفقة ابنها سنة؛ ثم اختلف في انقضاء السنة،

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش، **المغرب والأندلس في عصري المرابطين المجتمع- الذهنيات-الأولياء-**، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، لبنان، 1993.

[2]- البشير بوقاعدة، **غياب الأب المفرط عن محيطه الأسري وتأثيره على حياة الطفل بالمغرب الأوسط بين القرنين7-9هـ/13-15م**، مجلة عصور، المجلد10-ع2 (جوان) 1441هـ/2020م، ص55.

[3] - خالد حسين، الخلافات الزوجية، المرجع السابق، ص118.

فقال الرجل بقي من السنة شهران وقالت المرأة قد انقضت السنة[1]، وهناك نازلة أخرى عن ترك امرأة ولداً لها رضيعاً ابن شهرين أو نحوهما عند أبيه، فبقي عند والده أياماً يُغذيه بلبن المعزة، ثم خاف عليه فأرسله إليها فامتنعت عن أخذه و ترضيعه، فبقي يغذيه بلبن المعزة نحو عشرة أيام فمات[2].

- **العنف ضد الطفل في الحروب:**

كانت ظاهرة سبي الأطفال في الحروب ظاهرة رافقت أعمال أبي عبد الله الشيعي أثناء سيطرته على المغرب؛ ففي عام (298هـ/911م) تجول أبو عبد الله الشيعي في بلاد البربر، وحارب القبائل المغربية في محاولة لكسر شوكتها والسيطرة عليهم؛ وأثناء تجوله قتل الرجال وأخذ الأموال وسبي الذّرية وأحرق المدن بالنار[3]، وفي عام (299هـ/912م) دخلت عساكر المهدي إلى تيهرت فقتلوا الرجال وسبوا النساء و الذراري[4].

وأثناء ثورة مخلد بن كيداد وعند دخوله لباجة بالسيف أحرق دورها وأقام القتل في أهلها ثلاثة أيام بلياليها، فيقول القرشي في ذلك: "... والتجأ النساء والأطفال إلى مسجدها الأعظم وظنوه يمنعهم من البربر... وكانوا يأخذون بأرجل الأطفال الصغار ويضربون بهم عمد الجامع وحيطانه فتفلق أدمغتهم. وكانوا للجرأة على الله يرمون الأطفال في الهواء ثمّ يلتقفونهم بالسيوف..."[5]، نقل لنا هذه الحادثة مصدر شيعي وفي ظل غياب مصدر إباضي نكاري ؛ لذا نستشهد بهذه الحادثة بتحفظ.

ب-3- العنف ضد الرجل:

[1] - الونشرسي، المصدر السابق، ج4، المصدر السابق، ص12.

[2] - الونشرسي، المصدر السابق، ج4، ص ص22-23.

[3]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص162.

[4] - نفسه، ص ص165-166.

[5] - القرشي، تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص277

مع أن المجتمع المغربي مجتمع ذكوري إلا أن هناك رجالاً تعرضوا للعنف، خاصة من قبل زوجاتهم، فقد ابتلي الشيخ أبو إسحاق بزوجة سوء وكانت تضربه، وابتلي الشيخ سدرات بن حسن البغطوري (ت313هـ/926م) بامرأة سوء كانت تؤذيه وأسرفت في ذلك فبلغه الضرر مع الكبر؛ فيقول الشماخي في ما وقع: "...فقد كانت تهتم به ابنة أخيه من الرضاعة جانا التنزغتي، وإذا أرادت أن تطعمه أوردت أنها تفلى قملة، فيجعل رأسه بين ركبتيها، ففطنت زوجته بعد زمان فلما ظنت أنه يأكل أخذته من رجله فرمت به تحت الدكان ..." [1].

يمكن القول في الأخير، قد تعرضت مختلف شرائح المجتمع المغربي للعنف سواء المرأة أو الطفل أو الرجل لكن بنسب متفاوتة.

2-السجن والسجناء:

بعد دراسة في العنف الموجه إلى الإنسان وجسده وشرفه في الدولة الفاطمية نهتم الآن بالعقوبات التي تشمل الحرمان من الحرية المتمثل في السجن[2]، وينجر عنه ألم وعناء وخدوش نفسية. و يبقى أكبر شاهد على حضور العنف، ومهما اختلفت فترات ممارسته وأماكنه، فإنه يظل منبوذا لعدم توافقه مع إنسانية الإنسان. وإن حاولت بعض الأدبيات

---

[1]- أحمد سعيد بن عبد الواحد الشماخي(ت865هـ/1461)، **كتاب السير**، ج1، تح: أحمد بم سعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، ط2، سلطة عمان، 1412هـ/1992م، ص ص211-212.

[2] - **السجن:** جاء في لسان العرب" رجل سجين-مسجون- وكذلك الأنثى بغير الهاء والجميع سجناء وسجن قال ابن عرفة:" سجين هو فعل من سجنت أي: هو محبوس عليهم كي يّجازوا بما فيه"، وقد وردا إشارات في القران الكريم؛ ففي سورة يوسف في قوله تعالى:" يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار". سورة يوسف الأية 33. يعد السجن قديماً نسبياً وقد ورد الكلام عليه في الكثير من التداولات التاريخية نظرا لموقعه من الحياة العامّة للفرد والمجتمع، فهو أقل حداثة مما يقال عندما يجعل منشأه مع القوانين الجديدة، إن شكل السجن بموجب القوانين الجزائية فقد شكل خارج الجهاز القضائي. للمزيد ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج13، المصدر السابق، ص103. ميشال فوكوا، المرجع السابق، ص235. إبراهيم الحوت، **تاريخ السجون وأوضاع السجين في الإسلام بين الرحمة والحقوق الخاصّة**، مجلة المقاصد، (د،ع)، (د، ت)، ص231.

والتأويلات تسويغه وشرعنته[1]، وقد شكل- خاصة في الاختلاف السياسي- أحد مظاهر مصادرة حرية الإنسان المغربي؛ فالسجن يظل السجن حتى لو كانت قضبانه من ذهب، لأنه سالب لقيمة الحرية ذلك المشترك الذي يجتمع عليه وتنتزع إليه فطرتهم، والبحث في تاريخ السجن والسجناء بالمغرب الإسلامي هو البحث في تاريخ التهميش والمهمشين. فالسجين في منظور السجان والمجتمع خارج عن الضوابط المتعارف عليها، وكان فضاء السجن يبعث على التقزز ويوحي بالظلمة حتى أنه كثيرا ما تأتي صفة" الغياهب" ملازمة للسجون. وهناك دلالة أن بعضهم يستكف من السكن بالقرب من سجن المدينة و يتقزز منه، أو قد يغير طريق سيره عن اتجاه السجن. وينعكس مثل هذا "الموقف" على حضور مادة السجن والسجناء بالمصادر الإخبارية، فالأمر عبارة عن مجرد شذرات وردت - في الغالب- في المصادر الإخبارية بصفة شاردة، وعلى هامش تخليد مناقب هذا الأمير أو ذاك[2].

سنحاول رصد وضعية السجن والسجناء في المغرب الإسلامي، خلال العهد الفاطمي باعتباره فضاء مصادر للحرية؛ وقد مُورس فيه العنف سواء عنف مُشرع تأديبي ردعي أو عنف غير مُشرع.

أ- أهم السجون في الدولة الفاطمية:

تنوعت وتعددت السجون الموزعة في مختلف جهات الدولة الفاطمية، بعضها قديم يرجع إلى الموروث الأغلبي، والبعض الأخر مستحدث من قبل السلطة:

[1]- مصطفى نشاط، السجن والسجناء نماذج من تاريخ المغرب الوسيط، المجلس الوطني لحقوق الإنسان، ط1، المملكة المغربية، 2012، ص9 .

[2] -Nejmeddine Hentati, **La prison en occident musulman médiéval**, Arabica, Tome54,n2,2007, pp 149-188.

أ-1-سجن دار البحر:

بناه الخليفة عبيد الله المهدي في جملة ما بناه بعاصمته الجديدة بالمهدية؛ ليتّسع لآلاف المساجين وقد مُنع من الدخول لدار البحر والسكن أو العمل بجوارها[1]، وكان هذا الحبس تُمارس فيه مختلف ألوان التعذيب على نُزلائه، خاصة منهم أولئك المتّهمين بقضايا خطيرة تأتي في مقدمتها الطعن في إمامة الفاطميين، فقد مات أبو إسحاق إبراهيم بن محمد القصري المؤدب الزاهد في السجن بدار البحر من أجل كلمة حق في دين الله قالها، وذلك عام (334هـ/945م)[2]، وقد ذكر بعض أهل العلم أنّ رجلا من أهل سوسة نقم عليه المهدي في أمر بلغه عنه من البغضة لهم والنكير عليهم، فرفعوه من سوسة إلى مدينة المهدية وسجنوه في دار البحر[3]، نستنتج من هذا أن سجن دار البحر هو سجن وطني يُنقل له من الأقاليم الأخرى، خاصة السجناء السياسيين والذين يهددون أمن الدولة.

وقد جاء في رياض النفوس عن القابسي عن شيوخه: "أن الذين ماتوا في دار البحر بالمهدية من حين دخل عبيد الله إلى الآن أربعة ألاف رجل في العذاب؛ ما بين عالم وعابد ورجل صالح، لذلك يقول سهل الورّاق:

وأجل دار البحر في أغلاله من كان ذا تقوى وذا صلوات[4].

والإشارة الوحيدة التي حصلنا عليها بخصوص التراتيب السجنيّة في "دار البحر" هي ما استقيناها من حكاية أحمد بن نصر لأصحابه عن أيام حبسه فيها، إذ ذكر أنّه كان لا يخرج من بيت الدم إلاّ مرّة واحدة كلّ جمعة من أجل تفقد قيده، ثمّ عفي عنه فوقع نقله من جناح

---

[1] – جوذري، المصدر السابق، ص137.

[2] – الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص40.

[3] – المالكي، المصدر السابق، ج2، ص127.

[4] – المالكي، المصدر السابق، ج2، ص ص345-346. الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص34.

المجرمين الخطيرين إلى جناح خاص بعامة المسجونين، نستنتج –هنا– أن دار البحر مقسمة إلى جناحين: الجناح الأول: ويُعرف بـ "بيت الدم" وينزل فيه السُّراق و"أصحاب الدم" وهُم المتّهمون في جرائم الكبيرة، والجناح الثاني: هو البيت الذي يسجن فيه جميع الناس[1].

أ–2– سجن نصر:

لا نعلم موقع هذا السجن، لكن نرجّح أن يكون بالمنصورية، لأن صاحب المحرس كان يحمل كلّ متّهم من مدينة إقامته إلى الإمام المعز لدين الله في دار إمامته وهي المنصورية، فقد جاء في رياض النفوس للمالكي: "أن الشيخ أبا بكر الهواري (ت347هـ/958م) عندما بعث في طلبه من قبل المعلم نصر[2] فقد أدخلوه سجن نصر، وأتوا به إلى غرفة في عتبتها حبل معلّق، فقالوا: يا مؤدب اطلع هنا، فقلت في نفسي: إنما أرادوا منّي أن أتعلّق بالحبل فينقطع بي فأسقط على الأرض...فصرت في الغرفة فلمّا أن جلستُ دخل عليّ نصر وأعوانه ومعه قفة فيها الأنكال والأغلال، فقال مدّ رجليك يا مؤدب فقلت: لماذا؟ فقال: أُمرنا بتقييدك....."[3].

أ–3– سجن الزيادية:

إن القاضي النعمان كان يأمر في المخالفات الصغيرة بسجن المُذنب في حبس "الزيادية"، وهو بموضع في القيروان مُلاصق للمسجد الذي بناه المُقرئ محمّد بن عمر بن خيرون الأندلسي عام (255هـ/869م)، ورجّح عبد الحميد البحروني أن حبس "الزيادية" هو سجن جديد من إنشاء الفاطميين لكن حوّلوه لاحقا إلى سوق يُعرف بسوق "الحبس"، يُوجد في الموضع المجاور لفنادق ابن خيرون ومسجده الذي ابتناه في نفس

---

[1] – الدباغ، نفسه، ص6.

[2]– **المعلم نصر**: هو سجان ويبدوا أنّ مهامه تعذيب المساجين ومن فرط شهرته صار الحبس الذي يعمل فيه معروفا ب" سجن نصر" للمزيد ينظر: المالكي، المصدر السابق، ج2، ص427. الصبحي بن منصور، القضاء الفاطمي، المرجع السابق، ص185،

[3] – المالكي، المصدر السابق، ج1، ص ص 427–428.

الموضع[1]، وقد تواجد في منطقة سكنية عامرة بالسكّان، وذلك ما استنتجناه من حادثة حقد القاضي النعمان على ابن الغساني بعد أن قام بسجنه في حبس الزيادية مدة؛ فكان إذا قرأ في السجن اجتمع الناس في الأزقة خارج السجن يستمعون إلى صوته[2].

أ-4- سجن النساء:

في بلاد المغرب كان للنساء سجن خاص، تقوم عليه امرأة عارفة بأحوال النساء وما يحتجن إليه، اشتهر سجن الفلقة كسجن للنساء في العهد الفاطمي، ورغم شحّ المعطيات عن هذا السجن باستثناء أنّ اسمه "الفلقة"، فإنّ هذه الرواية قد أكدت وجود مؤسّسة سجنيّة للنساء بمدينة القيروان تحمل اسم أداة أو طريقة تأديب في البلاد الإسلامية[3].

أما الحَالات التي تم سجنهن فيه فقد نقلت لنا المصادر العديد من الحالات، فقد قام القاضي ابن أبي المنظور بسجن نائحة، وقد اشتهرت بالفسق ومخالطة السّفهاء وشهد عليها عنده بألوان من الفسق فضربها وسجنها في الفلقة[4]، ونفد الإمام المعز لدين الله للقاضي النعمان في النهي عن النّياحة على الموتى فتقدم القاضي في ذلك بالنهي والتغليظ فيه والنداء بذلك وإشهاره، مع هذا تم العثور على نساء ينحن فعاقبهن القاضي بالضرب الوجيع والنداء عليهنّ والحبس الطويل حتى أظهرن التوبة، وجاء رد الإمام على رقعة للقاضي النعمان يخبره فيها بخبر النائحات وما صنعهُ في أمرهن فأمره بإحضار الفاسقات (يعني النوائح) وضربهن وصيّهرن في الحبس إلى العقلة[5].

وقد انتقدت السلطات الفاطمية المخالفات الصريحة المتفشية عن السجون الأموية بالأندلس، فقد ذكر المعز لدين الله أن السجن عند بني أمية ليأتي إليه من أراد الزّنى،

[1] - ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص ص169-180،

[2] - المالكي، المصدر السابق، ج2، ص ص 475-477.

[3] - الصبحي بن منصور، القضاء الفاطمي، المرجع السابق، ص181.

[4] - الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص46، المالكي، المصدر السابق، ج2، ص361.

[5] - القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق، ص ص534-536.

فيدخل إلى السّجان فيختار من النساء من أراد، ولكل واحدة منهن رسم معروف فآيتهن اختار الرجل رُفع رسمها وفُجرّ بها[1]، وفي الواقع ليس هذا السبب الحقيقي بل هو نوع من الدعاية السياسية لأن ما يقف وراء مثل ذلك الإجراء هو الرغبة في تسكين الناس والقطع مع سلوك الغلظة وسياسة التعذيب، اللتين كان يسلكهما سجانو الدولة الفاطمية إزاء المساجين، خاصة المُتّهمين في قضايا متعلقة بمخافة مبادئ المذهب الرسمي للنظام.

أ-5- السجون الخاصة:

كانت للخلفاء سجناء خاصة كما كان لكل قاضٍ سجنه ولكلّ والٍ سجنه، فقد أشار ابن عذاري المراكشي عزل عبيد الله عن عمالة القيروان نسيماً فتاه وضمه إلى المهدية، وحبس عند جوذر الفتى و قبض على أمواله وذلك في عام (314هـ/926م)[2].

ب- حالة السجناء في الدولة الفاطمية:

اِختلفت أسباب وطرق تعذيب السجناء في الدولة الفاطمية، فمنذ دخولهم للمنطقة ازدادت وسائل التعذيب استفحالا، فشاع القتل والضرب وخلع الأسنان وسهل العين وبتر البطون، ففي قضايا قذف رموز الدولة فقد ذكر المالكي: "...ذكر أبو عبد الله بن خراسان أن أبا عبد الله السدري لمّا وصلوا به إلى المهدية، وعند دخوله على عبيد الله أخبره البغدادي أن أمير المؤمنين عبيد الله كثير العفو، فقال له السدري: أتكذب عليه في وجهه؟ فقال له: عبيد الله: كيف كذب يا شيخ؟ قال سماك بأمير المؤمنين ولو كنت أمير المؤمنين ما أمرت بسبّ السّلف وأظهرت الخمر و القبالات والمراصد؛ قال عبيد الله: احبسوه ثمّ أمر بضرب عنقه ثم صلبوه... وقيل أنه لمّا أخرج من السجن ليقتل ضربه السجّان للوجه....فضربه أسود بالرمح فقال له: فيك وفي بنيك

[1] - نفسه، ص92.

[2] - ابن عذاري، المرجع السابق، ج1، ص191.

فقتل بالرماح، ونقب السجن تلك الليلة فخرج منه ثلاثة عشر رجلا...."[1]، وحين نقمت السلطات على حسن القلانسي، وشهد عليه أنه قذف السلطان، حبس بعض يوم وفرضت عليه غرامة خمسون دينار.[2]

وفي القضايا الدينية والأخلاقية أمر عبيد الله عام (309هـ/921م) بحبس نحو مائتي رجلٍ أظهروا التشريق (تحليل المحرمات) بالقيروان وباجة وتونس، وجاهروا بتحليل المحرم، وأكلوا لحم الخنزير وشربوا الخمر في رمضان جهارا، وعلم بذلك الخاص والعام حتى عُير بهم أبو القائم بالله أيام كونه بالفيوم بمصر، وكثر حديث الناس في ذلك فكتب عبيد الله إلى عماله بهذه المواضع بأن يرفعوهم إليه مقيدين ثم حبسوا إلى أن مات أكثرهم بالسجن[3].

ولسنا ندري شيئاً عن فضاء اعتقال الخلفاء الفاطميين لكبار مسئوليهم، في حالة التحقيق معهم في بعض القضايا، باستثناء تلك الإشارة المتعلّقة بحبس نسيم الفتى عامل القيروان في عام (314هـ/926م). وذلك بعد عزله ومصادرة أمواله لدى جوذر بالمهدية[4]، والإشارة الثانية إلى حبس القائد العسكري حُباسة و جميع أهله قبل قتلهم.[5]

---

[1] – المالكي، المصدر السابق، ج2، ص ص 173–174.

[2] – نفسه، ص264.

[3] – من أشهرهم أحمد البلوطُ النحاس بالرقيق، كان يصلي إلى أيام كون عبيد الله وهي منه في المغرب، فلما انتقل عبيد الله إلى المهدية وهي منه في المشرق صلى إليها وكان يقول:" لست ممن يعبد من لا يُرى ". وكان يتصدى لعبيد الله ويقول لهُ:" أرق إلى السماء لم تُقيم في الأرض وتمشي في الأسواق". وكان يقول لأهل القيروان في عبيد الله:" انه يعلم سركم ونجواكم"، فتقرب إليه رجل يوما وهو يقول ذلك؛ فأخذ أذنه ونطق فيها:" عبيد الله الذي تقول زان وابن زانية فإن كان يعلم ما قلت فليتنصر"، فصاح صيحة عظيمة، وقال:" يا مسكين إنه حليم لا يعجل" . ومنهم إبراهيم بن غازي وكان يأكل في شهر رمضان جهارا وارتكب الكبائر، وكان في أيام بني الأغلب من المتزهدين المرابطين بقصر الطوب المجاور لسوسة وقد كان أهل سوسة أرادوا تقديمه لصلاة الجماعة. للمزيد ينظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص185.

[4] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص191. الصبحي بن منصور، القضاء الفاطمي، المرجع السابق، ص191.

[5] – نفسه، ص172،

أماعن حالة السجون –دائما– فقد ذُكر عن أبي الأربسي أنه لقيه رجل وهو طالع إلى السجن مع المساء وعلى عاتقه الكساء وبيده طعام، فقال له: ما تُريد في هذه الساعة في السجن؟ فقال: حُبس صديقا لي اليوم أريد أن أبيت معه الليلة أونسه بنفسي[1]، وهذا دليل أن هناك سجوناً يكون فيها الحق للسجين أن يدخل معه أصدقاؤه وأقرباؤه ليؤنسوا وحشته.

مثل السجن –إذن– في المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي فضاء لقمع الحرية وتعدِ على الحياة، بما ينجر عنه من ألم وعناء وخدوش نفسية. ويبقى أكبر شاهد على حضور العنف، ومهما اختلفت فترات ممارسته وأماكنه، فإنه يظل منبوذا لعدم توافقه مع إنسانية الإنسان.

3– حالة الطوارئ ومنع التجوال ليلا:

اتخذت الدولة الفاطمية حالة الطوارئ ومنع التجوال ليلاً في بلاد المغرب، تخوفاً من أي انقلاب أمني بسبب سياسة التنكيل والاعتقال والقتل التي كانت تنتهجها اتجاه معارضيها، وكانت تفرض حالة الطوارئ وحضر التجوال ليلاً بعد صلاة العشاء إلى الصبح، ويتم قتل كل من اخترق ذلك[2]، فقد قال أبو سعيد خلف القلال خادم الشيخ أبي إسحاق السبائي[3] في ما نقله المالكي: "كنت ليلة عند الشيخ فجعل يحدثني، وتلذذت بحديثه حتى أذن المؤذن في الجامع للعشاء الآخرة وانقطع مشي الناس من الأزقة، وضُرب البُوق،

---

[1] – المالكي، المصدر السابق، ج2، ص ص208–209.

[2] – عبد الحفيظ حيمي، نظام الشرطة، المرجع السابق، ص108.

[3] – **أبي إسحاق السبائي:** هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد السبائي المتعبد من مواليد عام 270هـ/883م، كان مشهوراً بالعبادة، لا يدانيه أحد في ذلك من أهل وقته، شديد الغلظة على أهل البدع، كثير التنبيه على أحوالهم، وزندقتهم، توفي يوم الثلاثاء لثمان بقين من رجب 356هـ/967م، صلّى عليه أبو الحسن الدباغ، ومنهم من يقول صلّى عليه عبد الله بن هاشم. للمزيد ينظر: المالكي، المصدر السابق، ج2، ص ص469–470.

وكرهت أن أقطع عليه الحديث، وكان البوق إذا ضرب فمشى أحد بعد ضربه ضربوا عنقه، لأنه لا يمشي حينئذٍ إلاّ من يسرق أو يخرج لضرب الفساد"[1] – كما أشرنا لهذا سابقاً–.

وفي النص عدة إشارات تبرز الحالة الأمنية التي كانت تعيشها البلاد على عهد الفاطميين، من خلال التكثيف من وجود العسس ليلا في جميع أنحاء المدينة و أرباضها. فيقول"....فخرجت من داره فمررتُ برحبة ابن أبي داود، فإذا رابطة عساسة وكلاب، فما كلّمني أحد بكلمة ولا نبح عليّ كلب، ثم تماديتُ إلى ناحية سوق ابن هشام وعنده رصد وكلاب فما كلّمني منهم أحد، فلما وصلتُ إلى بئر أم عياض وجدت أيضاً عندها مثل ذلك، فتماديتُ حتى انتهيتُ الدرب، فدخلني الهمّ والفزع..."[2].

إضافة إلى ذلك بأن المدن كانت محصنة يوجد بها أبواب توصد ليلا يسهر على إحكام إغلاقها العسس، كما كانت توجد أبواب للدروب في الأحياء يشرف على إغلاقها ساكنيها[3]، قال عبد الله بن سعد اللجام[4] فيما نقله المالكي: "واعدت أبا سليمان (ربيع القطان)[5] على كتاب يقابله معي، فقال لي: نأتي إليك الليلة نقابله معك، فانتظرته إلى أن اختلط الظلام، فرددت أبواب الدرب مخافة العسس، ووقفت خلف الباب أنتظره طويلاً وأنا قلق من أمره وخائف عليه لأن الرّجل قد انقطعت وغلق الناس أبوابهم..."[6].

---

[1] – المالكي، المصدر السابق، ج2، ص487.

[2] – المالكي، المصدر السابق، ج2، ص488.

[3] – عبد الحفيظ حيمي، نظام الشرطة، المرجع السابق، ص109.

[4]– **عبد الله بن سعد اللجام:** من الفقهاء المالكية بالمغرب، كان صالحاً من طلبة العلم وحسن التقييد والنقل، سمع من جماعة من العلماء، كان مرافقاً لربيع القطان لا يكاد يفارقه، توفي عام 331ھ/943م. للمزيد ينظر: المالكي، المصدر السابق، ج2، ص332.

[5] – **ربيع القطان:** هو ربيع أبو سليمان بن سليمان بن عطاء الله القرشي النوفلي من الفقهاء المالكية كان حافظاً لكتاب الله عزّ وجلّ، قارئاً له بالروايات عالماً بتفسيره ومعانيه، حافظاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عالماً بمعانيه وعلله وغريبه وأسماء رجاله وكناهم وقويهم من ضعيفهم، استشهد مقتولا بالوادي المالح يوم الاثنين من صفر 334ھ/946م عن عمر يناهز 46سنة. للمزيد ينظر: المالكي، المصدر السابق، ج2، ص ص323–324.

[6] – نفسه، ص332.

ثانيا: نتائج العنف

كان للعنف في المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي، العديد من النتائج نذكر منها:

1-الهجرة وتهجير القسري:

الهجرة القسرية أو التهجير القسري أو الإخلاء القسري أو الاجتثاث، وهي عبارة عن هجرة أو نقل لمجموعة من السكان المدنيين من موطن الإقامة المعتاد إلى آخر دون إرادتهم، بسبب عوامل متعددة كالحروب والاضطهاد السياسي والكوارث الطبيعية، كما تعني أيضاً الممارسة التي تنفذها حكومات أو قوى شبه عسكرية أو مجموعات عرقية أو دينية أو مذهبية بهدف إخلاء أراضي معينة وإحلال مجاميع سكانية أخرى بدلا منها؛ وهي عادة ما تتضمن العُنف والقسر وكذا التطهير العرقي أحياناً، فإلى جانب عنصر الزمان والمكان اللذين يصعب الاكتفاء بهما في تعريف الهجرة، توجد عناصر أخرى ذاتية واجتماعية وثقافية؛ ترتبط بإحساس الفرد نفسه ونظرته إلى عملية الانتقال والهدف منها[1].

سنحاول تقديم صورة على الهجرة و التهجير القسري في المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي:

أ- الهجرة القسرية:

فقد أدى هذا الوضع السياسي والاجتماعي المتأزم للمغرب، تحت حكم الدولة الفاطمية، إلى بروز ظاهرة التهجير القسري الخطيرة في المجتمع، تتمثل في الهجرة أو تهجير المغاربة سواء إلى المناطق القريبة الآمنة أو إلى العالم الخارجي. وأخذت

---

[1]- محمد شاعة، "**الهجرة القسرية: إطار نظري لتحليل الأسباب و التداعيات**"، مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية، ع13، جويلية 2017، ص317. مركز هردو لدعم التعبير الرقمي، **المبادئ التوجيهية والمحظورات في حالات التشريد الداخلي أهالي سيناء نموذجاً**، (د، د، ن)، مصر، 2018، ص8.

هذه الظاهرة في الاستفحال والتوسع كلما تضاعفت الحملات العسكرية الفاطمية، التي كانت توجه لإخماد الثورات الداخلية المناهضة لحكمهم [1].

أ-1- الهجرة للأندلس:

تميزت الهجرة البربرية إلى العدوة الأندلسية خلال القرن الرابع هجري/ العاشر ميلادي بالاستمرار والكثافة مقارنة بالقرن السابق، ومن خلال تتبع الهجرات يمكننا التعرف على الأسباب التي دفعت المغاربة إلى مغادرة بلادهم وبأعداد كبيرة؛ بعض الأسباب الدينية المتمثلة في الدين الواحد والجغرافية المتمثلة في القرب الجغرافي، لكن هناك سببين رئيسين ميزا هذه الفترة وأدّيا إلى كثافة الهجرة القسرية هما:

- بعد قيام الدولة الفاطمية في إفريقية عام (297هـ/910م)، سعى حكامها إلى فرض هيمنتهم على بلاد المغرب كلها، ومن أجل تحقيق ذلك جرّدوا حملات عسكرية قادها مصالة بن حبوس المكناسي ثم جوهر الصقلي من بعده، ونظرا لقوة الجيش العبيدي أجفلت القبائل البربرية الموالية للأمويين في الأندلس أو الرافضة للوجود الفاطمي ببلاد المغرب أمامه، واضطر كثير من هذه القبائل إلى الهجرة و الاستقرار بالعدوة الأندلسية طلباً للأمن [2].
- وقد كان التنافس والصراع بين الإمبراطوريتين مصحوبا بالتناحر بين الرعاة الزناتيين الرُّحل وبين المزارعين الصنهاجيين الحضريّين، وكان لهذه الفتن والاضطرابات، التي عرفها المغرب خلال القرن الرابع

[1] – رفيق بوراس، المرجع السابق، ص117.

[2] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص189. عبد القادر بوباية، **البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري 92-433هـ/711-1031م**، دار الكتب العلمية، (د، ط)، (د، د، ن)، (د، ت، ن)، ص82.

هجري/العاشر ميلادي واشتدادها أكثر في نصفه الثاني، دورٌ في تنشيط وتفعيل حركة الهجرة نحو الأندلس[1].

أما عن أهم الهجرات القسرية للأندلس فنذكر هجرة قوم يعرفون بـ" بني صالح"؛ وذلك إثر حملة مصالة بن حبُوس قائد المهدي على مدينة نكور وقتل رئيسهم سعيد بن صالح، وانتهب مصالة بن حبوس مدينة نكور وسبي النساء والذرية، وكتب إلى المهدي بالفتح؛ وبعث إليه برأس سعيد بن صالح ورؤوس أصحابه، فطوّفت بالقيروان، لهذا خرجوا" بني صالح" فارين بأنفسهم إلى الأندلس فنزلوا بمرسى" مالقة". وعهد إليهم الخليفة الأموي الناصر عبد الرحمن (300-350هـ/912-961م) باستقبالهم، وبعث إليهم بضروب الكسوة وكلّ ما احتاجوا إليه من المرافق، وخيروا بين القدوم إلى العاصمة أو المقام في ذلك المكان[2].

ونظرا –دائما– للصراع الفاطمي الأموي من جهة والصراع القبلي من جهة أخرى ببلاد المغرب؛ اضطر الكثير من أفراد القبائل الموالية للأمويين في الأندلس، والرافضة للوجود الفاطمي ببلاد المغرب إلى الهجرة والاستقرار بالعدوة الأندلسية طلباً للأمن، ومن ذلك هجرة الكتاميين بقيادة حميد بن يصلتين عقب انتفاضته على الفاطميين، وتخوفه من انتقامهم منه، وذلك عام (343هـ/954م). وهجرة بني برزل مع زعيمهم جعفر بن علي بن حمدون خوفاً من الفاطميين عام (360هـ/971م)[3].

أ-2- الهجرة لغير الأندلس:

هاجر الكثير من أهالي "المهدية" إلى مناطق بعيدة مثل جزيرة صقلية ومصر وبلاد الروم، بعد أن أنهكهم طول الحصار الذي فرض عليهم من طرف جيش أبي يزيد مخلد بن كيداد الزناتي، والتمسوا عجز الفاطميين لهم أمام آلة القتل

[1] – ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص71.محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص254.

[2] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص175.

[3] – عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص82.

والتنكيل التي استهدفتهم[1]، فقد ذكر ابن الأثير في هذا: "...عظم البلاد على الرعية حتى أكلوا الدواب والميتة، وخرج من المهدية أكثر السواقة والتجار، ولم يبق بها سوى الجند فكان البربر يأخذون من خرج ويقتلونهم ويشقون بطونهم طلبًا للذهب..."[2]، أما المقريزي فقال: ".. ثم زحفت عساكر القائم بالله فخرج من خندقه واشتد بينهم القتال، ثم عادوا إلى القتال فانهزم عسكر القائم وعاد الحصار على ما كان عليه، وهرب كثير من أهل المهدية إلى جزيرة صقلية وطرابلس ومصر وبلد الروم..."[3].

ب- التهجير القسري:

كانت السلطة الفاطمية تتدخل –أحياناً– لتهجير بعض القبائل من مضاربها منها لأسباب أمنية؛ إذ ترى في تلك القبائل خطر يهدد استقرارها، وقد يكون تهجير بعض السكان لأسباب عمرانية:

ب-1- تهجير قبيلة" بني كملان":

في عام (315هـ/927م) قام محمد بن خرز الزناتي بالظفر بعسكر من كتامة فقتل منهم أعدادًا كبيرة، فعظم ذلك على المهدي فسير ولده القائم بأمر الله؛ فلما خرج تفرقت زناتة وسار حتى وصل إلى ما وراء تاهرت، فلما عاد من سفرته هذه خط برمحه في الأرض مدينة وسماها المحمدية "المسيلة"[4]، وكانت هذه الأرض التي بنيت عليها على أرض قبيلة بني كملان إحدى فروع قبيلة هوارة التي تدين بالمذهب الخارجي الاباضي النكاري، وقام بنقل بني كملان إلى القيروان لكي

[1] - بوراس، المرجع السابق، ص117.
[2] - ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص429.
[3] - المقريزي، اتعاظ الحُنفا، ج1، المصدر السابق، ص ص 79-80.
[4] - ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص180.

تسهل مراقبتهم. وهكذا أفرغ المهدي الأرض من سكانها وأعطى حكم هذه القاعدة إلى أبي عبد الله الأندلسي أحد كبار الدعاة الأوائل في بلاد المغرب[1].

ب-2- الهجرة القسرية: تهجير كتامة:

إذا كان -في البداية- حراك كتامة طوعيّاً مرتبطاً بالانتصار العسكري والسلطة والسيادة والنفوذ، فقد شهد العهد الفاطمي حرَاكاً كتامياً من نوع آخر؛ حيث تعرضوا في عهد المنصور الفاطمي إلى التهجير القسري، إذ فرض عليهم -عقب الانتصار على صاحب الحمار عام (335-336هـ/946-947م)- انتقال أربعة عشر ألف بيت؛ ليعمر بهم مدينته الجديدة صبرة "المنصورية"، ويبدو أن القبائل التي كانت معنية بالترحيل هي الواقعة في عمق "بلاد كتامة"[2]، ولإصرار المنصور على تنفيذ هذا القرار، فقد بقي بمدينة سطيف شهرا كاملا ينتظر إتمام تجهيزات رحيل هذا العدد الضخم. فقد نقل لنا القرشي ذلك بقوله: "... فانتهى رابع ذلك اليوم يوم الأحد21 نوفمبر إلى مدينة سطيف فأقام بها ثلاثين يوماً... وفرض على كتامة أربعة عشرَ ألف بيت يوافون المنصورية فيسكنون فيها، وأقام هذه المدّة لانتظارهم..."[3]. ووافته القبائل المعنية إلى مدينة ميلة بعد تسعة أيام من خروجه. فيقول القرشي في ذلك: "ورحل أمير المؤمنين من مدينة سطيف يوم الأربعاء لستّ خلون من جمادي الأخرى (18ديسمبر)، فانتهى إلى مدينة ميلة عشيّة الجمعة وأقام بها تسعة أيّام، وفيها وافته حشود كتامة وعيالهم، فأنفذهم إلى إفريقيّة مع عبيده وأوليائه..."[4].

[1] - بوبة مجاني، دراسات إسماعيلية، المرجع السابق، ص162.

[2]2- حسين بوبيدي، **الحراك القبلي الكتامي من ق:3-5هـ/9-11م**، مشاركة في الملتقى الوطني:" الهجرة والمهاجرون في العصور الإسلامية"، بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة 8 ماي قالمة، يوم 23 أفريل2018، ص11.

[3] - القرشي، تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص467.

[4] - نفسه، ص468.

ويبدو -لأول وهلة- أن اختيار المنصور قبائل كتامة لتسكن معه في عاصمته الجديدة، دلالة على الثقة وإعادة الاعتبار، لكن ضخامة الرقم دليل على أنها عملية تهجير متعمدة[1]، وقد رجحت الباحثة "بوبة مجاني" أن الإمام المنصور بالله كان يرى أن كتامة هي السبب في ثورة صاحب الحمار، لأنها لم تمثل لأوامر الخليفة القائم ونواهيه، لذا نرجح أن تهجيره لهم راجع لأسباب عمرانية وأمنية في نفس الوقت[2].

2- العنف من خلال الانتفاضات والثورات:

عرف المغرب العديد من الانتفاضات و الثورات بسبب سياسة الدولة الفاطمية، نذكر منها:

أ- انتفاضة أهل القيروان199هـ/912م:

بعد اغتيال أبي عبد الله الصنعاني اتضحت أطماع البربر الكتاميين، وعبروا عن أطماعهم، وطلبوا من المهدي أن يتركهم يعيثون فسادا في مدينة القيروان، إلا أن الخليفة الفاطمي كان مترددا بعض الشيء، ولم يكن حازما في نفس الوقت عند حدوث تجاوزات البربر واعتدائهم، هذا التردد مرده خشيته من رد فعل سكان افريقية، والنتائج الوخيمة التي يمكن أن تنجر عنها، وخاصة في ظل دولة فتية، ولا تزال تعاني -نسبيا- من مخلفات عملية الصنعاني وأخيه؛ لذلك جوابه عن مثل اعتداءات البربر وطلبهم المساندة لم يكن قطعيّاً[3].

ومن هنا بدأ الكتاميون من الجند يتطاولون على سكان القيروان، وخاصة على التجار بالأسواق و الدكاكين؛ وفي هذا يقول ابن عذاري : "كانت وقعة كتامة بالقيروان يوم الثلاثاء

---

[1]- حسين بوبيدي، الحراك القبلي، المرجع السابق، ص13

[2] - بوبة المجاني، دراسات إسماعيلية، المصدر السابق، ص163.

[33] - المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، المصدر السابق، ص68. ابن الأثير، ج8، المصدر السابق، ص69. توفيق سعود، المرجع السابق، ص434-435.

لعشر بقين من شعبان، فقتل منهم في الأزقة والأسواق أكثر من ألف رجل... فقاموا عليهم في بعض الأيّام بسبب استطالة رجل من جند كتامة على رجل من تجار أهل القيروان، فلما دافعوه عنه، شهروا عليهم السلاح، وأرادوا نهب الحوانيت فصاح أهل الأسواق: "النفير، النفير" فقتل من كتامة أكثر من ألف رجل، وركب أحمد بن أبي خنزير صاحب مدينة القيروان، فسكّن الناس وأمر بتغييب القتلى فطرحوا في المراحيض..."[1].

في النص السابق لابن عذاري، في تعبيره عن الذين سارعوا لنجدة التاجر القيرواني، هناك إيحاء بأن الطبقة العامة هي التي ساندت هذا التاجر القيرواني[2]، وقد أكد ذلك القاضي النعمان عندما استعمل لفظ" الغوغاء" للتعبير عن هؤلاء، وهو يعني أساسا طبقة العامة؛ فيقول في ذلك:"... ثمّ شجر أيضا بين بعض أهل القيروان وبعض الكُتاميّين شرٌّ بها، فقاموا على من كان بداخلها فقتلوا منهم في ساعة واحدة زُهاء سبعمائة رجل، فاتصل الخبر في ذلك الوقت بالمهدي، فقال: ألهم عقد أو رئيس في هذا الأمر؟ قيل: لا. وإنّما فعل ذلك الغوغاء"[3].

ب- ثورة مخلد بن كيداد 331-336هـ/943-947 م:

اندلعت ثورة صاحب الحمار (331هـ/943م) لتعبر عن غضب شريحة اجتماعية كانت مهضومة الحقوق، فقد حملت هموم الطبقة العامة، كما عبرت عن رفض المنطقة الإباضية الخضوع لسلطة عبيدية شيعية، بل بعد ذلك عملت على تغيير المشهد السياسي بمحاولة القضاء على السلطة الفاطمية بعد، وتعويضها بسلطة خارجية إباضية نكارية[4].

---

[1] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص166.

[2] – توفيق سعود، المرجع السابق، ص435

[3] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص322.

[4] – ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص420. توفيق مسعود، المرجع السابق، ص ص 450-451.

لقد تعددت المسؤولية في قيام الثورة هل هي الإدارة الفاطمية، كما جاء في محاورة الخليفة لصاحب الحمار الذي بدأ ثورته للاحتساب على جباة الأموال[1]، أما الحليفة القائم فإنه حمل أسباب الثورة إلى رجال كتامة لتعديهم على أوامره، فقد ذكر القاضي النعمان في المجالس والمسايرات: "...ولقد سمعت القائم بأمر الله (صلع) يقول لرجاله من كتامة أيّام الفتنة: والله ما أعلم لي ذنبا يوجب قيام هؤلاء عليّ ولا ما نصبوّه لي من الحرب، والله ما نقموا عليّ إلاّ ما نقموا على بعضكم ممّن تعدّى أمري وارتكب نهيي بما أنا أولى بالنظر فيه منهم وأرادوا منّي إسلام مُحسنكم و مُسيئكم إليهم وتحكيمهم فيك. ولو وجدوا ذلك عندي- ومعاذ الله أن يجدوه- لكانوا أطوع الناس لي، وإنّ أكثر ما نقموا عليكم لفيه رضاهُ الله عنكم. وإن كان في ذلك بعض الشرّ فلن يُذهب الله خيركم بشرّكم، بل أنتم أقرب إلى عفوه عنكم وإظهاركم على عدوكم، وما هذه الفتنة إلا محنة وتمحيص..."[2].

أما كتامة فأرجعت أسبابها في البداية إلى الدعاة الذين اتخذوا من التأويل وسيلة لتبرير أعمالهم[3]، أما في تطورها فإنها أرجعتها للخليفة القائم ذاته، لأنه لم يكن حازماً في مواجهتها في بداية أمرها، و هذا ما نقله لنا القاضي النعمان في المجالس والمسايرات بقوله: "... فأذن لشيوخ الأولياء من كتامة فدخلوا عليه وسلّموا، وأمرهم بالجلوس فجلسوا بين يديه، فحدثهم مليّا وتحدثوا لديه إلى أن جرى ذكر الفتنة وتغلّب مخلد بن كيداد على إفريقية وأخذه مدينة القيروان وما دون المهديّة[4].

ولقد مرت الثورة بثلاث مراحل أساسية، الأولى هي مرحلة قوة وانتصار صاحب الحمار على الدولة الفاطمية؛ أما المرحلة الثانية فهي مرحلة التوازن حيث تقاربت

[1] – القرشي، تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص447. ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص420. بوبة مجاني، النظم الإدارية، المرجع السابق، ص285.

[2] – القاضي النعمان، المجالس و المسيارات، المصدر السابق، ص119.

[3] – بوبة مجاني، النظم الإدارية، المرجع السابق، ص286.

[4] – القاضي النعمان، المجالس و المسيارات، المصدر السابق، ص214.

وتساوت فيها الانتصارات والهزائم عند كلا الطرفين، أما المرحلة الأخيرة فهي مرحلة ضعف وانهزام أبي يزيد وتراجعه إلى أن انتهى أمره[1].

تعد ثورة أبي يزيد من بين الكوارث التي تسببت في الأزمات الاقتصادية التي أصابت المغرب في العصر الفاطمي، ويكفي دليلا على ذلك ما وصلت إليه الأوضاع من تدهور[2]، وعم التخريب المنطقة؛ وهذا ما نقله ابن حوقل عند زيارته بلاد الجريد في قوله:"...وكانت قبل سنة ثلاثين في غاية الكمال فأتى عليها أبو يزيد مخلد بن كيداد الإباضي..."[3].

ومهما تكن الجهة التي تسببت في هذه الثورة، فإن للسلطات والإدارة الفاطمية دورا في ذلك، لأنها المنفذ للسياسة المالية الجائرة، باعتراف الخليفة المنصور، لذلك عمدت الدولة إلي التخفيف من عبء هذه الضرائب، بأن أمر المنصور حاجبه جعفر بإلقاء خطبة في الناس، وعدهم فيها بأن لا يأخذ منهم الضرائب، إلا كما حددتها أحكام الشرع" العشر والصدقة" الطعام من الطعام، والشاة من الغنم، والثور من البقر، والبعير من الابل"[4]، وكذلك إلغاء جميع الضرائب على الناس لعام (335هـ/946م) المسلم منهم والذمي، حتى يعود للأرض عمارها ويعود أهل البوادي إلى بواديهم[5].

ما يمكن استنتاجه أن العامة هي التي كانت وراء هذه الانتفاضات والثورات، وبالتالي توحي برفض الإنسان المغربي للسلطة الفاطمية .

[1] – البشير غانية، المرجع السابق، ص26.

[2] – نفسه، ص62.

[3] – ابن حوقل، المصدر السابق، ص92.

[4] – القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، المصدر السابق ص380.

[5] – نفسه، ص380. بوبة مجاني، النظم الإدارية، المرجع السابق، ص286.

3-خراب العمران:

إن ذروة خراب مدن المغرب الإسلامي كان بظهور الدولة الفاطمية بالمغرب (296-355هـ/909هـ-966م)، وقد يظهر في بداية الأمر أن سبب الحروب التي أدت إلى خراب مدن المغرب -خاصة المغربي الأوسط والأدنى- ذات الطابع المذهبي، إلا أن الواقف والقارئ لما كتبه الجغرافيون، بعيداً عن الحالة الدينية وتأثيراتها يجد أنه قد صاحب هذا العامل عوامل أخرى أكثر تأثيرا وبروزا -في بعض الأحيان- كالحروب المحتدمة بين صنهاجة وزناتة، والصراع المذهبي وامتزاجه بالعصبية القبيلية. وكذلك ما تملكه كل من كتامة والفاطميين لآلات الحرب[1]، تميزت عملية التخريب في المنطقة بتعددها، وما ميز عملية الهدم اصطحاب الحرق معها، والظاهر أن سبب الحرق هو منع المدينة من العودة إليها، أو تتحول إلى ثغر للخصوم، كما يبدو لنا من خلال ما سنذكره والملاحظ أن عملية الهدم والحرق تركزت في منطقتي الزاب والمغرب الأوسط، لانتشار قبيلة زناتة خاصة فرعيها مغراوة وبني بفرن[2].

و سنحاول ذكر أهم المدن التي تم تخريبها ومظاهر التخريب فيها.

أ- خراب مدينة تيهرت:

إن الضعف الذي عرفته الدولة الرستمية قد أوجد فرصة للقوى الخارجية لوضع حدّ لها. حيث كان ذلك على يد أبي عبد الله الشيعي عام (296هـ/909م)، ومنه سقوط الحاضرة تيهرت، وقد تطرقت النصوص الإباضية إلى عمليات تخريب لعمران هذه الأخيرة ولمكتبتها عقب سقوط الدولة مباشرة، وقد تعرضت للتخريب لمرات عدّة طيلة فترة الحكم الفاطمي لبلاد المغرب[3]، وقد كان للمعارضة الزناتية للفاطميين آثار

[1] - شخوم سعدي، **ظاهرة خراب المدن بالزاب والمغرب الأوسط أسبابها ومظاهرها وآثارها**، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد17، ع28، ص516.

[2] - شخوم سعدي، المرجع السابق ص517.

[3] - أنظر الملحق: 05، ص170.

سلبية على عمران مدينة تيهرت التي تعرّضت للتخريب المتكرّر، وذلك منذ قيام الدولة الشيعية، على يد الداعي الشيعي أبي عبد الله، وحتىّ عهد المعز لدين الله[1].

ب- **خراب مدينة ورجلان:**

تعد ورجلان العاصمة الثانية لإباضية المغرب الأوسط بعد سقوط تاهرت عاصمة الدولة الرستمية؛ فمثلما كانت بلاداً للفارين من الإباضية من شتى الجهات، كانت مثار للخوف وقلق العبيديين من جهة أخرى[2].

يجمع مؤرخو الفترة، وعلى رأسهم الإباضيون، على أنّ دوسر بنت يوسف بن محمد بن أفلح بن عبد الوهاب؛ لما قتل أبوها وغدره بنو يقضان خرجت متوجهة إلى ورجلان ثم سدراته؛ وذلك خوفا من بطش الشيعي أبي عبد الله الذي دمّر تيهرت، وكان في استقبالهم عند وصولهم شيخ ورجلان أبو صالح حنون يمريان[3]، الذي عرض على أبي يوسف يعقوب أمر إحياء الإمامة الإباضية، غير أن هذا الأخير رفض بحجة انعدام القوة[4].

---

[1] - أبو زكريا، سير المصدر السابق، ص113.البشير بوقاعدة، **خراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين 296هـ/909م- 547هـ/1152م**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المشرق والمغرب الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة-الحزائر، 2012-2013، ص ص104-105.

[2]- عُمر سُليمان بُوعصانة، **معالم الحضارة الإسلامية بورجلان(196-626هـ/909-1229م)**، المعهد الوطني العالي لأصول الدين بالجزائر، 1412هـ/ 1992م، ص42. عبد العزيز شهبي، **مساجد أثرية في منطقتي الزّاب ووادي ريغ**، دراسة لنيل دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1984-1985م، ص174.

[3]- **أبو صالح حنون يمريان:** من الشخصيات البارزة التي لا يمكن تجاهلها وقد كان له الدور الفعّال في جعل و ارجلان مقصد للعلماء ولرجال الفضل والسياسة وصفه الدرجيني بقوله ذو الورع والسخاء وبركات الدّعاء الصالح، إن لم يكن مقدّما في العلوم فمقدّم في المعارف...وقد كان ملجأ العلماء والأخيار إذا التجأ إليه الإمام أبو يوسف يعقوب بن أفلح فرارا من تيهارت حينما هجم عليها الداعية الشيعي فلم يجد أحسن مكان يختبئ فيها إلاّ و ارجلان ولم يجد أبرز شخص يأوي إليه مثل الشيخ أبي صالح جنون ابن يمريان، كان له اهتمام بالمسائل الشرعية فكانت له مراسلات مع الشيخ أبي خزر بمصر، لقد تجاوزت شهرته تيهارت فتسامع بهم شائخ جزيرة جربة فأتوا ليتبركوا به فزاره كل من المشائخ: أبو صالح بكر بن قاسم، وأبو موسى عيسى بن السمح. للمزيد ينظر: عُمر سُليمان بُوعصانة، المرجع السابق، ص ص 107-108.

[4] - أبو زكريا، المصدر السابق، ص170. الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص105، البشير بوقاعدة، خراب العمران، المصدر السابق، ص124.

ويبدو أن مشروع إحياء نظام الإمامة وإيواء الفارين من البيت الرستمي اعتبرا عملين موجهين ضد الحركة الإسماعيلية، ولذلك أمر عبيد الله المهدي –بعد تحريره من سجلماسة– قوة عسكرية بالتوجه لحصار بني ورجلان وتأديبهم على إظهار العداء، وخاصة أنه لم ينس إساءة معاملتهم عندما كان في طريقه إلى سجلماسة، حيث ألقى سفهاء قصر بكر[1] التراب على وجهه، فغادرهم إلى سجلماسة بسرعة[2].

بذلك فقد كان أول عمل أقدم عليه عبيد الله المهدي، بعد تخليصه من سجن اليسع بن مدرار، هو الأمر بإرسال قوة عسكرية إلى ورجلان لحصارها وتأديبها على إيواء الفارين، والقضاء عليهم قضاء مبرما، وبالتالي تموت فكرة الإمامة الإباضية من جديد وذلك عام (297هـ/910م)؛ وما إن علم الإباضية الفارّين بأمر الحملة الشيعية المرسلة إليهم –ولاتقاء شرّها– سارعوا للاعتصام والتحصّن بجبل كريمة[3]. فضرب عليهم جنود الشيعة حصارا، حتّى يهلكوا عطشا وجوعاً. وتذكر لنا المصادر الإباضية أنّهم حينها اهتدوا إلى حيلة تنجّيهم من ذلك الحصار، وإن كان المعتصمون قد نجوا من بطش الشيعة فإنّه وبفشل الحصار لجأ جنود الحملة الفاطمية إلى تخريب المدينة، من حرق المسجد الكبير ودخلوا الديار وفتشوها وقاموا بالاستيلاء على ما بها من أموال وغنائم، وعليه فإن مدينة ورجلان قد جلبت لنفسها –بإيوائها للفاريّن– غضب الفاطميين الذين لم يتورّعوا عن أعمال شنيعة في حقّ عمران المدينة بانتهاب الأموال؛ إذ لما فشلت حملتهم صبّوا جامّ غضبهم على عمران المدينة[4].

---

[1] – **قصر بكر:** قصر من قصور ورجلان مبنية قصور متقابلة متقاربة. للمزيد ينظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص70.

[2] – أبو زكريا، المصدر السابق، ص172.

[3] – **جبل كريمة:** هي جبل أو كدية عالية تقع جنوب ورجلان وتبعد عنها بستة أميال. للمزيد ينظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص95.

[4] – الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص95، أبو زكريا، المصدر السابق، ص172. البشير بوقاعدة، خراب عمران، المصدر السابق، ص127.

ت- خراب مدينة وهران:

مدينة وهران أسسها مجموعة من الأندلسيين من رجال الدولة الأموية؛ أمثال محمد بن أبي عون (حيا 324هـ/936م) ومحمد بن عبدون (حيا 325هـ/937م)، مع بعض القبائل المغربية أمثال بني مسكن ونفزة، وقد مصرت عام (290هـ/903م)، وقد تعرضت للخراب أكثر من مرة، كانت المرة الأولى عام (297هـ/910م) وقد نقل ابن خلدون أن سبب خرابها هو الصراع بين كتامة وبني خزر واستجابة قبيلة بني مسقن لدعوة دواس بن صولات اللهيصي القائم بدعوة المهدي بن عبيد الله المهدي بتاهرت[1]، بينما ذكر البكري أن سبب الخراب والإحراق كانت دماء بين مسقن وبعض القبائل[2]، جدد بناءها دوّاس وأعاد محمد بن أبي عون إلى ولايتها، فعادت أحسن ما كانت، وخربت مرة ثانية على يد يعلي بن محمد صالح اليفريني عام (343هـ/955م) بعد أن نقل أهلها إلى إفكان (إيفقان) [3].

ث- خراب مدينة إمارة إفكان:

أما عن سبب تخريب مدينة إمارة إفكان[4]؛ تذكر مصادر المرحلة بعد تمرد حكّام مدن المغربين عن سلطة الفاطمية وإعلان وولائهم للأمويين بالأندلس، من بينها، يعلي بن محمد اليفرني عامل تاهرت وإفكان، وقتئذ سيّر المعز لدين الله الشيعي قائده جوهر الصقلي في حملة إلى المغرب الأوسط والأقصى عام (347هـ/58-959م)، لإخضاع المنطقة للسلطة الفاطمية[5]؛ فسار جوهر الصقلي في حملته وفي طريقه

---

[1] - ابن خلدون، العبر، ج6، المصدر السابق، ص191. شخوم سعدي، المرجع السابق، ص519.

[2] - البكري، المصدر السابق، ص70.

[3] - نفسه، ص71. ابن خلدون، العبر، ج6، المصدر السابق، ص191.

[44] - **مدينة إمارة إفكان:** كانت عبارة عن سوقا قديمة من أسواق زناتة وهي من بين المدن التي شيّدتها القبائل المغربية؛ أسسها يعّلي بن محمد بن صالح اليفرني وكان ابتداء تأسيسه لها عام 338هـ/949م ارتحل إليها المعسكر من أهل تاهرت وبني و اطيل ووهران ..فعمرت وتمدنت وعظمت؛ وكان على المدينة سور طوب وبها جامع وحمام وفنادق ...للمزيد ينظر: البكري، المصدر السابق، ص79.

[5] - المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، المصدر السابق، ص92. البشير بوقاعدة، خراب العمران، المرجع السابق، ص ص 139-140.

اصطحب معه جعفر بن علي صاحب المسيلة وزيري بن مناد صاحب أشير، وما إن وصلت الحملة إلى تاهرت حتىّ لقيت بها في جيش عظيم من زناتة، حيث التحمت الحرب بينهما، واشتدّ القتال وتمكن زعماء كتامة من قتله (يعلي بن محمد اليفرني) وأسر ابنه يدو بن يعلي[1]، ولم يكتف جوهر الصقلي بالفتك بيعلي، بل تتبّع الفارّين من أصحابه إلى مدينة إفكان" فدخلها بالسيف ونهبها، ونهب قصور يعلي...وأمر بهدم إفكان وإحراقها بالنّار"[2].

لم يتوقف خراب العمران في هذه المرحلة على هذه المدن، بل تعرضت مجموعة من المدن كمدينة مجانة[3] وباغاية[4] وأرشقول[5] للتخريب والحرق، سواء من قبل السلطات الفاطمية أو في إطار الصراع بين القبائل المغربية، أما عن نتائج خراب العمران فهي مختلفة كانتقال عائلات وقبائل بأكملها من منطقة إلى أخرى، وظهور مدن جديدة على حساب المدن القديمة التي تم تخريبها.

4- تحويل عاصمة الدولة من المغرب إلى المشرق:

رغم نجاح دعاة الإسماعيلية نجاحا باهرا في إقامة الدولة الفاطمية، إلا أنّ هذا النجاح لا يخلو من مخاطر عديدة كادت تعصف بهذه الدولة، فقد كانت المنطقة تشهد صراعا

---

[1] – ابن خلدون، العبر، ج4، المصدر السابق، ص59.

[2] – ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص261.

[3] – **مجانة:** مدينة ذات سور وهي كثيرة الزعفران والزرع و بها معادن حديد وفضة ومنها الحجارة المجلوبة للمطاحن بجميع المغرب، ولهم وادِ غزير الماء يزرعون عليه وأسواق صالحة، نهب في الصراع أبو عبد الله الشيعي مع الأغالبة وتعرضت لتخريب كذلك في صراع أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفريني مع الدولة الفاطميين. للمزيد ينظر: أبي القاسم بن حوقل النصبي ابن حوقل(ت367هـ/977م) ، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة،(د، ط)، لبنان، 1992، ص84. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المرجع السابق، ص208. ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص434-437.

[4] – **باغاية:** تقع ضمن منطقة الزاب ولعبت دورا مهما في حروب أبي يزيد مخلد بن كيداد ضد الدولة الفاطمية. للمزيد ينظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص ص 434-437.

[5] – **أرشقول:** كانت حاضرة عامرة في عهد بني سليمان العلويين ونتيجة الحرب بين زناتة وصنهاجة تعرضت لتخريب أكثر من مرة، تعرضت لتخريب في عام 325هـ/938م على يد بني خزر عمال الأمويين بعدوة المغرب، ثم أخلت من

مذهبيا وقبليا عنيفا، تمثلت حدّته في تلك المقاومة الشرسة التي أبداها أهل السنة وعلى رأسهم علماء المالكية للشيعة، ومعارضة القبائل المغربية وعلى رأسهم قبيلة زناتة للوجود الفاطمي في المنطقة، لذلك أدركت السلطة الفاطمية أنّ بلاد المغرب لن تحقق لهم هدفهم الرئيسي وهو أن ينفردوا بحكم العالم الإسلامي، ولن يتحقق هذا الهدف إلا بالعبور إلى المشرق، لهذا كانت هناك العديد من الحملات للسيطرة على مصر؛ وكان أخرها حملة القائد جوهر يوم (14 ربيع الأول 358هـ/4 فبراير969م) في عهد المعز لدين الله[1].

وبعد السيطرة على مصر، وقبل رحيل المعز إليها، أحكم تنظيم شؤون بلاد المغرب إداريا وسياسيا[2]، رأى أن خير وسيلة للاحتفاظ بتبعية المغرب للفاطميين، أن يعمل على إضعافه بإثارة الفتن والتنافس بين قبائله، حتى تبقى الحروب متواصلة بينها وكي لا يفكر أهل المغرب في الخروج عن طاعة الفاطميين، أخذ المعز لدين الله يفكر فيمن يخلفه في بلاد المغرب ويكفيه همّ زناتة، وكانت كتامة صادقة التشيع لكنها غير مجاورة لزناتة، وكثير من رجالها قتلوا أثناء تأسيس الدولة وتسكين الثورات[3]، وهكذا أضحت قبيلة صنهاجة البربرية هي المرشح الوحيد لإستخلاف الفاطميين في المغرب[1]، وذلك نظرا لدور زيري بن مناد في نصرة الخلافة ومكانة قبيلته وقوّتها، إلى جانب موقع أراضيها الممتاز الذي يؤهلها لأن تكون خط الدفاع الأول في صد أي هجوم قد تقوم به زناتة ضد الدولة الفاطمية، لذلك استدعى الخليفة بلكين بن زيري الصنهاجي، وقال له : "تأهب لخلافة المغرب"، فأكبر ذلك وقال: "يا

سكانها عام 338هـ/949م وأجلوا إلى الأندلس. للمزيد ينظر: البكري، المصدر السابق، ص78، ابن حوقل، المصدر السابق، ص53.

[1] – ابن حماد، المصدر السابق، ص202 بن زاوي طارق، استقلال المعز بن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية (406-454هـ/1016-1062م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1429-1430هـ/2008-2009م، ص ص 54-56.

[2] – تقي الدين أبي العبّاس المقريزي (ت849 هـ/1445م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ج2،شركة الأمل للطباعة والنشر، (د، ط)، مصر، 2002م، ص353.

[3] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، المصدر السابق، ص175. عبد الرؤوف جرار، **سقوط الدولة الفاطمية في المغرب ونبذ التشيع**، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع20، حزيران2010م، ص120.

مولانا أنت وأبناؤك الأئمة من ولد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما لكم المغرب فكيف يصفو لي وأنا صنهاجي بربري، قتلتني يا مولاي بغير سيف ولا رمح، فما زال به حتى أجاب شريطة أن يولّى المعز لدين الله القضاء والخراج لمن يراه ويختاره فأحبّ المعز ما قاله وشكره"[2].

وعند توديع بلكين للخليفة العبيدي إلى مصر، قال له المعز: "إن نسيت شيئا مما أوصيتك به فلا تنس ثلاثة أشياء: لا ترفع الجباية عن أهل البادية، ولا ترفع السيف عن البربر، ولا تولّ أحد من بني إخوتك وبني عمك، فإنّهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك، واستوص بالحضر خيرا" ولم ينس أن يوصيه بمواصلة حرب زناتة، فقال له: "اشفني في أولاد المجوس زناتة"[3]، وهكذا أسدل الستار على الدولة الفاطمية في المغرب بعد تاريخ حافل بالأحداث.

في الأخير، يمكن القول أن أشكال العنف كانت بصور مختلفة، منها الجسدية الدموية عن طريق القتل والتعذيب، وكذلك السجن والسجناء، والسياسة المتبعة ضمن نظام الدولة وحالة الطوارئ التي أعلنتها، أما النتائج فهي متعددة، وعلى جميع الأصعدة، منها الهجرة القسرية الداخلية والخارجية، والانتفاضات والحروب –هذا الرضع– أدى بالدولة الفاطمية إلى الانتقال للمشرق وجعل عاصمتها القاهرة بمصر.

---

[1] – فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص401.

[2] – المقريزي، الخطط، ج1، المصدر السابق، ص353. بن زاوي طارق، المرجع السابق، ص59.

[3] – ابن خلدون، العبر، ج6، المصدر السابق، ص317.

الخاتمة

الخاتمة

في الأخير وبعد دراسة العنف في المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي (296-362هـ/909-973م) وذلك من خلال دراسة السلطة والرعية في الدولة الفاطمية، وسياستها العسكرية والمذهبية والمالية، وكذلك دراسة مظاهر العنف وأشكاله ونتائجه على المغرب والسلطة، خلصت الدراسة إلى عدة نتائج نجملها في ما يلي:

- كانت الدولة الفاطمية دولة عسكرية بامتياز في المرحلة المغربية، ومن خلال دراستنا، يبدو أنها كانت على دراية تامة بتاريخ بلاد المغرب ووضعها القبلي، إذ ما كادت أقدامهم تطأ المنطقة حتى اعتمدت سياسة" فرق تسد"، والتي صارت تقليداً ينتهجه كل طارئ جديد على المنطقة لتفكيك وحدة المغاربة وتماسكهم وتبديد شملهم، ومحاولة خلق توازن بين قبائلهم حتى يسهل إخضاعهم، ولدعم هذه السياسة تبنى الفاطميون أسلوب" الترغيب والترهيب" لتحقيق مآربهم السياسية والمذهبية.
- إن المدرسة الفكرية الشيعية الإسماعيلية في المرحلة المغربية هي عبارة عن نتاج الجهود التي بذلت من قبل الأئمة الفاطميين، من أجل توطيد أركان الدولة بالفكر الذي كان الأساس الذي قامت عليه وروجت به.
- إن السياسة المالية للدولة الفاطمية؛ هي سياسة صارمة ومتمركزة تحت السلطة الفعلية التي يمارسها إمام مطلع وناشط ومتمرن على مهام الحكم والإدارة، وهي سياسة وضعت لتحقيق الأغراض الكبرى للدولة، وهي إخضاع العالم الإسلامي لراية الخلافة الفاطمية.
- كان المقدس (المهدوية، الإمام) في الدولة الفاطمية مُسبباً للعنف، ومثل أحد أشكاله، سواء العنف الظاهر المباشر أو العنف الرمزي الخفي، ويعتبر من محركات الفتن

والصراعات التي أدت إلى تلك الصورة الدموية التي ارتبطت في مخيلة الإنسان المغربي بالفاطميين في المغرب الإسلامي.

- كانت الدولة الفاطمية –منذ بدايتها– دولة دموية عنيفة، وهي صفة لازمتها حتى آخر أيامها في بلاد المغرب الإسلامي؛ وأن الصراع الفكري في الدولة الفاطمية ما هو إلا حلقة من حلقات مسلسل التكفير والصراع بين المذاهب والفرق الإسلامية في التاريخ الإسلامي.
- تعتبر الدولة الفاطمية رائدة في مجال الجهاز الأمني في المغرب الإسلامي بحكم سياستها المذهبية، وكثرة القلاقل والاضطرابات والفتن المعبرة عن رفض السكان للمذهب الشيعي الإسماعيلي، كما أن الظروف السياسية التي كانت تمر بها الدولة الفاطمية، ببلاد المغرب في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجريين، دفعت بحكام الدولة الفاطمية إلى تأسيس مجموعة من التنظيمات الأمنية، وذلك لمواجهة معارضيهم ولنشر مذهبهم بقوة السيف، ولقد كان من نتائج السياسة الأمنية لحكام الدولة الفاطمية تأسيس أجهزة أمنية متعددة قصد التحكم في الوضع.
- عانت الطبقة العامة في المغرب الإسلامي، في ظل السلطة الفاطمية الشيعية الإسماعيلية، من النظرة الدونية والاحتقار؛ ومورست عليهم مختلف السياسات العنيفة، سواء العنف اللفظي أو الطبقي، فهم يقعون في أسفل السلم الاجتماعي، وقد أطلقت المصادر الشيعية الإسماعيلية على العامة أبشع الصفات سواء المعارضين في المذهب أو المعارضين للسلطة، وهذا الوصف للعامة هو نفسه في كل مصادر التاريخ الوسيط.
- اتسمت العلاقات الصنهاجية –الزناتية، طوال الوجود الفاطمي ببلاد المغرب، بالعداوة والتوتر في إطار سلسلة الصراع –التقليدي بين البدو (البتر) والبرانس (الحضر)، وما يمكن قوله أن الصراع القبلي بين زناتة وصنهاجة ليس وليد الفترة الفاطمية. وذلك

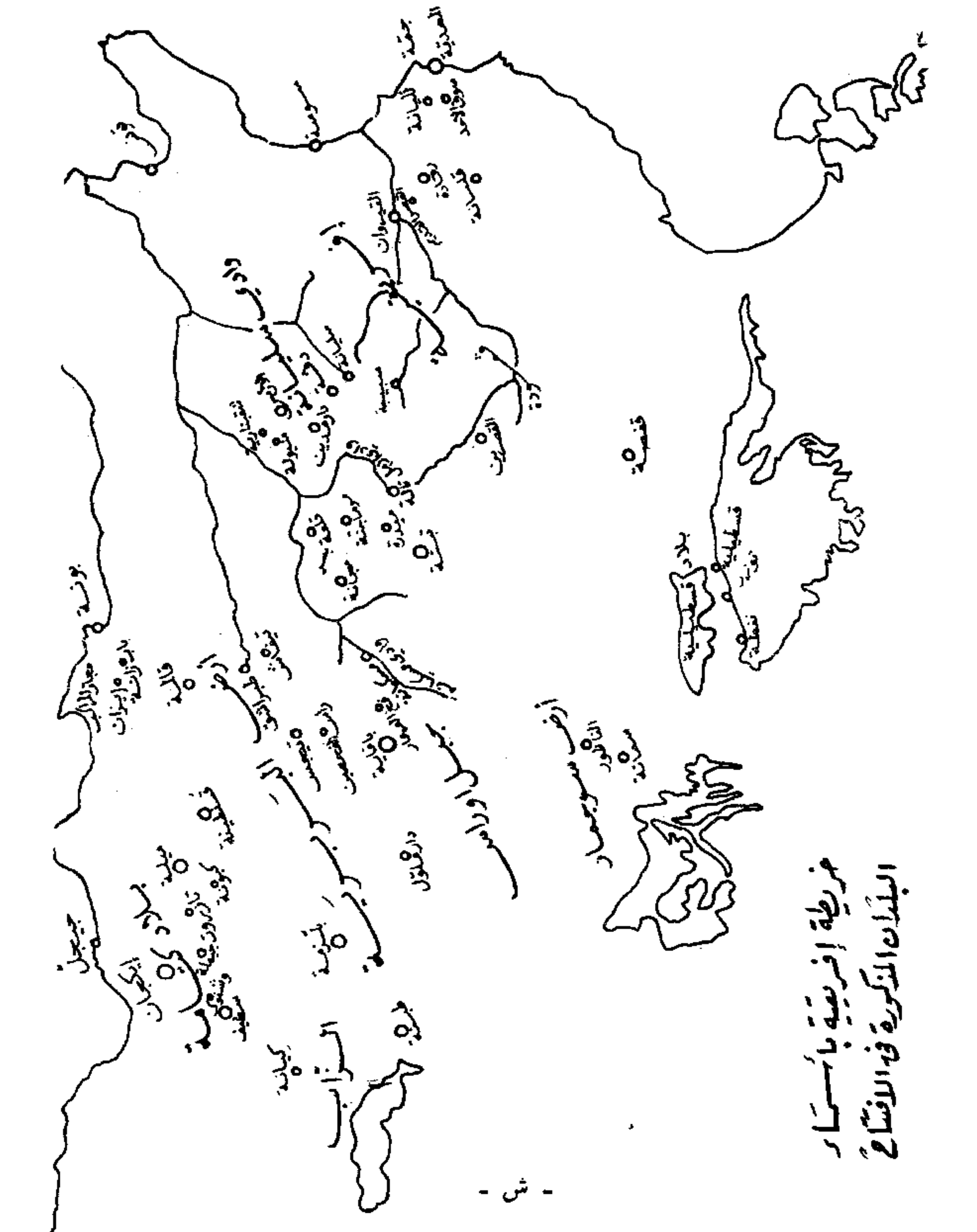
راجع لاختلاف نمط المعيشة؛ لكن خلال الفترة المدروسة أصبحت الظروف السياسية والمذهبية هي المحرك لهذا الصراع.

- جعلت السلطة من جسد المعاقب مجالا مفتوحاً لتنفيذ الأحكام، وعُرضة سهلة لكل اعتداء، وهدفاً للتحقير والتدمير فيما يعرف بـ "التوظيف السياسي للجسد"، فإمعاناً في بث الرعب وترسيخ الخوف، وتأكيد حضور السلطة الدائم، وقد كانت عملية قطع الرؤوس وتعليقها على أبواب المدن وفي الساحات العامة التقنية الأكثر سيادة، خلال العصر الوسيط، وقد أضفى الفاطميين على تلك التقنية طابعاً احتفاليا للإمعان في ترسيخ هيبة السلطة وقوتها.
- يمكن تقسيم أسباب العنف ضد المرأة إلى سببين محوريين: أولا المرأة ضحية المجتمع الذكوري (المرأة ضحية النوع)، ثانياً المرأة ضحية الثقافة (ثقافة المجتمع والمحيط). فقد شكلت الأزمات السياسية و الاقتصادية والاجتماعية، التي تعرض لها المغرب الإسلامي، منطلقاً حقيقياً لتحولات عميقة –أرخت بظلالها السلبية– على حياة المرأة المغربية، أما عن مظاهر العنف ضد المرأة فهي عديدة ؛هناك حالات عنف خاصة ومميزة للمرحلة كظاهرة السبي لنساء المغرب؛ وهناك حالات عنف عامة تعاني منها المرأة، باختلاف الإطار الزماني والمكاني، كالعنف الأسري المسلط ضد المرأة، سواء من قبل الأب أو الزوج.
- تنوع العنف ضد الطفل المغربي بين العنف الجسدي والنفسي، وكان له تأثير سلبي في نشأته، وقد أكدنا ذلك من خلال أخذ بعض النماذج والصور .
- أما عن نتائج العنف في المغرب الإسلامي، خلال العهد الفاطمي، فهي متعددة ومختلفة، كالثورات والانتفاضات التي انتشرت في المنطقة، و خراب العمران الذي عرفته. ولعلّ أهمها هو إسراع الفاطميين في نقل عاصمة دولتهم من المغرب إلى المشرق، بسبب كثرة الصراعات المذهبية والقبلية .

ما يمكن قوله في الأخير، مع أنّ هناك عنف ميز المغرب خلال العهد الفاطمي وعانت منه الأرض والشعب، لكن لا يخفى أن هناك مبالغة في تصوير هذا العنف –ربما– راجع ذلك لنص المصدري؛ من مصادر سنية وإباضية التي هي عبارة عن انعكاس للصراع والعداوة المذهبية بين السلطة الفاطمية ومعارضيها من السنة خاصة المالكية، وهذه الأخيرة هي التي نقلت لنا هذه الصورة الدموية عن الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، ويبقى البحث مفتوحا لدراسة العنف في المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي.

الملاحق

الملحق رقم: 01



القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص35.

ملحق رقم: 02

أنت الواحد القهار

وقال يمدح الخليفة المعز لدين الله :

ما شِئتَ لا ما شاءَتِ الأقْدارُ فاحكُمْ فأنتَ الواحد القهّارُ
وكأنّما أنْتَ النبيُّ مُحمّدٌ وكأنّما أنصارُكَ الأنصارُ
أنتَ الذي كانتْ تُبشّرُنَا به في كُتْبِها الأحبارُ والأخبارُ
هذا إمامُ المتّقينَ ومَنْ به قد دُوِّخَ الطُّغيانُ والكُفّار
هذا الّذي تُرْجَى النجاةُ بحُبِّه وبه يُحَطُّ الإصْرُ والأوزار
هذا الذي تُجدي شفاعتُه غداً حقّاً وتخمُدُ أنْ تراهُ النّارُ[1]
من آل أحمدَ كلُّ فخْرٍ لم يكُنْ يُنْمَى إليهم ليس فيه فَخار
كالبدرِ تحتَ غَمامةٍ من قَسطَلٍ ضَحْيانُ لا يُخفيهِ عنك سِرار[2]
في جَحْفَلٍ هتَمَ الثنايا وَقْعُه كالبحر فهو غُطامِطٌ زَخّار[3]
غَمرَ الرِّعانَ الباذخاتِ وأغرَقَ القُنَنَ المُنيفةَ ذلك التّيّار[4]
زَجِلٌ يُبرِّحُ بالفضاءِ مَضيقُهُ فالسهْلُ يَمٌّ والجِبالُ بِحارُ[5]

1 أراد بالنار : نار الجحيم .
2 القسطل : غبار الحرب . الضحيان : البارز للشمس . السرار : آخر ليلة من الشهر .
3 هتم : كسر . الغطامط : الزخار .
4 الرعان ، الواحد رعن : أنف يتقدم الجبل ، والجبل الطويل . القنن ، الواحدة قنة : قمة الجبل .
5 زجل : مصوت .

ابن هاني الأندلسي(ت362هـ/972م)، ديوان ابن هاني الأندلسي، المصدر السابق، ص146.

الملحق رقم: 03 الكتب التي ألفها الفقهاء المالكية في عهد الدولة الفاطمية في المغرب الإسلامي:

النوع	الموضوع	الكاتب	الكتاب	المصدر
النوع الأول	الرد على الشيعة وعقائدهم	1- أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله المعروف بالقلانسي(ت359هـ/969م) 2- أبو بكر بن اللباد(3- أبو محمد عبد الله بن اسحاق المعروف بابن التبان 4- ابن أبي زيد القيرواني عبد الله بن أبي القاسم بن مسرور التجيبي	1- الإمامة والرد على الرافضة 2- إثبات الحجة في إثبات العصمة للأنبياء 3- فضائل أهل البيت 4- فضائل قيام رمضان . تفسير أوقات الصلوات المواقيت ومعرفة النجوم والأزمان	1- ابن فرحون، الديباج، ص144 2- الدباغ، معالم الإيمان، ج3، المصدر السابق، ص22. 3- الدباغ، معالم الإيمان، ج3، المصدر السابق، ص91-92. 4- ابن فرحون، الديباج، المصدر السابق، ص223. حفيظ كعوان، المرجع السابق، ص137.
النوع الثاني	فضائل الإمام مالك ومذهبه	1- أبو العرب تميم(ت) 2- أبو بكر بن لباد(ت) ابن ابي زيد القيرواني(ت)	1- فضائل مالك 2- فضائل مالك الإقتداء بأهل السنة. الذب عن مذهب مالك	1- الدباغ، معالم الإيمان، ج3، المصدر السابق، ص36. 2- الدباغ، معالم الإيمان، ج3، المصدر السابق،ص.
النوع الثالث	المحن	1- أبو العرب التميم(ت هـ/م) 2- محمد بن سعدون(ت486هـ/1093م)	1- كتاب المحن 2- ذم بني عبيد وأفعالهم القبيحة. تعزية أهل القيروان بما جرى على البلدان من هيجان الفتن وتقلب الأزمان.	1- أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي(ت333هـ/م)، كتاب المحن، تح: يحي وهيب الجبّوي، دار الغرب الإسلامي، ط3، لبنان، 1427هـ/2006م. حفيظ كعوان، المرجع السابق، ص138. 2- ابن عذاري ، البيان، ج1، ص198. واير أبو الدهاج، الرجع السابق، ص90.

حفيظ، كعوان، المرجع السابق، ص138.

الملحق رقم: 04 **بنود الفقهاء المالكية في ثورة مخلد بن كيداد**

٢١٧

بالمغرب. قال الرّقيق: وقرأ على عمّار الأعمى. وكان يركب بحمار، ويُسمّى شيخ المؤمنين. قال ابن سعدون: فبعث الله على أبي القاسم الشيعي مخلد ٣٣٥
ابن كيداد الخارجيّ، فقهره، وقتل جنوده، وقام المسلمون معه. وخرج الفقهاء والعبّاد مع أبي يزيد لحربه؛ وسمّاهم ابن سعدون في كتابه رجلاً رجلاً. فركبوا معه، ونهضوا الى القيروان؛ فدخلها في صفر العام، وأظهر لأهلها خيراً وترحّم على أبي بكر وعمر — رضهما — ودعا الناسَ الى جهاد الشيعة. وأمرهم بقراءة مذهب مالك. فخرج الفقهاء والصلحاء في الأسواق بالصلاة على النبيّ — صلعم — ¹وعلى أصحابه، وأزواجه¹، حتى ركزوا بنودهم عند الجامع. فلما كان يوم الجمعة، اجتمعوا بالمسجد الجامع، وركبوا مع أبي يزيد بالسلاح، ومعهم البنودُ والطبول. وفي منها بندانِ أصفران²، مكتوبٌ في أحدها البسملة و«محمد رسولُ الله»، وفي الآخر «نصرٌ من الله وفتحٌ قريبٌ، على يدي الشيخ أبي يزيد! اللّهمّ! انصرْ وليّك على من سبّ أولياءك!». وبندٌ آخر مكتوبٌ عليه: «قاتِلُوا أئمّةَ الكُفْرِ» الآية³؛ وبندٌ آخر فيه مكتوبٌ: «قاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ⁴»؛ وبندٌ آخر مكتوبٌ فيه بعد البسملة أيضاً: «محمد رسولُ الله، أبو بكر الصدّيق، عُمَر الفاروق» وبندٌ آخر، وهو السابع، فيه: «لا إلهَ إلّا الله! محمد رسولُ الله! إلّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا.»⁵ فلما اجتمع الناسُ، وحضر الإمامُ، وطلع على المنبر، خطب خطبة أبلغ فيها، وحرّض الناسَ على جهاد الشيعة، وأعلمهم بما لهم فيه من الثواب؛ ثمّ لعن عُبَيْدَ الله الشيعيّ وابنَه؛ ثمّ ⁶نزل، فخرج؛ و⁶ خرج الناس معه لقتال الشيعة الفُجّار⁷.

1—1. B. donne à la place: والرضى عن أبي بكر وعمر وسائر الصحابة.
2) B. أحمران.
3) Cor., IX, 12.
4) Cor., IX, 14.
5) Cor., IX, 40.
6—6) Manque dans A.
7) Manque dans A.

ابن عذاري المراكشي، ج1، المصدر السابق، ص217.

الملحق رقم: 05 سنوات تخريب تيهرت في عهد الخلفاء الفاطميين

في عهد الخليفة	سنة التخريب	العمران المخرّب
أبو عبد الله الداعي(ليس خليفة بل هو الداعي)	296هـ/9090م 296هـ/909م	- تخريب المدينة - حرق مكتبة المعصومة
عبيد الله المهدي	298هـ/911م 299هـ/912م 305هـ/917م 316هـ/928-929م	-حرق مدن مجهولة - تخريب وحرق المدينة - حرق أسواق المدينة - هدم سور المدينة
إسماعيل المنصور	336هـ/948م	- إحراق منبر المدينة
إسماعيل المنصور	347هـ/958-959م حوالي 360هـ/971م	- نهب وإحراق المدينة - تخريب المدينة من طرف الخير بن محمد

بوقاعدة البشير، خراب المدن في المغرب الأوسط والأدنى، المرجع السابق ص121.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

❖ **القران الكريم**

❖ **مخطوطات:**

1- أبو إسحاق إبراهيم محمد الفارسي الإصطخري (ت346هـ/957م)، المسالك والممالك، مكان وجودها، ليدن، هولندا، رقم الحفظ، 3101.

2-2- أبو القاسم (الداعي إلى نفسه بالديار اليمنية)، الرسالة الإمامية إلى أهالي الممالك اليمانية(مخطوط)، المكتبة الوطنية، الرقم604، الجزائر.

3- المصادر:

1- ابن الأثير، عز الدّين أبو الحسن عليّ (555-630هـ)، الكامل في التّاريخ، تح: أبو صيب الكرمي، بيت الأفكار الدّولية، (د، ط)، الأردن، (د، ت).

2- ابن أحمد البلوي التونسي المعروف بالبرزلي، أبي القاسم (ت841هـ/1438م)، فتاورى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحّكام، ج2، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 2002.

3- ابن أحمد بن هبة الله بن العديم الحلبي، كمال الدين عمر(ت660هـ/1262م)، تذكرة الآباء وتسلية الأبناء المسمى الدراري في ذكر الذراري، تح: علاء عبد الوهاب محمد، جار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، (د، د، ن)، 1404هـ/1984م.

4- إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء، مج2: الجسمانيات الطبيعيات، مكتب الإعلام الإسلامي، (د، ط) إيران، 1405هـ/ 1985م.

5- الأزدي الأندلسي، محمد بن هاني (المعروف ابن هاني الأندلسي) (ت362هـ/972م)، ديوان ابن هاني الأندلسي، دار بيروت للطباعة والنشر، (د، ط)، لبنان، 1400هـ-1980م.

6- ابن أبي بكر، أبي زكريا يحي (عاش في النصف الثاني من القرن 5هـ/11م)، كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكريا، تح: إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، ط2، لبنان، 1402هـ/1982م.

7- البكري، أبي عُبيد الله (ت487هـ/1094م)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الاسلامي، (د، ط)، مصر، (د، ت).

8- التجاني، أبو محمد عبد الله أحمد(ت أوائل القرن8هـ/ أوائل القرن12م)، رحلة التجاني، قدم لها: حسن حُسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، (د، ط)، ليبيا، تونس، 1981.

9- الجوذرى، أبي علي منصور العزيزي (كان حيا في سنة 362هـ/973م)، سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين، تح: محمد كامل حسين، محمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، (د، ط)، مصر، (د.ت).

10- الحاجب، جعفر (ت نهاية القرن 4هـ/10م)، مذكرات في حركة المهدي الفاطمي(استتار الإمام وسيرة جعفر الحاجب)، النص العربي نشره: و.إيقانوق، (د، د، ن)، (د، ت).

11- ابن حماد، أبي عبد الله محمد بن علي محمد الصنهاجي (ت628هـ/1231-1232م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح: التهامي نقرة، عبد الله عويس، دار الصحوة لنشر والتوزيع،(د، ط)، مصر، (د، ت).

12- الحموي الرّومي البغدادي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/1229م)، معجم البلدان، دار صادر، (د، ط)، بيروت، 1397هـ-1977م.

13- ابن حوقل النصبي، أبي القاسم (380هـ/990م)، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة،(د، ط)، لبنان، 1992.

15- ابن حيّان الأندلسي، أبي مروان حيان بن خلف، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تح: عبد الرحمان علي حجي، شرحه واعتنى به: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ط1، لبنان، 1426هـ/2006م.

16- الخشني، أبي عبد الله محمّد بن حارث بن أسد القيرواني الأندلسي(ت361هـ/972م)، ، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ج1، صححه وراجع أصله السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1415هـ-1994م.

17- ابن خلدون، عبد الرحمن (808هـ/ 1406م)، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع(د، ط)، 1421هـ/ 2000م، لبنان.

18- ـــــ، ـــــ، تاريخ ابن خلدون المسمىّ: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج4، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع(د، ط)، لبنان، 1421هـ/ 2000م.

19- الدباغ، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسيدي (ت296هـ/909م)، أكمله وعلق عليه: بن ناجي التنوحي، أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى (ت839هـ/1435م)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج2، تح: محمد أحمدي أبو النور و أخرون، مكتبة الخانجي، المكتبة العتيقة ، ط1، مصر، تونس، (د، ت).

20- الدرجيني، أبي العباس أحمد بن سعيد(ت670هـ/1271م)، طبقات المشائخ بالمغرب،ج1، تح: إبراهيم طلاّى، (د، د، ن)، الجزائر،(د، ت)، ص102.

21- الرازي، أبي حاتم (322هـ/933م)، التصور اللغوي عند الإسماعيلية دراسة في كتاب الزينة، منشأة المعارف، (د، ط)، مصر، 1985.

22- الشماخي، أحمد سعيد بن عبد الواحد (ت865هـ/1461)، كتاب السير، ج1، تح: أحمد بم سعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، ط2، سلطة عمان، 1412هـ/1992م.

23- الشهرتاني ، ابن أبي بكر أحمد(ت584هـ/1153م)، الملل والنحل، ج1، تح: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 1387هـ/ 1968م.

24- العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي(ت712هـ/1312 م)، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، مج1، تح: بشار عواد معروف، محمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط1،، تونس، 1434هـ-1013م.

25- ـــــ، ـــــ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تح: ج.س.كولان، إ. ليفي، بروفنسال، دار الثقافة، ط3، لبنان، 1938م.

26- عبد أبي الله جعفر، بن أحمد بن محمد بن الأسود بن الهيثم(ت430هـ/1039م)، كتاب المناظرات. نشر ضمن:

Wilferd Madelung and Paul E. Walker, The Advent of the Fatimids Contemporary Shi'I Witness, London,New York, IB, .Tauris,200

27- عياض، القاضي أبو الفضل (ت 544هـ/1149م)، تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض، تح: محمد الطالبي، نشر الجامعة التونسية، ط1، تونس، 1968.

28- عياض، القاضي عياض بن موسى السبتي (ت544هـ/1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج5، تح: عبد القادر الصّحراوي، وزارة الأوقاف والشءون الإسلامية، ط2، المغرب، 1403هـ/1983م.

29- القرشي، الداعي إدريس عماد الدين (ت872هـ/1488م)، زَهرُ المعاني، تح: مصطفى غالب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزريع، ط1، لبنان، 1411هـ/1991م.

30- ـــــ، ـــــ، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تح: محمد اليعلاوي، الغرب الإسلامي، (د، ط)، لبنان، 1985.

31- القرمطـي، الداعي عبدان (عاش في القرن4هـ/10م)، شجرة اليقين، تح: عارف تامر، دار الأفاق الجديدة، ط1، ،1402هـ/1982، (د، ب).

32- الكرماني، أحمد حميد الدين (ت411هـ/1020م)، مجموع رسائل الكرماني، تح: مصطفى غالب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتونزيع، ط2، لبنان،1407هـ/1987م.

33- ـــــ، ـــــ، راحة العقل، تح: مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، لبنان، 1983م.

34- المالكي، أبي بكر عبد الله بن محمد (ت453هـ/1061م)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج1، تح: بشير البكوش، راجعه: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، ط2، لبنان، 1414هـ/ 1994.

35- محمد، القاضي النعمان (ت363هـ/974م)، المجالس والمسايرات، تح: الحبيب الفقي، إبراهيم شبّوح، محمد اليعلاوي، دار المنتظر، ط1، لبنان، 1996م.

36- ـــــ، ـــــ، الهمة في آداب أتباع الأئمة، دار ومكتبة الهلال، لبنان، ص79.

37- ـــــ، ـــــ، دعائم الإسلام، ج1، تح: آصف بن علي أصغر فيضى، دار المعارف، مصر، 2003.

38- ـــــ، ـــــ، الإيضاح، تقديم وإعداد: محمد كاظم رحمتي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، ط1، لبنان، 1468هـ/2007م.

39- ـــــ، ـــــ، افتتاح الدعوة، تح: فرحات الدشراوي، ديوان المطبوعات الجامعية(الجزائر) الشركة التونسية للتوزيع، ط2، الجزائر، تونس، 1986م.

40- معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط،، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 1425هـ/2004م.

41- المقريزي، تقي الدّين أحمد بن علي (ت849 هـ/1445م)، اتعاظ الحُنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا،ج1، تح: جمال الدّين الشيّال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط2، مصر، 1416هـ-1996م.

42- ـــــ، ـــــ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ج2،شركة الأمل للطباعة والنشر، (د، ط)، مصر، 2002م.

43- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري(ت711هـ/1312م)، لسان العرب، مج9.

44- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الله الوهاب (ت734هـ/1333م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: نجيب مصطفي فواز، حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1424هـ/2004م، ص55. ، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: نجيب مصطفي فواز، حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1424هـ/2004م.

45- النيسابوري، أحمد بن إبراهيم (كان حي 411هـ/1020م)، إثبات الإمامة، تح: مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1416هـ/ 1996م.

46- ــــ، ــــ إثبات الإمامة، تح: مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر، (د، ط)، لبنان، 1416هـ/1996م.

47- هاشم، الحسين، تاريخ الفقه الجعفري، (ب، د ، ن)، (ب، ت).

48- الوزان المعروف بليون الإفريقي، حسن بن محمد (ت912هـ/1554م)، وصف إفريقيا، ج2، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، لبنان، 1983.

49- ابن يحي الونشريسي، أحمد(ت914هـ/1508م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي عُلماء إفريقية والأندلس والمغرب، ج3، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، ص1401هـ/1981م.

❖ **الكتب العربية والمعربة:**

1- إبراهيم حسن، حسن، أحمد شرف، طه، عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مكتبة النهضة المصرية، ط1، مصر، (د، ت).

2- إبراهيم حسن، حسن ، شرف، طه أحمد ، عبيد المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مكتبة النهضة المصرية، (د، ط)، مصر، 1366هـ/1948م.

3- أبو رحمة، أماني ، أفق يتباعد إلى بعد ما بعد الحداثة، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، (د، ط)، سوريا، 1435هـ/2014م.

4- إدريس، روجي، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، ج1، تر: حمّادي السّاحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1992.

5- أرندت، حنّة ، في العنف، تر: ابراهيم العريس، دار الساقي، ط1، لبنان، 1994.

6- أندرت، حنّة، في العنف، تر: ابراهيم العريس، دار الساقي، ط1، لبنان، 1992.

7- أوزي، أحمد، سيكولوجية العنف عنف المؤسسة و مأسسة العنف، منشورات مجلة دار علوم التربية، ط1، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2014.

8- بن عميرة، محمد، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب،(د، ط)، الجزائر، 1984.

9- بن منصور، الصبحي ، القضاء الفاطمي بافريقية ومصر (297هـ/910م- 362هـ/973م) و(363هـ/973م-567هـ/1171م)، تقديم: إبراهيم جدلة، مجمع الأطرش، ط1، تونس، 2017م.

10- بهاوي، محمد، العنف والعدالة نصوص فلسفية مختارة،ج 13، ومترجمة، إفريقيا الشرق،(د، ط)، الدار البيضاء، 2013.

11- بوباية، عبد القادر، البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري 92-433هـ/711-1031م، دار الكتب العلمية، (د، ط)، (د، د، ن)، (د، ت، ن).

13- بوبيدي حسين ، جدلية السلطة والفلسفة في العصر الإسلامي الوسيط إخوان الصفا أنموذجا، الدار المغربية لنشر والتوزيع ، دار الكلمة لنشر والتوزيع، ط1، المغرب، مصر، 1438هـ/2018م .

14- بوطالب، محمد نجيب ، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، لبنان، 2002. ص53-54.

15- بوعزيزي، محمد العربي، الأنا والآخر في الثّقافة العربية الإسلامية، مجمّع الأطرش لنشر وتوزيع الكتاب المختص، ط1، تونس، 2018.

16- تامر، عارف ، المعز لدين الله الفاطمي واضع أسس الوحدة العربية الكبرى، منشورات دار الأفاق الجديدة، ط1، بيروت، 1402هـ/ 1982م.

17- تامر، عارف، تاريخ الإسماعلية، ج1، رياض الريس للكتب والنشر، ط1، لندن، تشرين الثاني/ نوفمبر 1991.

18- ج. هروود، بيرنهاردت ، تاريخ التعذيب، تر: ممدوح عدوان، دار ممدوح للنضر والتوزيع، ط4، سوريا، 2017.

19- الجنحاني، الحبيب ، المجتمع العربي الإسلامي التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، (د، د، ن)، الجزائر، (د، ت).

20- حسين محمود، خالد ، ظاهرة العنف في سياسة الفاطميين تجاه رعاياهم خلال المرحلة المغربية(296-362هـ/909-973م)، جامعة عين شمس، مصر، (د، ت).

21- الحناشي، عبد اللطيف، السلطة والعنف في التاريخ الإسلامي الدولة الأموية أنموذجا، المؤمنون بلا حدود مؤسسة دراسات وأبحاث، (د، ط)، تونس،(د، ت).

22- الحيدري، إبراهيم ، سوسيولوجيا العنف والإرهاب، دار الساقي، ط1، لبنان، 2015.

23- الخربُوطلي، علي حُسنى، أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة، (د، ط)، 1972م.

24- الدشراوي، فرحات، الخلافة الفاطمية بالمغرب(296-305هـ/909-975م) التاريخ السّياسي والمؤسسات، تر: حمّادي السّاحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1994م.

25- دي بوفوار، سيمون، الجنس الآخر، تر: ندى حداد، مراجعة وتدقيق: إيمان المغربي، دار الأهلية، (د، ط)، 2008م، المملكة الأردنية، ص14.

26- الربيعو، تركي علي، العنف والمقدس والجنس في الميثولوجيا الإسلامية، المركز الثقافي العربي،(د، ط)، لبنان، المغرب، 1995، ص ص145-144.

27- الرحموني، محمد ، الجهاد من الهجرة إلى الدعوة إلى الدولة، -بحث في مواقف العلماء المسلمين في القرنيين الرابع والخامس للهجرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، (د، ط)، لبنان، (د، ت).

28- الزاهي، نور الدين، المقدس والمجتمع، أفريقيا الشرق،(د، ط)، المغرب، 2011.

29- سامعي، إسماعيل ، القاضي النعمان وجهوده في إرساء دعائم الخلافة الفاطمية والتطور الحضاري ببلاد المغرب القرن 4ه/10م، مركز الكتاب الأكاديمي، ط1، 1431ه/2010م.

30- سعيد منصور، شاهندة ، الفساد السياسي والاجتماعي والاقتصادي في المغربين الأدنى والأوسط منذ عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي(93-362ه/711-972م)، مؤسسة شباب الجامعة، (د، ط)، مصر، 2018.

31- سلطان، عبد المنعم عبد الحميد، الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي دراسة تاريخية وثائقية، دار الثقافة العلمية، ط1، مصر، 1999.

32- سنوسي، يوسف إبراهيم، قبائل المغرب- زناتة والخلافة الفاطمية-، مكتبة سعيد رأفت، ط1، مصر 1986.

33- عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي مغرب الأرض والشعب، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1426ه/ 2005.

34- العروي، عبد الله، مفهوم الدولة، المركز الثقافي العربي، ط10، المغرب، لبنان، 2014.

35- العطار، سهير عادل ، المدخل الاجتماعي لدراسة الأزمات بين التصورات النظرية والتطبيقات العملية، مطبعة عين شمس، (د، ط)، القاهرة ، 2005.

36- العلمي، فاطمة، إشكالية المنهج في قراءة التراث الإسلامي عند مفكري العرب المعاصرين، دار الأمان، ط1، المغرب، 1439ھ/2018م.

37- علي إبراهيم حسن، تاريخ جوهر الصقلي قائد المعزّ لدين الله الفاطمي، مكتبة النهضة المصرية، ط2، مصر 1963.

39- العمايرة، محمد عبد الله سالم، الجيش الفاطمي(297-567ھ/909-1171م)، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، ط1، المملكة الأردنية الهاشمية، 1431ھ-2010م.

40- العمراني، حسن، وآخرون، العنف والمقدس والحقيقة، مؤمنون بلا حدود،(د، ط)، تونس، 2015.

41- فوكو، ميشل ، المراقبة والمعاقبة ولادة السّجن، تر: علي مقلد، مراجعة وتقديم: مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، ط1، لبنان، 1990.

42- القادري بوتشيش، إبراهيم، المغرب والأندلس في عصري المرابطين المجتمع- الذهنيات-الأولياء-، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، لبنان، 1993.

43- لا لاند، أندرية، موسوعة لا لا ند الفلسفية، مجA-G، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط2، لبنان، فرنسا، 2001، ص ص 1554-1555.

44- لقبال، موسى، الفاطمية أم المهدويات، ديوان المطبوعات الجامعية، (د، ط) الجزائر،(د، ت).

45- مجاني، بوبة، النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي 296-362هـ/909-973م(الجزائر- ليبيا- تونس- المغرب)، دار بهاء الدين، ط1، الجزائر،1430هـ-2009م، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن،1431هـ-2010م.

46- ـــــ، ـــــ، رؤية لنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2014.

47- ـــــ، ـــــ، دراسات إسماعيلية، مطبوعات جامعة منتوري قسنطينة، (د، ط)، الجزائر، 2002-2003.

48- مجاهد، علي إسماعيل، تحليل ظاهرة العنف وأثره على المجتمع، المركز الإعلامي الأمني، (د، ط)، (د، ت).

49- مجموعة من المؤلفين، عين الحكمة: العقل في تاريخ الفكر الإسلامي، تر: عباس جواد، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، ط1، لبنان، 2015.

50- محمد الطيب عقاب، عز الدين بويحياوي، موقع ايكجان بين المسح الأثري والنصوص التاريخية،(د، ت).

51- مركز هردو لدعم التعبير الرقمي، المبادئ التوجيهية والمحظورات في حالات التشريد الداخلي أهالي سيناء نموذجاً، (د، د، ن)، مصر، 2018.

52- بن منصور، الصبحي، القضاء الفاطمي بافريقية ومصر (297هـ/910م- 362هـ/973م) و(363هـ/973م-567هـ/1171م)، تقديم: إبراهيم جدلة، مجمع الأطرش، ط1، تونس، 2017م.

53- ـــــ، ـــــ، المرأة والعلاقات الزوجية بإفريقية في العصر الوسيط، تقديم: نبيل خلدون فريسة، مجمع الأطرش،(د، ط)، تونس، 2018.

54- بن منصور، عبد الوهاب، قبائل المغرب، ج1، المطبعة الملكية، (د، ط)، المغرب، 1388هـ/1968.

55- نشاط، مصطفى، السجن والسجناء نماذج من تاريخ المغرب الوسيط، المجلس الوطني لحقوق الإنسان، ط1، المملكة المغربية، 2012.

56- ويتمر، باربرا ،الأنماط الثقافية للعنف، تر: ممدوح يوسف عمران، عالم المعرفة،(د، ط) الكويت، صفر 1428، مارس2007.

❖ **المراجع الأجنبية:**

1- Bourdieu Pierre, outline of a theory of prqctice, English trans; Combridge,1977.

2- Habib Atallaah, Introduccion al ismaelismo a traves de las obras de al-Qadi al-Nu‘ màn, OUSSOUR ALjadida-N21-22,1437-2016.

3-Nejmeddine Hentati, La prison en occident musulman médiéval, Arabica, Tome54,n2,2007.

❖ **أطروحات ورسائل جامعية:**

1- أبو الدهاج، زاير، العقيدة والدولة في المغرب الوسيط فلسفة السلطة وحركة التاريخ، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة وهران، 2012-2013م.

2- الأكحل، ياسين، المهدية والبحر إلى سنة الأخماس(555هـ/1160م)،ج1، أطروحة دكتوراه في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، ، تونس، 1435-1436هـ/2014-2015م.

3- بن النية، رضا، صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر(80هـ-699م/362هـ-973م) دراسة اجتماعية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 1426-1427هـ/2005-2006م.

4- بن زاوي، طارق، استقلال المعز بن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية(406-454هـ/1016-1062م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1429-1430هـ/2008-2009م.

5- بن معمر، محمد، أسرة بني حمدون الأندلسية ودورها في المغرب والأندلس خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2007-2008،

6- بوحجرة، سماحي، المعرفة والسلطة في إسلام العصر الوسيط الغزالي بين التزامات العالم و التزامات السلطان، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران2، 2016/2015.

7- بوراس، رفيق، الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية(296هـ-363هـ/908-972م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 1427-1428هـ/ 2007-2008م.

8- بوزياني، محمد، نظام جباية الأموال في الدولة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي(296-361هـ/900-972م)، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، الجزائر، 1436-1437هـ/ 2015-2016م.

9- بُوعصانة، عُمر سُليمان، معالم الحضارة الإسلامية بورجلان(196-626هـ/909-1229م)، المعهد الوطني العالي لأصول الدين بالجزائر، 1412هـ/ 1992م.

10- حيمي، عبد الحفيظ، نظام الشرطة في الغرب الإسلامي2-6هـ/8-12م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، ، 1435-1436هـ/2014-2015م.

11- سعود، توفيق، العامة بافريقية خلال الفترة الفاطمية-الزيرية(296-443هـ/909-1051م)، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، تونس1، 2007.

12- شهبي، عبد العزيز، مساجد أثرية في منطقتي الزّاب ووادي ريغ، دراسة لنيل دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1984-1985م.

13- عبد الرزاق جعفر العلي، حيدر، الاغتيالات السياسية في الأندلس حتى نهاية دولة الموحدين(97-620هـ/715-1223م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الأداب، جامعة البصرة، العراق، 1436هـ/2010م.

14- غانية، البشير، ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد ضد الفاطميين ونتائجها على المغرب(331-336هـ/942-947م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، 2007-2008.

15- كريم، حسينة، أوضاع المرأة الاجتماعية والاقتصادية بالمغرب الإسلامي من خلال نوازل" المعيار" للعلامة الونشريسي(ت914هـ/1508م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر-2-أبو القاسم سعد الله، 1435-1436هـ/2014-2015م.

16- كعوان، حفيظ، أثر فقهاء المالكية الاجتماعي والثقافي بإفريقية من ق(2-5هـ/8-11م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 1429-1430هـ-2008-2009م.

17- مغشيش، عبد المالك ، النثر المغربي في القرنيين الرابع والخامس الهجريين(دراسة تأصيلية فنية)، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب المغربي القديم، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر-باتنة-، 1435-1436هـ/2014-2015م.

18- وطيلة، نجمة ونيس سعد، عمليات السبي في بلاد المغرب الإسلامي من الفتح حتى نهاية الدولة الأموية(21-132هـ/ 622-749م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة طرابلس، 2012.

19- الوغانمي، رمزي، الحياة اليوميّة بالقصور الأميرية خلال الفترة الأغلبية والفاطمية، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علوم التراث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، تونس، 2009-2010م.

20- يسلي نبيلة، العنف ضد المرأة بين واقع التربية والرجلة، رسالة لنيل شهادة ماجستير في علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008-2009م.

❖ **ملتقيات:**

1- حميدي، مليكة، إسهام القبائل المغربية في الحركة العلمية الأندلسية مابين القرنيين 3هـ-6هـ/-م-12م"قبيلة كتامة نموذجا"، ضمن أعمال الملتقى الدولي الرابع التواصل الثقافي والاجتماعي بين المغرب الأوسط والأندلس بين القرنيين 03 و06 الهجريين، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة حمّه لخضر-الوادي-، 12/11فيفيري 2019.

2-بوبيدي، حسين، الحراك القبلي الكتامي من ق:3-5هـ/9-11م، مشاركة في الملتقى الوطني:" الهجرة والمهاجرون في العصور الإسلامية"، بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة8ماي قالمة، يوم 23 أفريل2018.

الفهارس

فهرس الآيات

الآية	رقم الأية	السورة	الصفحة
﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، ﴾	03	البقرة	72
﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا، ﴾	54	النساء ،	70
﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا، ﴾	.54	النساء ،	70
﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ، ﴾	.256	البقرة،	50
﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ، ﴾	09	الحجرات	35
﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ، ﴾	.28	الزخرف،	48
﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا، ﴾	04	سورة الإسراء	90
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، ﴾	180	الأعراف	70
﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، ﴾	.32	التوبة	22

فهرس الأعلام

الأعلام

الصفحة

فهرس الأماكن

فهرس القبائل

فهرس الموضوعات

تم بحمد الله

الملخص:

نهدف من خلال دراسة العنف في المغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي تجديد الكتابة التاريخية المغربية عن طريق الاهتمام بالظواهر الاجتماعية التي ما زالت تحتاج إلى جهود كبيرة من قبل المؤرخين المختصين في المجال، وكذلك تسليط الضوء عن طبيعة الدولة في المغرب وعلاقتها برعاياها خلال العصر الوسيط وإبراز العنف والاستبداد الذي ميز هذه الفترة

وقد تنوعت مظاهر العنف وأشكاله خلال الفترة المدروسة وتمخضت عن نتائج مختلفة، لكن هناك مبالغة في تصوير المشهد، وذلك راجع لنص المصدري الذي هو عبارة على انعكاس للصراع والعداوة المذهبية بين السلطة الفاطمية ومعارضيها من السنة خاصة المالكية، وهذه الأخيرة هي التي نقلت لنا هذه الصورة الدموية عن الدولة الفاطمية.

Abstract:

Through the study of violence in the Islamic Maghreb during the Fatimid era, we aim to renew Moroccan Historical Writing by paying attention to social phenomena that still require great efforts by historians in the field, as well as to shed light on the nature of the state in Morocco and its relationship with its subjects during the Mesozoic Era and to highlight the

The manifestations and forms of violence varied during the period studied and yielded different results, but there is an exaggeration in the depiction of the scene, due to the text of the source, which is a reflection of the conflict and sectarian enmity between the Fatimid authority and its opponents from the Sunnis, especially Maliki, and the latter is the one that conveyed to us this.